

ذكريات معتقل

من جوانتانامو (كوبا)

من فضلك خمس دقائق
فأصبحت الدقائق الخمس
سنة وعشرين شهراً

حسين عبد القادر

العبيكان
Obekon



ذكريات معتقل

من جوانتاناامو (كوبا)

من فضلك خمس دقائق، فأصبحت الدقائق الخمس
ستة وعشرين شهراً

حسين عبد القادر

العبيكان
Obekan

٢ مكتبة العبيكان، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدالقادر، حسين

ذكريات معتقل من جوانتانامو. / حسين عبدالقادر. - الرياض، ١٤٣٠هـ

٣٦٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٥-٧٨٥-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١. سجن جوانتانامو ٢- التعذيب أ. العنوان

١٤٣٠ / ٤٦٨٠

ديوي ٩٢٣، ٢٧٣

رقم الإيداع: ١٤٣٠ / ٤٦٨٠

ردمك: ٥-٧٨٥-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

.. الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

حقوق الطباعة محفوظة للناسر

التوزيع: مكتبة العبيكان
Obelion

الرياض- العليا- تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤ / فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناسر العبيكان للنشر
Obelion

الرياض- شارع العليا العام- جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ - ٢٩٣٧٥٨١ / فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناسر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

ψ إلى روح الشيخ الشهيد عبد الله عزام، أستاذ مدرسة
الجهاد في العصر الحديث.

ψ وإلى روح ولدي عبد الله الذي وافته المنية، وأنا رهن
الاعتقال.

أهدي هذا الكتاب

حسين عبد القادر

مُخْتَصَرَاتُ الْكِتَابِ

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١١
الاعتقال في باكستان	١٥
السيرة الذاتية	٢٣
الترحيل إلى بجرام	٣١
الحياة في بجرام	٣٣
التحقيق	٣٩
الترحيل إلى كوبا	٦٩
الوصول إلى كوبا	٧٥
التحقيق	٧٧
الزنزانة الانفرادية	٨٣
الطعام	٨٥
الرياضة والاعتقال	٩١
أول الأسرى وصولاً إلى كوبا	١٠٣
قصص اعتقال الأسرى	١١٣
قصص من سجن التحالف	١٢٥
العلاج	١٤٣
رمضان في كوبا	١٤٥
المعسكر الرابع	١٦٧

درجات السجن	١٧٣
عقوبات بلا سبب	١٨١
العنبر الانفرادي	١٨٩
عنبر اللباس الرياضي	١٩٣
فرقة مكافحة الشغب	١٩٩
غرفة الحب	٢٠٣
الحاجة أم الاختراع	٢١١
جهاز كشف الكذب	٢١٥
درس من السجن	٢٢٣
الثقافة والترفيه	٢٣٣
حركة طالبان	٢٣٧
الانتحار	٢٤٧
من مخالفات المعتقلين	٢٥٣
من مشكلات الحراس	٢٥٧
تطبيق القانون	٢٥٩
القانون	٢٦٥
ملاحظة	٢٦٩
مشاهدة	٢٧٥
معاملة تغيرت	٢٧٧
اختيار	٢٧٩
قصة النظارات	٢٨١

٢٨٣ تسليم المصحف
٢٨٥ تغيير الطعام
٢٨٧ توجس وحذر
٢٩١ التفتيش
٢٩٥ بشارة
٢٩٧ عنبر جديد
٢٩٩ عنبر المسافرين
٣٠٥ مغادرة كويا
٣٠٩ الوصول إلى بجرام
٣١٣ الطعام في بجرام
٣١٧ الحياة في بجرام
٣٢٣ الرسائل
٣٢٧ الصليب الأحمر
٣٣١ الدعوة في كويا
٣٣٧ الجهاد والإرهاب
٣٤٩ عودة إلى الحياة في بجرام بعد كويا
٣٥٥ مغادرة بجرام إلى الوطن
٣٥٧ شهادة براءة من الإرهاب
٣٥٩ إلى من يهمه الأمر

٥٤

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

لقد أنزل الله عز وجل عشر آيات من سورة النساء ذكر فيها قصة طعمة رجل من الأنصار، وحادثة السرقة التي اتهم بها يهودي بريء. إن الآيات تبرئ اليهودي من السرقة

وتثبتها على طعمة ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥).

هذه التبرئة لليهودي في زمن لا يدخر فيه اليهود سهماً إلا وطعنوا به الإسلام، وفي وقت لا يكف اليهود فيه عن التآمر والكيد للإسلام وأهله، لكنه العدل في الإسلام الذي يبرئ هذا اليهودي من السرقة، ويثبتها على رجل من الأنصار.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (يوسف: ٨١).

لقد أرسل الرسول ﷺ جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لخرص تمر خبير الذي أعطاه الرسول ﷺ لليهود على حصة من الثمر، فقدموا له نوعاً جيداً من التمر هدية خاصة له (رشوة) ليحاييهم في تقدير كمية التمر على الشجر، فقال لهم: يا إخوان القردة والخنازير، أترشونني، لقد جئتمكم من عند أحب الناس إلي (يعني رسول الله ﷺ) وإنكم لأبغض خلق الله إلي، ولكن حبي لرسول الله ﷺ

وبغضي لكم لا يمنعني من العدل معكم، وخرص لهم التمر وقدره
كما هو دون زيادة ولا نقصان.

إذا كانت الدول والمؤسسات الآن، تعتمد على دراسات وأبحاث
 وإحصائيات وجمع معلومات، بشتى الطرق وكافة الأساليب، وتصدر
 بعد ذلك أحكامها، وتطبق مخططاتها وتنفذ توسعاتها وأطماعها،
 بناءً على هذه المعلومات، فإن رب العالمين الذي خلق البشر، ويعلم
 ما توسوس به نفوسهم وتنطوي عليه أفئدتهم، لا يحتاج إلى هذه
 الأبحاث والدراسات، وهو الذي يقول ويحكم ولا معقب لحكمه وهو
 أصدق القائلين.

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم
مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ
لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (آل عمران: ٦٩).

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى
اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ
مِنَ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٩).

[الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا] ، هذا الكلام ليس
تحاملاً على الغرب أو غير الغرب؛ لأن الواقع والحال وما يجري
وما يقال ويسمعه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ينبئ
عما يقال.

ما ورد في هذا الكتاب ربما لا يعجب الكثيرين، لكنه الذي لمسته
وشاهدته وفي المثل العربي (ليس من رأى كمن سمع).

ف

الإعتراف في باكستان

مساء يوم الأحد ٢٥/٥/٢٠٠٢ صليت العشاء ورجعت إلى بيتي الموجود في ضاحية حياة أباد - بيشاور - باكستان، فوجدت عائلتي تنتظرني على طعام العشاء، إذ كانت الساعة العاشرة ليلاً، وقد كان في ذلك الوقت فصل الصيف والنهار طويل، فجلست على المائدة ولم أكمل اللقمة الثالثة، حتى قرع جرس البيت، فقلت لابني إبراهيم البالغ من العمر اثني عشر عاماً: انظر من بالباب، فذهب الغلام وفتح الباب، ورجع مسرعاً يبكي ويقول: الشرطة، الشرطة.

وقبل أن ينهي الغلام كلامه، فإذا بمجموعة من الشرطة الباكستانية ٥-٧ يدخلون مسرعين يشهرون سلاحهم، وقفت وقلت لهم: ما الأمر؟ قالوا: أين أبو عبد الله البلخي؟ قلت هأنذا ماذا تريدون؟ قالوا: نريدك قلت: لماذا؟ قال: خمس دقائق إلى مركز الشرطة وترجع. قلت: ماذا فعلت؟ قالوا: تفضل، قلت لهم: أنا

أعيش بشكل قانوني في باكستان، أحمل جواز سفر أردني وأحمل بطاقة من الأمم المتحدة منذ ثماني سنوات، وأخرجت لهم البطاقة، أخذها مسؤول الحملة وقرأها، ثم وضعها في جيبه، وقال: اخرج معنا إلى المركز واسترجع، قلت: أين؟ قال: اخرج. وأمر أحد الجنود المرافقين له أن يضع القيد في يدي، ففعل الجندي، وكان معي في البيت أحد أبنائي، واسمه محمد الذي أنهى الصف الثالث الثانوي، عمره ثمانية عشر عاماً، ينتظر التسجيل في الجامعة الإسلامية في إسلام آباد، قيدوه أيضاً معي، واقتادونا إلى خارج البيت، خرجنا وإذا بسيارات أخرى مليئة برجال الشرطة، وعند الباب الخارجي للدار، يقف رجل يبدو من ملامحه أنه عربي، يتهيأ للدخول إلى البيت مع امرأة يبدو أنها مثله أيضاً، نزلت من سيارة باجيرو (Pajero) بيضاء، كانت تقف بجوار باب البيت.

وتحركت السيارة التي تقلنا بعيداً عن البيت؛ كي لا أرى ولا أسمع ما يحدث في البيت، فقد دخلت مجموعة من الشرطة الباكستانية مع الرجل والمرأة الغريبيين، ثم أخبرتني العائلة بعد ما خرجت من السجن، أن الشرطة وضعت ما تبقى من العائلة زوجتي وأربع بنات وإبراهيم الصغير في إحدى غرف البيت وأغلقوا عليهم الباب، ثم قاموا بتفتيش البيت دون أن يراهم أحد، ثم تبين أنهم قاموا بكسر ما وجدوه مغلقاً من الغرف، وبعدما أنهوا مهمتهم أخذوا ما يريدونه وخرجوا.

أما جاري الذي يسكن معي في الطابق الثاني، فقد كسروا قفل بيته ودخلوا وأخذوا ما يريدون ومن جملة ما أخذوه، أسورة من ذهب لزوجته، كانت موجودة في خزانة، مع أن عائلتي أخبرتهم أنه غير موجود، لا رب البيت ولا عائلته، وكانوا قد خرجوا من البيت قبل ثلاثة أيام من مdahمة البيت، بعد ذلك تحركت السيارة، فسألت الشرطي الذي يقودني: إلى أين تأخذنا؟ قال: خمس دقائق إلى مركز الشرطة، نسألك بعض الأسئلة وترجع، عندها قام شرطي آخر وأخرج قطعاً من القماش وربطها على عيوننا ولم نشاهد بعد ذلك شيئاً، ولا نعلم إلى أين تسير بنا السيارة.

وبعد عشرين دقيقة وصلنا إلى أحد مراكز الشرطة، فاستجوبونا بسرعة، حاولت أن أعرف أين أنا ومن حولي، لكن لم أستطع، وعندما أنزلونا من السيارة التي كنا فيها إلى سيارة أخرى، استطعت أن أرى ابني الكبير عبد الله يركب معنا، معصوب العينين، مكبل اليدين، فقد اعتقله الشرطي الذي كان يقف عند باب بيتنا، عندما رجع إلى البيت وعرف أنه ولدي، بعد نصف ساعة من اعتقالنا، وهذا الشرطي الذي اعتقله كان ينتظر الذين يفتشون داخل البيت فحاول عبد الله أن يقنعهم بإطلاق سراحه، وعدم اعتقاله وأنه مريض بالقلب، لا يستطيع أن يعيش في السجن، وأنه بحاجة إلى الدواء، وربما الطبيب أحياناً، لكنهم لم يلتفتوا إلى كلامه.

لقد كان اعتقالي مؤثراً عليه، إذ أصبح مسؤول العائلة الأول، وهموم الأسرة كلها عليه، وذلك بعد إطلاق سراحه في اليوم الثاني، وعلاوة على ذلك ازداد مرضه وتعددت زياراته للطبيب، وكثرت الأدوية التي يتناولها، ومن ثم ساءت حالته، وتوقف عن الدراسة الجامعية بناءً على نصيحة طبية، وأخيراً جلس في البيت، حين تضاعف مرضه كثيراً، خاصة بعدما سافر إلى الأردن، حيث العلاج المرتفع التكاليف، سواء فيما يتعلق بثمن الأدوية أو كشف الطبيب، وفي النهاية وافته المنية وانتقل إلى جوار ربه، بعد ستة أشهر من وصوله إلى الأردن، متأثراً بهذا المرض العضال، حيث أصابته أزمة قلبية، تقبله الله في الصالحين وأسكنه فسيح جناته.

تحركت بنا السيارة نحن الثلاثة، أنا وابنائي، لكن لا نعلم إلى أين نذهب، دخلنا مكاناً آخر، دخلنا إلى بوابة كبيرة، ثم أغلق الباب، رفعوا الغطاء عن عيوننا وأدخلونا إلى غرف السجن، كل واحد في غرفة، فكوا قيد اليدين وأخذوا ما معنا من أغراض وأمانات، عندما دخلت غرفة السجن بدأ شريط الذكريات يمر في خاطري.

لقد سمعت أن الميت إذا احتضر وبدأ يعالج سكرات الموت، يمر في ذهنه من ذكريات حياته منذ أن أصبح واعياً حتى لحظة موته، هذا الشريط يمر في ذهن المحتضر بسرعة؛ ليبين له قصر عمر الإنسان الذي قضاه في الحياة الدنيا، لقد حدث معي ما يشبه

هذا، إذ عندما أدخلت غرفة السجن، مر شريط من الذكريات السريع في خاطري، وهكذا شبّعت السجن بالموت، لكنه موت منه رجعة، أما الموت الحق فلا رجعة منه إلى الحياة الدنيا. لقد شبّعت السجن بالقبر، لكنه قبر فيه حياة وحركة بخلاف القبر الحقيقي، أي أن السجن هو الموتة الصغرى. حاولت النوم، إذ بدأت أتقلب على ما وجدته من فراش في الغرفة، لكن لم أستطع النوم، بسبب الحر الشديد، وعدم نظافة الفراش.

بعد منتصف الليل جاء رجال الشرطة، وأخذوا ابنيَّ محمدًا وعبد الله، وقالوا لي: إنهما سيرجعان إلى البيت الآن، وأنت ستخرج غداً، ودّعائي وانصرفا، لكن بعد قليل جاء رجال الشرطة ومعهم مجموعة من العرب، ستة معتقلين، أعرف بعضهم، أو معظمهم، وقد علمت من بعضهم أن رجال الشرطة الباكستانية قد اعتقلوا في هذه الليلة التي اعتقلوني فيها عشرة من العرب، أخذوهم من بيوتهم، يحملون أوراقاً رسمية من الحكومة الباكستانية. ويعملون في مؤسسات إغاثية معترف بها من الحكومة الباكستانية. أحضر رجال الشرطة ستة إلى المكان الذي كنت فيه، ووضع الباقون في مكان آخر.

كان الصيف قد بدأ في باكستان، حيث الجو حار، وغرف السجن غير نظيفة، والفراش متسخ، والماء حار، إذ يقدم في

قارورة بلاستيكية مملوءة من حنفية موجودة في الخارج، وفي زاوية الغرفة سطل حديدي صغير لمن أراد التبول عند الضرورة، فقضاء الحاجة ثلاث مرات يومياً فقط الساعة السابعة صباحاً، وقيل الظهر الساعة الثانية عشرة والنصف، وعند غروب الشمس، أما الطعام فنوعه رديء، وكميته قليلة فالفطور الساعة السابعة، وهو عبارة عن رغيف خبز صغير غير ناضج مقلي بالزيت، مع كوب شاي مختلط بالحليب، وربما يقدم لك كوب آخر.

والغداء الساعة الحادية عشرة، وهو صحن صغير غير نظيف فيه العدس والطماطم، ورغيف خبز، والعشاء الساعة السابعة. أما الفاكهة فلا توجد، واللحم مرة كل أسبوع وهو عبارة عن قطع صغيرة وقليلة جداً مع الأرز، فالأغتسال مرة كل أسبوع، فالصابون والمكان والأواني غير جيدة، مع أن تهوية غرفة السجن غير جيدة، فالعرق كثير من حرارة الجو، مع انقطاع التيار الكهربائي أحياناً.

مكثنا في السجن الباكستاني في بيشاور أحد عشر يوماً، جرى فيها التحقيق معنا مرتين، مرة في اليوم الأول من وصولنا للسجن، عصر اليوم الأول، إذ جاء رجال الشرطة الباكستانية وقيّدونا كل اثنين معاً، والعيون مغطاة بعصابة، وأركبونا في السيارات إلى مكان لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك، وأنزلونا من السيارات وفكوا عصابة الغطاء عن عيوننا، وأدخلونا واحداً بعد الآخر إلى غرفة كبيرة،

فيها الأغراض التي صادروها من بيوتنا جميعاً، كان يجلس بها
باكستانيون ورجال ونساء تبدو ملامحهم أنها غربية.

فقامت سيدة وأخذت البصمات لنا جميعاً، كل واحد على حدة،
وقام رجل يتقن العربية باستجوابنا بأسئلة بسيطة عن الاسم،
والبلد، والمكان الذي ولدت فيه وتاريخ الميلاد، ثم رجعنا كلٌّ إلى
غرفته بالطريقة نفسها التي أحضرونا بها.

أما المرة الثانية التي أخذونا فيها للتحقيق، فكانوا يأخذون
كل يوم واحداً أو اثنين إلى المكان نفسه الذي ذهبنا إليه في المرة
الأولى، وحقق معنا الرجل نفسه الذي حقق معنا في المرة الأولى،
وبعد مضي تسعة أيام حضر رجال الشرطة الباكستانية، وقيدوا
يديّ وغطوا عينيّ بعصابة، وحملتني السيارة إلى المكان السابق
نفسه، حيث هناك رجل غربي يتقن العربية، ويتكلم معي من دون
مترجم، فسألني عن سيرتي الذاتية.

sp

السيرة الذاتية

كانت أسئلة الرجل الغربي عن المولد، والدراسة، والعمل، وسبب وجودي في باكستان هذه المدة الطويلة من سنة ١٩٨٥ م - ٢٠٠٢ م، فأخبرته بأنني فلسطيني، وتاريخ ميلادي ١٩٥٣ م من قرية سيلة الحارثية، قضاء جنين، من أب وأم فلسطينيين، وأنا رابع إخوتي وأصغرهم، وهم ذكران وأنثى، توفيت والدتي قبل عشر سنوات تقريباً، فتزوج والدي زوجة أخرى، وأنجب منها بنتين وولداً، وهو يعمل تاجراً متوسط الحال، أكملت دراستي الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدرسة القرية، ولكن الصف الثالث الثانوي أكملته في مدرسة المدينة - جنين، سنة ١٩٧٣ م، نجحت في الثانوية في هذه السنة، وفي السنة نفسها حصلت على منحة دراسية في المملكة العربية السعودية، وهناك أكملت دراسة البكالوريوس والماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وبين البكالوريوس والماجستير، عملت واعظاً في فلسطين مدة سنتين، على حساب إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية؛ وبعد الحصول على الماجستير ١٩٨٢-١٩٨٣م رجعت إلى فلسطين ومكثت سنة دون عمل، ثم عملت مدرساً في جامعة الخليل مدة سنة، بعدها سافرت إلى باكستان سنة ١٩٨٥م، وبقيت هناك، حتى سنة ٢٠٠٢م وقت اعتقالي، فقد عملت مدرساً للطلاب الأفغان المهاجرين والعرب وغيرهم في الجامعات والمعاهد والمدارس والكليات، ولم أغادر باكستان طيلة هذه المدة إلا يوم أن غادرتها عن طريق اعتقال الأمريكيان لي.

إن تردي الأوضاع الاقتصادية والسياسية والأمنية في فلسطين تضطر الإنسان إلى البحث عن عمل خارج وطنه، فقد فصلت من العمل الذي كنت فيه في جامعة الخليل، وبحثت عن عمل آخر فلم أجد، فاضطرت إلى أن أذهب إلى باكستان، حيث اتصلت بقريب لي، فقال لي: توجد هنا مدارس وجامعات كثيرة للمهاجرين الأفغان، وهم بحاجة إلى مدرسين عرب، فوصلت إلى بيشاور مع عائلتي والتحقت فور وصولي بالعمل في جامعة الدعوة والجهاد، وهي في حي يبعد عن بيشاور نحو عشرين كيلاً، يسكنه المهاجرون الأفغان، وهو مخيم فقير به جامعة لتعليم الطلاب الأفغان، عملت بها مدرساً لتعليم العلوم الإسلامية سنة ٨٥-١٩٨٦م، لكن بسبب بعدها عن مكان السكن تركت العمل بها، والتحقت بمعهد المعلمين

العالي التابع للجنة الدعوة الإسلامية الكويتية؛ لقربه من بيتي، و لأنه أعلى راتباً من العمل السابق.

بعد ذلك عملت في معهد الأنصار العالي، وهو يتبع رابطة العالم الإسلامي السعودية، وفي إجازة الصيف ذهبت مدرساً في مدرسة داخل أفغانستان، مدة أربعة أشهر؛ لتعليم الطلاب الأفغان العلوم العربية والإسلامية، ثم رجعت إلى عملي في معهد الأنصار العالي، وفي أثناء عملي في هذا المعهد عملت متطوعاً في مكتب الخدمات لترحيل الشباب العرب الذين كانوا يعملون متطوعين لمساعدة الشعب الأفغاني، فقد كنت أقدم لهم اللباس والحداء والحقيبة، وغير ذلك وهذه المواد كان يقدمها مكتب الخدمات لهؤلاء الشباب.

إن هؤلاء الشباب كانوا يدخلون إلى أفغانستان في أثناء الغزو الروسي لأفغانستان، ويقومون بإحصاء الأيتام والمدارس والأرامل والشهداء، وتقديم ما يمكن تقديمه من العون المادي لهذا الشعب، لقد كانت هناك مؤسسات عربية وغربية وشرقية تساعد الأفغان المهاجرين في أثناء الغزو الروسي لبلادهم، وهذه المؤسسات كان لها نشاط في باكستان وفي داخل أفغانستان، وكانت لها مدارس وجامعات ومستشفيات وملاجئ ودور للمعوقين والمجروحين.

بعد ذلك جلست مدة بلا عمل، وبدأت أعيش في باكستان دون أوراق أو وثائق رسمية، وعندما انتهى الجهاد الأفغاني بدأت

المضايقات للعرب الذين كانوا يساعدون الشعب الأفغاني، وفي هذه الحقبة انتهت مدة جواز سفري، ولم أستطع تجديده ولا تمديده، إنني أريد السفر لكن لم أستطع، وفي هذه المدة انتهت مدة التصريح الإسرائيلي الذي خرجت بموجبه من الضفة الغربية عام ١٩٨٥م، وإذا انتهت مدة هذا التصريح، فإنه لا يسمح لي بدخول فلسطين؛ لأنه غير ساري المفعول، فحاولت تجديده عن طريق أهلي في فلسطين فلم يستطيعوا ذلك.

كادت الشرطة الباكستانية تلقي القبض علي، لكن أفلت منها بقدر من الله عز وجل.

اضطرتني الحاجة إلى أن أذهب إلى الأمم المتحدة، عام ١٩٩٢م وشرحت لهم وضعي، وبعد مراجعات ومقابلات لهم، قبلوني لاجئاً في باكستان تحت مظلة الأمم المتحدة. إن قبولهم لي لاجئاً يعني أن يقدموا لي وثيقة رسمية أعيش بها، وأتقل بموجبها داخل باكستان دون مشكلات، ويقدموا لي مساعدة مادية قدرها (١٥٠) دولاراً في كل شهر، ويساعدوني في رسوم المدارس، ويقدموا ثمن الملابس والحقائب والكتب والدفاتر لطلاب المدارس. لقد كانت هذه الأمور بالنسبة لي أمراً مهماً وكبيراً، وبقيت معي وثيقة الأمم المتحدة منذ ذلك الوقت، حتى سنة ٢٠٠٢م وقت اعتقالني.

لقد كان بإمكان من يحمل هذه الوثيقة أن يعمل عملاً إضافياً، بجانب ما تقدمه الأمم المتحدة له من مساعدة، ففي سنة ١٩٩٤-١٩٩٥م عملت في بيشاور محاضراً في الأكاديمية الإسلامية- جامعة العلوم والتقنية التابعة لهيئة الإغاثة الإسلامية السعودية، وبعدها عملت في معهد الأنصار العلمي في بيشاور، التابع للمعاهد العلمية اليمنية، الذي كانت تشرف عليه السفارة اليمنية في إسلام آباد، وقد بقيت في هذا المعهد حتى سنة ٢٠٠٠-٢٠٠١م ثم أغلق من قبل الحكومة اليمنية التي قامت بإغلاق المعاهد كلها، ومن ثم كان هذا المعهد من جملة المعاهد المغلقة، وبعد إغلاق المعهد بقيت عدة أشهر من دون عمل، أبحث عن عمل، لكن لم أجد، وفي يوم ٢٥/٥/٢٠٠٢م كان اعتقالي.

وهذا اليوم كان آخر العهد لي بباكستان ومعاهدها ومدارسها وجامعاتها، فهذه المدارس والجامعات والمعاهد، تدرس مواد كثيرة من ضمنها المواد العربية والإسلامية، وتدرس اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم والاجتماعيات والرياضة والفن، فهي مدارس نموذجية عصرية، وليست مدارس دينية فقط.

كانت مدة استجوابي قصيرة لا تتعدى الساعة، وفي نهاية التحقيق سألت المحقق عن سبب اعتقالي، فقال لي: علاقتك بالإرهاب. قلت له: أي إرهاب وأي إرهابيين الذين لي علاقة بهم؟ قال: سوف تعرف فيما بعد، وانتهت الجلسة وعدت إلى غرفة السجن معصوب العينين مكبل اليدين، بسيارة «بك أب» كما جئت.

بعد مرور أحد عشر يوماً جاء رجال الشرطة الباكستانيون، وأخبرونا أنهم سيأخذوننا غداً إلى إسلام آباد؛ ليتم التحقيق معنا هناك؛ لأن التحقيق هناك أسهل وأوسع وطلبوا منا أن نكتب رسائل لعائلاتنا، نخبرهم فيها بأمر السفر هذا، وبعد صلاة العشاء من هذا اليوم جاء إلينا أعداد كثيرة من الشرطة الباكستانية، وكبلوا أيدينا خلف ظهورنا، ووضعوا العصابات على عيوننا، وأركبونا سيارات «البك أب» وبدؤوا يعانقوننا، ويطلبون منا أن نسامحهم، وظهر على بعضهم البكاء، وقالوا: نحن مضطرون، وكنا مجبرين -علينا ضغوط خارجية لتسليمكم- وتحركت السيارات ليس لإسلام آباد، ولكن إلى مطار بيشاور، حيث السيارات تقترب وتمشي بنا، وصوت الطائرات تقترب منه شيئاً فشيئاً، وتوقفت السيارات بجانب الطائرة، هكذا تشعر، وأنزلونا من السيارات وأجلسونا على أرض المطار، لا نرى شيئاً.

بدأ الشرطي الباكستاني ينادي على الأسماء، جاء اسمي فوقفت، أمسكني الشرطي الذي ينادي على الأسماء، وقدمني خطوتين، وقام شخص وفك غطاء عيني، واستلمني مجموعة من الجنود قريباً من باب الطائرة الخلفي، فهم يحيطون بي من كل الجهات، اليمين والشمال الأمام والخلف، ألبسوني كيساً في رأسي لا أرى منه شيئاً، فهؤلاء الجنود الجدد ألبستهم وسجنتهم تختلف

عن الوجوه الباكستانية، إنهم حمر أو شقر، لم يساورني شك أنهم
غربيون أمريكيان، فكوا يديّ وربطوهما خلف ظهري بقيد محكم
حديدي مؤلم. أدخلوني إلى الطائفة من الباب الخلفي بطريقة
شديدة وعنيفة.

٥٥

الترحيل إلى بجراه

أجلسونا على أرض الطائرة بجانب بعضنا، الأرجل مقيدة ومثبتة في أرض الطائرة، والأيدي مقيدة خلف الظهر، ثم شدوا جنزيراً غليظاً على صدورنا، وكان هذا من أشدها علينا، فقد كادت أرواحنا تخرج من أجسادنا، والرأس يغطيه الكيس الذي يمنع الرؤية، ويعيق التنفس، والجو حار. أقلعت الطائرة من بيشاور. فالكلام ممنوع والحركة ممنوعة. وأنت من دون أوامر لا تستطيع الحركة بسبب قيود الحديد التي تحيط بك، والجو يوحى بالخوف، يا إلهي، إن هذا يعني أنهم سلمونا للأمريكان!

ماذا صنعنا، ما جريمتنا؟ إنه الظلم، فالدنيا والظلم قرينان لا ينفصلان، ما دامت هناك دنيا فلا بد أن يوجد فيها ظلم، لقد راودني شعور صادق وأمنية صحيحة أكيدة، أن تسقط بنا الطائرة ونموت، لكن بعدما يقرب من ساعة نزلت الطائرة لا ندري أين

نزلت، أنزلونا من الطائرة خلف بعضنا، ربطونا بحبل، الواحد تلو الآخر، كل في ذراعه، الأصوات تعلو من الجنود، لا تتحرك، لا تتكلم، الخوف والرعب يملكنا، ساقونا مقيدين نخطو إلى الأمام بصعوبة بسبب قيد الأرجل، فقدت حذائي في أثناء المشي، بدأ السير بطريق ملتوية، ذات حجارة وحصباء، مما تسبب في آلام الأرجل.

بعد نصف ساعة، أدخلونا إلى بناء، وأجلسونا على الأرض بعد أن حلوا الحبل الذي يربطنا ببعضنا، بدأ واحد يتكلم، وآخر يترجم الكلام من خلفنا: ممنوع الكلام، ممنوع الحركة، أنت بيد القوات الأمريكية المسلحة، يجب أن تحافظ على النظام وتنفيذ التعليمات. أدركنا الفجر ونحن على هذه الحالة، فصلينا الفجر على حالنا كما نحن. بدؤوا يأخذوننا واحداً تلو الآخر دون أن نعلم، أو نرى إلى أين.

sp

الحياة في بجرام

جاء دوري، وتقادم جندي ساقتي أمامه، وهو يمسك بي، وأدخلت إلى غرفة، حلوا قيد الأيدي ورفعوا الكيس عن رأسي، حلوا قيد الأرجل، إنهم يحيطون بي من كل مكان، طلبوا مني أن أخلع ملايبي كلها، تلكأت؛ لأن هذا يحدث للمرة الأولى في حياتي، لكن تحت ضغط الكلام العالي، والغضب، فعلت. أخذوا مني كل شيء وأعطوني لباسا آخر - أبرهول - وحذاء خفيفاً وكتبوا على الأبرهول الرقم ١٧١، وقالوا: هذا رقمك وأعادوا قيد الرجلين، ثم قيد اليدين، لكن من الأمام، وأدخلوني إلى غرفة صغيرة، وحقق فيها معي تحقيقاً سريعاً، ثم أدخلوني إلى حظيرة أرضية تحيط بها الأسلاك والأشواك المديبة من كل جهة، لكن أرض الحظيرة خشب عليه سجاد خفيف.

إنها ست، أو سبع حظائر، بجانب بعضها، كل حظيرة تتسع لعشرين شخصاً، كل حظيرة منفصلة عن الأخرى بأسلاك مديبة

وأدخلوني إلى الحظيرة رقم (١) لقد كان الوقت صباح يوم الجمعة ٦ أو ٧ لعام ٢٠٠٢م، يشرف على هذه الحظائر حراس من الطابق الثاني، معهم أسلحتهم الرشاشة المصوبة على الحظائر، كما يوجد أيضاً حراس في الطابق الأول حولنا، يحملون أسلحة صغيرة، مسدسات أو نحوها، يحملونها على صدورهم، أو على أفخاذهم يسرون حولنا، أو يجلسون أمامنا، يقومون بتقديم الخدمات، كالطعام أو الماء للسجناء، عرفنا فيما بعد أن هذا المكان هو قاعدة بجرام في أفغانستان.

الطعام ثلاث وجبات، أولاً الفطور، بعد صلاة الفجر مباشرة، والغداء الساعة الحادية عشرة، والعشاء الساعة الرابعة بعد الظهر، والطعام عبارة عن وجبات معلبة ليست جيدة، ولكنها ليست سيئة، متشابهة ومتكررة يومياً، وهي أكياس جاهزة يحضرها الحارس لكل حظيرة في وعاء بلاستيكي، وكل سجين له وجبة مكونة من كيس، فيه معكرونة أو أرز بالدجاج قطعاً صغيرة جداً والكمية قليلة أو أرز مع قطع اللحم القليلة والصغيرة أو فاصوليا سوداء مع قطع الدجاج الصغيرة، بالإضافة إلى قطعتين من البسكويت، علبتين صغيرتين جداً فيهما صن فلكس (Sunflax) وهو بسكويت خفيف، وفي الأيام الأخيرة كانوا يقدمون عبوة من الزبيب صغيرة جداً لكل سجين، أما الخبز ففي كل أسبوع نأخذ مرتين، والفاكهة لم نرها إلا مرات قليلة خلال الشهرين.

وبعد انتهاء وجبة العشاء عصراً، يسمح لكل سجين أن يستعمل معجون الأسنان وفرشاة مرة كل يوم، يحضرها الحارس يومياً ويأخذها بعد انتهاء الاستعمال، ولا يسمح ببقائها مع السجين، ولكل سجين فرشاة خاصة عليها رقمه، لا يستعملها غيره، والمياه ٣-٤ لترات يومياً لكل سجين، وهي للشرب والطهارة والوضوء، أما الاغتسال، فمرة كل أسبوع مدة خمس دقائق، والماء غير كافٍ وغير نظيف والذهاب للحمام مقيد اليدين والرجلين، ومغطى العينين، وربما ربطوا العشرة والعشرين شخصاً بحبل، الواحد تلو الآخر، وإذا وصلنا إلى مكان الحمام، فكوا القيود من أيدينا وأرجلنا، وأزالوا الغطاء عن العينين، والحمام ساتر من ثلاثة أوجه إلى منتصف الشخص إذا وقف، والجهة الرابعة مكشوفة.

أما التفتيش، فالسجين معرض للتفتيش في أي وقت من ليل أو نهار، وبطريقة استفزازية وعنيفة، ولا تستطيع أن تعترض على أي شيء، فالخوف والرعب كان يملكنا في هذه القاعدة، وربما كان بعضنا لا يستطيع النوم أو الأكل أو الشرب من شدة الخوف، إنه بمجرد أن يقول الحارس: تفتيش، يقف جميع السجناء في زاوية الحظيرة، الأيدي خلف الرأس، وممنوع الحركة، يدخل مجموعة من الجنود داخل الحظيرة، ويبقى بعضهم في الخارج، ويقوم أحدهم بإشهار السلاح واليد على الزناد، والتفتيش يشمل الجسم في كل ناحية منه، ويشمل تفتيش الأغراض.

أما الحمام، حيث مكان قضاء الحاجة، فيوجد برميل لكل حظيرة يجلس فوقه الشخص عند قضاء الحاجة، وهو مكشوف من الجهات كلها إلا الجهة الخلفية يستتره الجدار، لكن السجناء يسترون أنفسهم بالبطانية عند دخوله، ويجب أن يكون القسم العلوي من جسمك، وأنت داخله ظاهراً للحارس، وإذا حاولت تغطية نفسك بالبطانية عند قضاء الحاجة، صرخ عليك الحارس، حتى تكشف رأسك المغطى بالبطانية؛ من أجل أن يراك.

بعد مضي ثلاثة أسابيع قاموا بخلق شعر الرأس واللحية والشوارب، فاعترض بعضنا وطلب إعفاءه من الحلق، لكن لم يسمعه أحد، وقد كرروا علينا الحلق في بجرام مرتين، بعض السجناء تأثر كثيراً، ولم يستطع الأكل عدة أيام، فأحد السجناء طلبوه للحلاقة، حيث جلس على الكرسي مقيد اليدين والرجلين، وبدأ الجندي يحلق له، لكنه في أثناء حلق لحيته يبدو أن آلة الحلاقة تسببت في إيذاء لحيته ووجهه، فقام السجين من دون قصد، وأمسك بيد الجندي الذي يمسك آلة الحلاقة، يريد أن يقول له: لقد أذيتني، هذا العمل أثار غضب الحارس، وأمسك بخناق السجين ورماه على الأرض، وجلس فوقه، والسجين مقيد اليدين والرجلين، فهاجم مجموعة من الجنود، وساعد بعضهم الجندي على السجين وانتهى المشهد بانتصار الجنود على السجين المقيد.

ولما رجع السجين إلى الحظيرة التي نعيش فيها سوياً، سألتناه:
ما الذي جرى، أتريد أن تمنع الحارس من الحلاقة؟ قال: لا إنما
أذنتي آلة الحلاقة، فأمسكت بيد الحارس دون قصد، وكأنني أقول
له: لقد أذنتي آلة الحلاقة، فظن الحارس أنني أريد أن أمنعه من
إتمام الحلاقة، لقد كان هذا الأمر شديداً علينا، نحن المسلمين؛
لأن اللحية عندنا في الدين لها مدلول وحكم معين، إن بعض الناس
لم يخلق لحيته طيلة عمره، منذ أن نبتت على وجهه، أما أنا فإنها
المرّة الأولى التي تحلق فيها منذ ٢٩ عاماً، لكن ربما هذا الأمر لا
يعني شيئاً عند الأمريكان، أو غيرهم.

هـ

التحقيق

بعد خمسة أيام من وصولي إلى بگرام، وعند الساعة العاشرة ليلاً نادى الحارس على رقمي (١٧١) لا يوجد هناك أسماء أنت مجرد رقم في مسألة فما لبثت إلا قمت مذعوراً؛ لأنها المرة الأولى التي أمثل فيها أمام التحقيق، فالتحقيق الذي مر معنا في باكستان لم يكن بمثل هذا الجو، وهذه الرهبة، فتقدمت إلى الشبك، وقيد الشرطي يديّ ورجليّ ووضع الكيس في رأسي، وساقني أمامه، ثم صعد بي على الدرج، وأدخلني إلى غرفة، وأجلسني على الكرسي، عرفت أنني في الطابق الثاني، رفع الكيس عن رأسي، بعد دقائق جاء رجلان يلبسان اللباس المدني، فعرفت فيما بعد أن أحدهما محقق والآخر مترجم، بدأ المحقق يسأل والمترجم يتكلم معي، وأنا مقيد اليدين والرجلين، فالمترجم عربيته مكسرة، لكنه يفهم، فهو ليس عربياً يبدو من سحنته أنه غربي مثل المحقق، فدخلني شعور

وإحساس يقول: هذا المحقق لا أدري عن أي شيء سيسألني، ماذا صنعت في حياتي ضد الأمريكان ليسألني عنه، فأول سؤال يتوجه به المترجم إلي: هل تشرب البيرة؟ قلت: لا، قال: هل تأكل لحم الخنزير؟ قلت: لا، هذه أمور محرمة في ديننا قلت في نفسي: ما علاقة البيرة ولحم الخنزير بالإرهاب، أو بتفجيرات نيويورك وواشنطن ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨١).

المترجم يسألني عن الاسم، وسنة المولد، والعائلة، والدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية، والتحصيل الجامعي، والعمل بعد التخرج، والزوجة والأولاد، والعمل في باكستان، ثم بدأ يسألني عن الشباب العرب الذين يهربون من أفغانستان إلى باكستان، وعن أماكنهم ومن يساعدهم في المال والوثائق للسفر للخارج، فقلت: لا أعلم، قال: كيف لا تعلم، إنك تعيش في باكستان؟ قلت: أنا أعيش في باكستان، لكن أعيش في مناطق الحكومة الباكستانية، ولا أعيش في المناطق الحكومية إلا من يحمل وثائق وإقامة من الحكومة الباكستانية، وهؤلاء الذين تسألني عنهم، تقول: إنهم يحملون وثائق وجوازات غير صحيحة، فهؤلاء لا يستطيعون أن يعيشوا في مناطق الحكومة، ثم تقول: إنكم أمسكتم بمجموعة من هؤلاء، إذا هم موجودون عندهم، فاسألهم: هل يعرفونني؟ اسألهم: من يساعدهم؟ فإن سألتني عن الذين يعيشون في مناطق الحكومة، ربما أعرفهم، أما الآخرون فلا أعرفهم.

بعد ساعتين تقريباً انتهت الجلسة، ورجعت للحظيرة رقم (١) التي أسكنها، مقيد اليدين والرجلين، والكيس في رأسي، لكن عند دخول الحظيرة -على بابها- يقوم الحارس بفك قيد اليدين والرجلين ونزع الكيس من الرأس.

إن التحقيق لا يكون يومياً، وليس له برنامج منظم، كل أسبوع مرة مثلاً، فهو حسب المحقق الذي يستلم قضيتك، يطلبك متى يريد، مضت أيام قليلة لم أذهب إلى التحقيق، وفي منتصف إحدى الليالي إذا بشاب سجين في الحظيرة نفسها التي أعيش فيها يرتفع صوته، بصراخ ممزوج ببكاء، بعد ذلك عرفنا القصة، وهي أن أحد الحراس قام بمعاقبة هذا السجين، والعقاب أن يقف ساعة أو أكثر، ويداه إلى أعلى مقيدتان معاً، ومربوطتان بشبك حديد الباب، ووضع الكيس في رأس المعاقب.

هذا العقاب للشخص العادي الذي لا يوجد عنده مرض، خاصة في رجليه محتمل، مع وجود بعض التعب، لكن من يعاني من مرض في رجليه، أو في مكان آخر، فهذا العقاب الذي يبدو خفيفاً يتعبه، إن هذا السجين تحيل ضعيف الجسم، متعب ومريض، لا تحتمل قدماه الوقوف ساعة كاملة، ويبدو - كما سمعت - أنه كان قد تعرض للضرب والتعذيب في المعتقل الذي جاء منه، وعلى صراخ هذا السجين هرع الحراس؛ ليروا المشكلة، وإذا بالسجين معلق بالباب، مدلى على الأرض لا تحمله قدماه.

والعادة أن الحراس يهرعون إذا ما سمعوا أي صوت؛ لأن الصوت دليل على وجود مشكلة ما، خاصة أن الجو العام لجميع الحظائر الستة الصمت والسكوت، فالكلام ممنوع مع الآخرين، حتى الكلام مع نفسك غير مسموح به، فقام الحارس بفك قيد السجين من حديد الباب، فسقط المسكين على الأرض؛ لأنه كان معلقاً بيديه على الباب، طلب منا الحارس رفعه وإرجاعه إلى فراشه وتقديم الماء له، لكن تنفس هذا السجين وتشخيصه مرتفع، فقد كان عنده ضيق تنفس، جاء الطبيب - كانت سيدة - فقدمت له بعض الكبسولات، تفرقتا عنه؛ لأن التجمهر ممنوع، تركناه يشخر، وأسلمنا أنفسنا للنوم.

العقاب في السجن كثير، ولأتفه الأسباب وأقلها، وربما من دون سبب؛ لأن المطلوب إلقاء الرعب في قلوب المساجين، وإلزامهم بأنظمة السجن وقوانينه، من تكلم مع جاره، ولو بصوت منخفض، أو تكلم مع نفسه، أو خالف أي قانون من قوانين السجن أو خالف أي أمر من أوامر الجنود، ولو كانت أوامر الجنود ليست من قوانين السجن ولوائحه فإنه يعاقب، والأذان ممنوع، فقد قام أحد السجناء العجم، وحاول أن يؤذن مرة، فقال له الحارس بالإنجليزية: اسكت، ولكني لست أدري هل قانون السجن يمنع الأذان، أو هو أمر من الحارس، ومن أراد الأذان كان يؤذن بصوت منخفض، ويلتفت يميناً ويساراً؛ حتى لا يراه أحد.

وصلاة الجماعة ممنوعة، والوضوء بالماء، ولو بالماء القليل الذي هو نصيب السجين واستحقاقه ممنوع، إلا أن يكون الوضوء خفية، وإذا رأى الحارس يصرخ عليك بأن الوضوء ممنوع، وقد سمعت أذناي من الحارس قوله: استعمال الماء، ولو كان قليلاً في دورة المياه غير مسموح به، وطلب الحوائج والخدمات من الحراس لا بد أن يسبقه كلمة: PLEASE - من فضلك - لا بأس بهذا، لكن لو نسيت هذه الكلمة عامداً أو ساهياً، فإن هذا السهول لا يجبره أي شيء على المذهب الأمريكي.

كان معنا في الحظيرة رقم (٦) أحد السجناء المعوقين، من دون ساق، قام مرة وطلب قارورة ماء من أحد الحراس، فغضب الجندي وقال للسجين: قل لي: PLEASE من فضلك أعطني الماء، وغاب الجندي عشرين دقيقة تقريباً، ثم رجع وقال للسجين، تريد الماء مني؟ إذا طلبت شيئاً من الحارس فقل له: من فضلك لو تسمح أعطني، وكرر هذا الكلام على السجين عدة مرات.

ماء الشرب الذي يقدم للسجناء، ماء حار، غير بارد، ودرجة الحرارة مرتفعة، ومن أجل أن نبرد الماء، كنا نقوم بتغليف قارورة الماء بورق الفايين T.P منديل الحمام عدة طبقات، ونصب الماء على الفايين؛ حتى يتشرب ورق الفايين الماء، ونتركه قليلاً في الهواء، فيبرد الماء، وهذا يتم خفية عن الحرس، وإذا رآه الحارس منعه وصادر علب الورق.

كنت أرى بعض السجناء لا يفارقه قيد اليدين والرجلين، سواء في داخل الحظيرة التي ينام فيها أو عند الذهاب للتحقيق، فعيون الحراس ترقبه ليل نهار.

أما اللباس، فقد مضى عليه شهر دون تغيير، وظهر عليه الوسخ ورائحة العرق، بسبب الغبار الكثير والحرارة المرتفعة، وإذا تمزق لسبب أو لآخر، فمن الصعوبة تغييره أو إصلاحه، فقد تمزق لباسي - الأبرهول - لأنه لباس ليس على قياسي؛ إنه ضيق، لقد تمزق من أول يوم، ومع ذلك لم يغيروه لي، حتى أخبرت أعضاء الصليب الأحمر الذين كانوا يزوروننا بين الحين والآخر، حتى اللباس الجديد تمزق وانكشف بعض جسدي، فطلبت تغيير اللباس من الحرس، فأجابوا بالرفض، ولكنني لا أستطيع النوم أو الصلاة فيه، أو حتى الجلوس به، فأخذت قطعة حديد من الأسلاك الموجودة، وبدأت أثقب القماش مكان إبرة الخياطة، وأربط مكان الثقب بخيط، وهكذا من هنا خيط، ومن هناك خيط آخر حتى تم إصلاحه، ولكن ليس بشكل جيد.

بعد مضي أسبوع على وجودي في الحظيرة رقم (١) قام الحراس بنقلي إلى الحظيرة رقم (٦)، وقد بقيت فيها حتى رُحِّلنا إلى كوبا، وقد بقيت في بجرام مدة شهرين.

بعد مضي أيام من وصولي إلى هذه الحظيرة طلبوني للتحقيق، وسألوني إن كنت أعرف الأشخاص الذين يساعدون المقاتلين

الهاربين من أفغانستان إلى باكستان، أو إلى خارج باكستان، من يساعدهم ويقدم لهم المال، أو يقدم لهم الجوازات، ويعمل لهم التأشيرات للدخول أو الخروج، من يرشدهم ويدلهم على الأماكن والطرق؟ فقلت لهم: أنا لا أعرف إلا الذين يعيشون في بيشاور؛ لأنهم يحملون وثائق صحيحة وإقامات من الحكومة الباكستانية، وهؤلاء الذين تسألونني عنهم لا يمكنهم العيش في أماكن تسيطر عليها الحكومة؛ لأنهم يحتاجون إلى وثائق وجوازات صحيحة وإذن تصريح إقامة من الحكومة، وهذه لا توجد معهم.

بعد ذلك سألوني: هل يمكن أن يعيش هؤلاء الذين لا يحملون الجوازات والوثائق الصحيحة في مناطق القبائل التي لا تخضع لسيطرة الحكومة الباكستانية؟ فقلت لهم: نعم، الهاربون من أفغانستان إلى باكستان، ربما يعيشون في مناطق القبائل، لأنها مناطق حرة، لا تخضع لحكومة، وهي مناطق لا تحتاج إلى تأشيرات وإذن إقامة من أحد، ثم إنكم تقولون: إنكم اعتقلتم مجموعة من هؤلاء الهاربين من أفغانستان، في المناطق الحدودية والقبلية، أسألوهم عن الأشخاص الذين يساعدونهم بالمال أو بالوثائق وغيرها، لماذا تسألونني عنهم، ثم أسألوهم إن كانوا يعرفونني، أنا لا أعرفهم ولا يعرفونني؟ فقالوا لي: لقد شهد عليك بعضهم بأنك تقدم لهم المساعدة، قلت: هذا غير صحيح، قالوا: كيف غير

صحيح؟ إن الشاهد الذي شهد عليك موجود هنا، في إحدى هذه الحظائر، قلت لهم: إن كان ما تقولونه صحيحاً، فليحضر هذا الشاهد هنا، وليشهد علي وليقل: كيف أقدم لهم المساعدة ومتى وما هي المساعدة التي قدمتها لهم، وفي أي مكان قدمت لهم ذلك، فقالوا: الشاهد عليك موجود، لكن لا يريد أن يقابلك، قلت: هذا الكلام إذاً غير صحيح، فهو كلام بلا بينة، لا يستحق الرد عليه.

انتهت الجلسة وانصرفت كما جئت، مقيد اليدين والرجلين والكيس في رأسي، بعد يومين طلبني المحقق وكان هذا المحقق جديداً، فسألني عن أقاربي الموجودين في باكستان والأردن، فقد كان يتقن العربية وسألني عن أفراد عائلتي، أولادي، الذكور والإناث، ثم سألني سؤالاً محرجاً لا علاقة له بالقضية التي جمعوا الناس من أجلها، قال: بناتك كبيرات، قلت له: نعم، قال: ابنتك الكبيرة جميلة؟ قلت له: إن كانت جميلة أو غير جميلة فما علاقة هذا الأمر بالتحقيق؟ أنت اعتقلتني من باكستان إلى هنا، حتى تسألني هذا السؤال.

وكانت بيده سيجارة يمصها بقوة، ثم ينفث دخانها من فمه علي، وينظر إلي بغرابة، قال: إني أشعر بالملل والسآمة، قلت له: لماذا؟ كل شيء متوافر لديك، الصحف والمجلات والقنوات الفضائية، والأفلام والمأكّل والمشارب والنساء، قال: إني أشعر

بالضجر والملل، أنا مسجون مثلك، لا أستطيع مغادرة هذا المكان،
إنني مقيد الحركة، أتمنى أن أرجع إلى زوجتي وأولادي، كما تتمنى
أنت، قال: الشيخ عبد الله عزام قريبك؟ قلت: نعم، قال: ما صلة
القراية بينكما؟ قلت: عمي، قال: أين عائلته، قلت له: في الأردن،
فسألني عن أولاده وبناته وأزواجهن، وأسمائهم، قلت له: الكبير
محمد، قتل معه مع أخيه إبراهيم، ثم حذيفة ويدرس في كلية
الشرعية، ثم حمزة ومصعب يدرسان في الأردن، قال: بناته، قلت
له: الكبيرة كانت في باكستان، وسافرت مع زوجها إلى الأردن، ثم
الأخرى زوجها يدرس في روالبندي، وسافر إلى الأردن، قال: عبد
الله أنس، قلت له: صهر الشيخ قال: أين هو؟ قلت له: في بريطانيا،
قال: ماذا يعمل؟ قلت: لا أدري، هو لاجئ هناك منذ عشر سنين.

ثم سألتني من قتل الشيخ عبد الله عزام؟ قلت: لا أعرف، كان
رجال الشرطة الباكستانية يأتون ويأخذون التحقيق والمعلومات
من عائلته، ويخبرونهم بأن التحقيق في قتله مستمر، وسنخبركم
فيما بعد عن القتلة، فعليكم بالصبر، ثم قلت له: إن ضياء الحق
الرئيس الباكستاني سقطت طائرته منذ أربعة عشر عاماً، وحتى
الآن لم تعلن الحكومة الباكستانية عن سبب سقوط الطائرة، ولا
يزال الشعب الباكستاني ينتظر الجواب من حكومته خاصة عائلة
الرئيس، أتريد منا أن نعرف من قتل الشيخ، والحكومة الباكستانية

لم تعلن أي شيئاً عن هذا الأمر، على الرغم من أنه قتل على أراضيتها، وكان يعمل دكتوراً مبعوثاً من رابطة العالم الإسلامي إلى الجامعة الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي هيئة حكومية سعودية عالمية، فقتل الشيخ ليس كقتل أي شخص عادي، إنه شخص ينتسب إلى جامعة حكومية وهيئة سعودية عالمية، لكن غاب كل شيء ولا يعرفون عن القتلة شيئاً.

كان يبدو على المحقق الإرهاق والتعب، فقال لي: إني متعب، قلت له: لماذا لا تستريح؟ قال: لا أستطيع الراحة، والإرهابيون موجودون، وكان الوقت ليلاً، فقال: انتهت الجلسة الآن انصرف، وعدت إلى الحظيرة كما جئت مقيد اليدين والرجلين مع الكيس في رأسي.

إنهم يراقبون ويسجلون، ويحاسبون السجن على كل حركة، أو تصرف يقوم به إن الإنسان في السجن يشعر بالفراغ الكبير، إن اليوم في السجن طويل، فلا بد أن يطرد الإنسان الملل والسآمة عن نفسه أولاً، ثم لا بد أن يملأ هذا الوقت بالنافع من القول والعمل، إن جميع الاتصالات بالعالم الخارجي غير موجودة، ليس هناك صحيفة ولا مجلة، ليس في السجن تلفون أو تلفزيون، لا كتاب ولا شريط، لا يوجد معك إلا القرآن الكريم أو العبادة التي تملأ السجن بالأمن والطمأنينة والسكينة، والرضا بالقضاء والقدر، لا يوجد معك إلا الاتصال برب الأرض والسماء، والعبادة والدعاء بأن يكون فرج الله

للمظلومين قريباً بقدره رب العالمين، قال لي صاحبي: لا تكثر من العبادة والنوافل وقراءة القرآن أمامهم إنهم -الحرس- يراقبون كل واحد، ويكتبون كل صغيرة وكبيرة يعملها.

وصدق صاحبي في ملاحظته بعد يومين من نصيحته لي، طلبني المحقق وقال لي: أنت جيد، أنت مسلم ملتزم، صادق، وأنت كم تصلي في اليوم، كم مرة كنت تذهب إلى المسجد؟ قلت له: كيف عرفت أنني مسلم صادق؟ قال: أنت تصلي كثيراً، قلت له: لا يوجد عندنا أي شيء من الكتب والمجلات والجرائد، لا يوجد شيء يؤنسنا، ويخفف عنا ساعات السجن إلا الصلاة وقراءة القرآن، أنت لا يعجبك هذا لا تحبه؟ قال: لا، لا، أنت تفعل ما تحب، هذا أمر يخصك، قلت لصاحبي لما رجعت: لقد سألتوني عن الصلاة والقرآن، قال: ألم أقل لك، قلت له: إذاً لماذا هم يقدمون لنا القرآن الكريم؟ قال: أنت مسكين، إنهم يقدمون القرآن الكريم لك؛ ليعرفوا كم تقرأ منه يومياً؟ هل أنت متعلق به أم لا؟ ليعرفوا مدى احترامك وإجلالك للقرآن؟ بينما لو لم يسلموك القرآن، فكيف يعرفون هذا.

لقد كنت أرى بعض المسجونين يقللون صلاتهم وقراءتهم للقرآن، ويخففون عباداتهم ونوافلهم؛ حتى يظهروا عامدين أمام الحراس الأمريكيين بأنهم عاديون، وليسوا متطرفين متشددين،

وليسوا متزمتين (حسب تفسيرهم) إنهم أرادوا أن يأخذ عنهم الأمريكيان أنهم مسلمون (سكر خفيف) كما يقول بعض الناس، بل إن بعضهم كما سمعت قال للمحققين: إنه ترك دينه، إنه تنصر ودخل في دين المسيح عليه الصلاة والسلام؛ ليخرج من السجن، لقد ظن هذا المسكين أن المحققين سيصدقونه ويطلقون سراحه.

وقد فطن له المحققون، وأدركوا كذبه وأن الذي يفعله هذا الشخص إنما هو حيلة ورخصة يترخص بها؛ ليخرجوه من السجن، وليس جاداً فيما أظهره، لقد كان بعضهم يعتمد الكلام مع المجندات، كلما مرت إحداهن من أمامه، بل لا يطلب ما يريده من أغراض إلا من المجندات، مع وجود الجنود والحرس، إنه يطيل الكلام مع النساء، ويضحك، وربما بدأ يغني، ويظهر في اللباس الرياضي في غرفته في مكان الرياضة، بل ربما يتكلم مع المجندة بكلام لا يقوله الرجل إلا لزوجته، يقول لها: أعطني قبلة، إنني أحبك (I LOVE YOU) وغير ذلك، أنا لا أدري هل هذه هي حقيقة هؤلاء السجناء أم هو التظاهر بقلة الدين والتحلل، لأمر يقصدونه.

لقد كان بعض السجناء يستلم بعض آلات التسلية، مع أنه لا يعرف استعمالها، ولا يريد أن يستعملها أصلاً؛ حتى لا يقول عنه الأمريكيان: إنه ليس متشدداً أو إرهابياً كما يسمونهم، كما كان بعضهم يتسلم الشطرنج مثلاً أو أوراق الشدة - البليت - أو غيرها

من الألعاب، ويضعها في غرفته؛ حتى لا يُقال عنه: إنه متمزمت، بل إنه منفتح وليس منغلقاً على نفسه، لقد سمعت أن بعض السجناء لبس الصليب، وترك الصلاة، وترك دينه الإسلام ودخل في دين آخر، إنه ارتد عن دينه لأمر يقصده ولحاجة دنيوية يطمع فيها، ومضى عليه وقت طويل لم يحصل على هذا المقصد ولم يحقق هذا الطمع، بل تعسر حاله وساءت أحواله، وازداد بلاؤه وصعبت حياته، وتسلط عليه الضنك والهم والحزن.

ومضت أيام قليلة وحضر الحارس وقال: رقم (١٧١) للتحقيق، فوقفت على باب الحظيرة؛ ليقوم الحارس بتقييد اليدين والرجلين، ثم أخذ الكيس وألبسه في رأسي وساقني كالمعتاد إلى الطابق الأعلى دخلت الغرفة، وجلست على الكرسي، ورفع الكيس عن رأسي، وإذا أنا أمام محقق جديد ومعه مترجم - سيدة - جلست، حيث كان الوقت ليلاً، فقلت له: مساء الخير، قال: أنا لست بخير، قلت له: لماذا؟ قال: أنا لا أستطيع أن أستريح حتى أقتل جميع الإرهابيين، قلت له: من هم الإرهابيون؟ قال: أنتم، قلت له: ليس كل من جمعتموهم هنا إرهابيين، إن كثيراً منهم لا يعرف أسامة بن لادن، ولم يره طيلة حياته وقسم منهم لم يدخل أفغانستان أبداً، جمعتموهم من باكستان، حيث كانوا يعملون في مؤسسات إغاثية وإنسانية، وقيمون بأوراق وجوازات صحيحة وإقامات من الحكومة الباكستانية

التي تعرف عنهم كل شيء، عملهم، مسكنهم، تحركاتهم، قال: هؤلاء الإرهابيون كيف يدخلون إلى باكستان من الحدود الأفغانية وباكستان دولة فيها حكومة وجيش وشرطة كيف تسمح لهم؟ قلت له: أنا لا أعرف.

ثم أردفت قائلاً له: إن علاقتكم بالحكومة الباكستانية جيدة وعلى أحسن حال يمكنكم أن تسألوهم عنهم، وفي أثناء الحديث مرت فراشة من أمامي، وجعلت تذهب وترجع أمامي، فأردت أن أقتلها برجلي، قال لي: ماذا تريد منها؟ قلت: أريد أن أقتلها، قال: لا تقتلها أنت إرهابي؟ قلت: لا، إنها أزعجتني وأزعجتك أنت أيضاً، فأردت قتلها.

وبعد أيام حصل مثل هذا الموقف وأنا في الحظيرة مكان النوم، فقد رأى أحد الحراس من يريد قتل مثل هذه الفراشة فنهاه عن قتلها فسألت أحد السجناء عن سر النهي عن قتل مثل هذا الفراش، فقال لي السجين: إن أحد الجنود أخبره أنهم يحبون مثل هذا الفراش يطبخونه مع الزيت وهو وجبة لذيذة عندهم، والله أعلم بما قاله السجين، وما قاله الجندي، ثم سأل المحقق سؤالاً آخر، فقال: هل يمكن أن يقوم هؤلاء الإرهابيون بتقديم أموال ورشاوى للشرطة الباكستانية حتى تغض الطرف عنهم، وتسمح لهم بالمرور من أراضيها أو العيش فيها؟

قلت له: لا أدري، قال: هل قمت طيلة حياتك في باكستان بدفع رشوة للشرطة الباكستانية، قلت له: لا؛ لأنني أقيم في باكستان بشكل

قانوني، قال: هل يمكن أن تقبل الشرطة الباكستانية الرشاوى، قلت له: أنا لا أعرف، قال: هل سمعت أن أحداً قدم الرشوة لي تجاوز القانون أو يتخطاه؟ قلت له: لم أسمع، قال: هل يعقل هذا؟ قلت له: أنا لم أسمع، أنا ليس لي اختلاط بالناس، قال: ما هي بارة ودارة؟ قلت له: أسمع بهما ولم أرهما، إنهما منطقتان قبليتان لا تخضعان للحكومة الباكستانية، قال: هل يمكن أن يكون بهما إرهابيون؟

قلت: أنا لا أعرف إن كان بهما إرهابيون أم لا، أنا لست مراقباً على الناس حتى أعرف أين يعيشون، وكيف يتحركون وبمن يتصلون، وعندكم وسائل حديثة وأجهزة متطورة أكيد أنها أخبرتكم عن كل شيء أو أخبرتكم عن أكثر الأشياء، ثم أخرج خريطة لحياة أباد وهي منطقة سكنية جميلة ونظيفة وهي حي من أحياء بيشاور، الخريطة، كبيرة طولها متر، وعرضها متر ثم قال: أين بيتك؟

قلت له: عفواً أنا لا أستطيع أن أستعمل الخريطة العسكرية، اقرأ لي أنت أسماء الأحياء والشوارع والمناطق، عندها يمكن أن أخبرك أين بيتي، وفعلاً قرأ اسم الشوارع والمناطق قلت له: هنا بيتنا قال: وبيت فلان وفلان، وهم أشخاص مسجونون معنا، واعتقلوا معنا في ليلة واحدة، قرأ أسماء الشوارع والمناطق قلت له: هنا يكون بيت فلان، وهنا يكون بيت فلان انتهت الجلسة، ورجعت إلى الحظيرة، مكان الإقامة والنوم.

مضت أيام، وإذا بالحارس ينادي على رقمي (١٧١) تحقيق
قلت: هأنذا، قيدني كالمعتاد ووضّع الكيس في رأسي وساقني إلى
الطابق الثاني مكان التحقيق، جلست على الكرسي وإذا المحقق
جديد، سألني عن السيرة الذاتية اسمك، مولدك، دراستك، عملك،
حتى ألقى القبض علي، ثم قال لي: هناك معادن نشيطة متحركة،
غير ساكنة تؤثر في غيرها وتنشطها، أنت عنصر نشيط، مثل
المعدن النشيط، قلت له: المعلومات هذه غير صحيحة، قال: هل
تعرف الفارين من أفغانستان إلى باكستان، أين يسكنون، ومن
يساعدهم في عمل الجوازات والتأشيرات، ومن يرشدهم، ومن
يقدم لهم المال؟

قلت له: أنا أعيش في بيشاور، وهي منطقة حكومية، إن سألتني
عنها أعرف وأجيبك، وهؤلاء الذين تسألني عنهم لا يستطيعون
السكن في مناطق الحكومة، إنهم يسكنون في المناطق القبلية
والحدودية التي لا تخضع لسيطرة الحكومة، وهذه مناطق لا تحتاج
إلى وثائق وجوازات، ولا تحتاج إلى إذن إقامة أو تصريح دخول
وخروج، ولا تحتاج إلى إذن أحد، قال: بل تعرف ويوجد من يشهد
بذلك عليك.

قلت: هذا غير صحيح، وإن كان صحيحاً، فأحضر لي من
قال لك، وليشهد علي أمامي، قال: أنا متأكد أنه يوجد من قال:

إنك تعرف، قلت: أؤكد بجميع التأكيدات أنني لا أعرف، قال: انصرف الآن وفكر في الأمر، عدت إلى الحظيرة رقم (٦) مكان النوم، وفي اليوم الثاني استدعاني، وقال: هل فكرت؟ قلت له: فيم ذا: قال: فيما أخبرتك بالأمس، قلت له: أنني أنا، قلت لك: أنني لا أعرف، فأجلسني على ركبتي، ويدي مقيدتان خلف رأسي ورجلاي مقيدتان، وقال: أجب، وأخبرني عما سألتك، قلت له: ليس عندي إلا هذا الجواب، لا أعرف شيئاً عن هؤلاء الذين سألتني عنهم، أبقاني ساعة على هذه الحالة والكيس في رأسي، والجو حار والجمني العرق وضاق نفسي.

بعد ساعة جاء، وقال: انصرف الآن وفكر في الأمر وسوف نطلبك فيما بعد، رجعت وكان الوقت نهائياً وفي اليوم نفسه ليلاً طلبني، والذهاب إلى التحقيق أو الرجوع منه لا يتم إلا بتقييد اليدين والرجلين والكيس في الرأس، جلست، فوجدت المحقق السابق ومعه شخص آخر، يبدو من سحنته وخلقته أنه من جنوب شرق آسيا، كأنه ياباني أو صيني، هكذا يبدو إلي شكله، أجلسني على ركبتي ويدي خلف رأسي مقيدتان ورجلاي مقيدتان أيضاً، لكن لا يوجد كيس في رأسي، قال لي هذا الرجل الجديد: هل فكرت فيما سألك عنه بالأمس، هل تعرف أم لا تعرف؟ قلت له: أنا أخبرتك بالأمس أنني لا أعرف، وأؤكد لك ذلك فشد لحيتي بيده شداً عنيفاً وقال:

لماذا تكذب؟ قلت: له أنا لا أكذب، قال: إنكم تعتقدون أن الكذب على العدو - علينا - يجوز في دينكم.

الكذب على العدو، وفي الحرب مباح وجائز أليس كذلك؟ قلت له: أنا لا أكذب عليك، قال: إن الكثيرين ممن يوجدون معك في الحظائر كذبوا علينا، ثم رجعوا وغيروا اعترافاتهم، وقالوا لنا: لقد كذبنا عليكم، وقالوا لنا: الأخبار والمعلومات صحيحة، قلت له: أنا لم أكذب عليكم، حتى أبدل كلامي وأغير معلوماتي، قال: سوف ترى هذا الكلام كله ليس من المحقق القديم، بل من المحقق الجديد - الياباني - إنه يهدد ويتوعد، أوقفني ووجهي على الجدار وقدماي مقيدتان ويدي خلف رأسي مقيدتان أيضاً، ووضع الكيس في رأسي، والحر شديد ألتقط نفسي بصعوبة وألجمني العرق كان العقاب ساعة تقريباً، بعد مضي الساعة قال: أتعرف أم لا تعرف؟

قلت: لا أعرف، قال: انصرف الآن، لنا معك عودة أخرى، نادى الحارس، أمسكني الحارس ودفعني أمامه بشدة وهو يمسكني بيديه، يد على منكبي واليد الثانية على خصرتي، ومن شدة دفعه لي، كدت أسقط من أعلى الدرج، وصلت الحظيرة رقم (٦) مكان النوم، وفي اليوم اللاحق نادى علي الحارس: رقم (١٧١) تحقيق، ذهبت، قال لي المحقق: أظن أنك غيرت رأيك وستخبرنا عما طلبناه منك، كما فعل ذلك كثير من السجناء.

قلت له: أؤكد لك أنتي لا أعرف، من دون قصد وانتباه بدأت أقسم له بالله العظيم إنني لا أعرف، بدأ يضحك هو وصاحبه ويقول: إنكم تعدوننا كفاراً يجوز الكذب علينا، أنتم لا تحبوننا تريدون إيصال الضرر والشر إلينا؛ لأنكم تعتقدون أننا كفار يجوز أن تفعلوا ضدنا كل شيء، هكذا أنتم تظنون، قلت له: إن كنت كافراً أو غير كافر، فهذه ليست مسؤوليتي، وهذا ليس عملي، هل أحضرتني من بيتي في باكستان إلى هنا؛ لأنني أنا مسلم وأنت كافر؟ إن المسلمين في العالم كثيرون لماذا لم تحضرهم هنا وتحقق معهم؟ إنك تتهمني بشيء وأنا منه بريء، لا علاقة للإسلام والمسلمين به، إنكم تجمعون الناس بلا ذنب وتحققون معهم وتتهمونهم بما هم منه براء.

قال: إذا لم تخبرني بما سألتك عنه فسوف نحضر زوجتك إلى هنا، وبعد أيام سوف تنهض من النوم وإذا بزوجتك هنا معك في السجن، قلت له: ما علاقة زوجتي بما تتهمني به وأنا منه براء، فكيف بزوجتي؟ قال: زوجتك تعطي المحاضرات والدروس وتحرض على القتل والإرهاب، قلت له: يا هذا، زوجتي امرأة أمية لا تستطيع أن تلقى المحاضرات والدروس، إنها ربة بيت ومربية أطفال، أنت واهم، الأخبار التي وصلتكم خطأ ١٠٠٪ لم يكثرث بما أقول أوقفني وأعاد علي عقاب الأمس، لكن الوقوف اليوم على قدم واحدة وليس

على قدمين، انتهت الساعة، أصبحت ثيابي كأنني خارج من بركة ماء من كثرة العرق، قال: انصرف الآن وسنعود إليك، جاء الحارس وأرجعني إلى مكان النوم.

بعد أيام استدعاني للتحقيق وأعاد علي السؤال السابق: هل أعرف الإرهابيين، كما يسمونهم ومن يساعدهم؟ قلت: لا أعرف كرر علي السؤال، وكررت عليه الجواب بالنفي، لقد استدعاني هذا الشخص الياباني أو الصيني الشكل، وسألني السؤال نفسه عدة مرات، وأعيد عليه الجواب نفسه، فليس عندهم أي تهمة أو شبهة إنما هي اتهامات وافتراءات ليس لها أي نسبة من الصحة، ليس عنده إلا هذا السؤال والاتهام، يعيده علي وأعيد عليه الجواب نفسه، وفي كل مرة العقاب ساعة، الكيس في الرأس والرجلان مقيدتان، واليدان خلف الرأس مقيدتان أيضاً، وهذا العقاب يكون وأنا واقف ووجهي نحو الجدار، وهم يجلسون أو هو يجلس وحده يرقبني حتى أبقى على الحال نفسه، دائم الوقوف لا أستريح، لقد مرّ في ذهني وأنا على هذه الحالة قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾. (البروج: ٧).

وبعد مرات كثيرة، وهو يطلبني للتحقيق، ولا يوجد عندي إلا الجواب نفسه، وأظنه يرى أنني صادق فيما أقول، ولا يوجد أي دليل ضعيف أو شبهة، تثبت علي ما يقوله، قلت له: لو كان معك مسدس

أو علقت لي حبل المشنقة في سقف هذه الغرفة، ثم هددتني إما أن أقول لك ما تريده أو تنفذ حكم الإعدام في المسدس أو بالمشنقة، لقلت لك: أنا لا يوجد عندي إلا الجواب نفسه الذي قلته لك نفذ الحكم الذي تريده؛ لأنني متأكد مما أقوله لك وأنا صادق ١٠٠٪ فيما أقوله لك، إلا إن أحببت أن أقول لك كلاماً كاذباً، أتريد مني معلومات كاذبة؟

قال: لا أريد، قلت له: إن المعلومات الكاذبة لا تفيدك، فإن كنت غضبان علي الآن شيئاً قليلاً لأنني صادق، فكيف لو قلت لك معلومات كاذبة، إن المعلومات الكاذبة تضر أو تؤخر التحقيق الذي تقوم به معي أو مع غيري، إنكم تريدون معلومات توصلكم إلى الحقيقة، أو توصلكم إلى الإرهابيين الذين تبحثون عنهم كما تسمونهم، والمعلومات الكاذبة لا توصلكم إلى الحقيقة يبدو لي أن قسمات وجهه ارتاحت لما أقوله وصدق ما يسمعه، قال: جيد انصرف الآن وسنعود إليك بعد ذلك.

نادى الحارس وأرجعني إلى حظيرة النوم، ثم طلبني في اليوم اللاحق ليلاً وقال لي تكلم، قلت: صدقتني إني بريء وبدأت أحلف له وهو يضحك، أنا جاد في يميني؛ لأنني أظن أنه يصدقني في يميني؛ قلت له: صدقتني لا يوجد عندي إلا الصدق والكلام الصحيح، قال لي: سنرى، نادى على الحارس وأرجعني إلى حظيرة النوم، رجعت

نمت مباشرة من شدة التعب، ولم تمضِ على نومي إلا ساعتان، وإذا بالحارس يوقظني بصوته العالي، فزعت من النوم، قلت له: ما الأمر؟ قال: ممنوع النوم وقفت مكاني، ثم أردت أن أرجع للنوم، قال: لا تتم، فعرفت أنه عقاب، لم أنم تلك الليلة، إلا ساعتين.

وفي اليوم اللاحق طلب مني الحارس أن أنقل فراشي البسيط، بطنائتين إلى غرفة صغيرة مشبكة بالحديد، أمام الحظيرة التي أسكن فيها؛ لأن كل حظيرة من الحظائر الستة يوجد في مقدمتها غرفة صغيرة ١,٥ × ٢ متر تقريباً، هذه الغرفة يدخل منها السجناء الموجودون داخل الحظيرة، ويخرجون إلى التحقيق أو إلى الحمام، أو أي غرض آخر، وتستخدم هذه الغرفة عقاباً للسجناء؛ لأنها صغيرة لا تتحرك فيها كثيراً، ومغلقة دائماً، حتى الحمام لا تذهب إليه إلا بالإذن، بخلاف باقي السجناء، يذهبون إلى دورة المياه من دون إذن، كما يشاؤون، ومن يجلس في هذه الغرفة يكون مقيد اليدين والرجلين، وحتى الذهاب إلى دورة المياه يكون السجناء مقيد الرجلين، واليدين، ونادراً ما يفك لك الحارس قيد إحدى اليدين؛ ليسهل عليك استعمال دورة المياه، ثم يعود ويربطها لك بعد ذلك، ثم إن هذه الغرفة - غرفة العقاب - أمام الحراس والجنود ٢٤ ساعة تحت المراقبة ١٠٠٪، إنك تأكل وتشرب فيها.

وقد جلست في هذه الغرفة أياماً لم يسمح لي بالنوم فيها إلا قليلاً، حتى النوم وأنت جالس على الأرض (متربع برجليك)

بجسمك على الأرض غير مسموح به، النوم قليل، وإن نمت وأنت جالس على الأرض، قال لك الحارس: قف لا تتم؛ لأن الغرفة تحت المراقبة الكاملة ١٠٠٪، وإن وقفت تعبت من الوقوف، ولا يسمح لك أن تتكئ على جدار الغرفة الحديدي لا يديك ولا بجسمك، إنه إرهاق شديد.

مضى على هذا العقاب أيام، ثم أدخلني إلى داخل الحظيرة، مكان النوم السابق، فرحت كثيراً لهذا التحول، لقد عافانا الله - عز وجل - من هذا العقاب الذي لا ناقة لي فيه ولا جمل كما يقول المثل.

إن جميع أوامر الحراس والجنود التي يوجهونها إلى السجناء، إنما يتلقونها من المحققين، الذين يديرون السجن من أوله إلى آخره عن طريق الحراس والجنود الذين ينفذون أوامر المحققين وتعليماتهم بدقة، إنهم لا يستطيعون عصيانها أو تأخيرها أبداً.

في بجرام كانوا يفرضون على السجناء المعاقبين زيادة على وضع الكيس في الرأس والتقييد بالسلاسل، كانوا يطلبون من بعض المعاقبين تنظيف الأرض من الأوساخ، والأشد من ذلك كان سجناء كل حظيرة يقومون بتنظيف حظيرتهم، وكان كثير من الأوساخ بين الأسلاك ذات الشوك المدبب، ولا بد لك من إدخال يدك بين هذه الأشواك، مما كان يتسبب في كثير من الجروح في أيدينا.

في بجرام يأمرك الحارس بما يحلولة، ذات مرة أراد واحد من الحراس أن يأمرك بأوامر لا ندري ما الحكمة منها، وما هي الفائدة في فعلها، قال: ضع القرآن جانباً لا تمسه، لا تقرأ فيه ولو غيباً، لا تتكلم حتى مع نفسك، اجلس على الأرض ولا تقف ولا تتحرك من مكانك، الجميع جلس كان كل واحد منا جماداً في مكانه، بعد قليل قال: قم واقفز مكانك، بعدها جلوس، بعد الجلوس هرولة داخل الحظيرة خلف بعضنا.

إن مشاهدة النساء - المجندات - باللباس الرياضي القصير شيء عادي عندهم ومألوف في حياتهم، لكن عند السجناء هذا الأمر غير مألوف، إنه أمر يضايقهم، ربما تمر المجندات باللباس الرياضي القصير من أمام السجناء، إنه مرور في الطريق تراه يومياً مرات كثيرة، خاصة أن الجو حار، إنه فصل الصيف، وربما جاءت المجندة باللباس الرياضي وجلست مع الجندي مقابل الحظائر التي نعيش فيها يتحدثان ويضحكان، إن بإمكانهما أن يذهبا بعيداً عن أعين السجناء، ولكن لا نستطيع الكلام معهما أو الاعتراض على فعلهما.

ذات صباح جاء الحارس، وقال: كل واحد يضع القرآن جانباً، لا يمسه، لا يقرأ فيه، والمطلوب من كل واحد الوقوف والقفز إلى أعلى، وحركات رياضية أخرى غير معتادة ومتعبة، بعد ذلك الجلوس

مع عدم الكلام، أو الالتفات إلى أي جهة، باستثناء الجهة التي فيها الحراس لمراقبة الوضع، الكلام مع غيرك ممنوع، وحتى الكلام مع نفسك غير مسموح به، وللحارس أن يختار من يشاء لإيقاع العقاب عليه دون أن يسمح للسجين أن يدافع عن نفسه والسجين يكون مقيد اليدين والقدمين والكيس في الرأس، ولما حاول أحد السجناء الدفاع عن نفسه بالنقاش والكلام الهادئ، شددوا عليه العقوبة، ربطوا يديه خلف ظهره والكيس في رأسه، وأجلسوه على الأرض دون حركة مدة ساعة.

بعد منتصف إحدى الليالي، وقبل أذان الفجر جاء أحد الحراس وقال لي: أنت تكلمت، قلت: مع من؟ قال: مع هذا الرجل، وأنت تعجب أو تسأل ما الذي جعلنا إلى هذا الوقت من الليل دون نوم؟ إن معظم الليالي وليس هذه الليلة لا نستطيع النوم إلا آخر الليل والسبب أن الإضاءة الكهربائية علينا شديدة جداً إن الأنوار الكاشفة تحيط بنا من كل جانب، كأنها إضاءة في ملعب كرة القدم.

إن جميع السجناء في جميع الحظائر وفي جميع حالات وجودهم داخل الحظائر، سواء أكانوا نائمين أو جالسين، أو واقفين إنهم طيلة اليوم (٢٤) ساعة، تحت الرؤية الواضحة جداً للحرس، وإذا حدث أن ضعفت الإضاءة أو تعطلت إحدى اللمبات، تجد الحراس يهرعون إلى أسلاك الحظائر، ويقتربون منها ويصرخون على

السجناء بعدم الحركة، والبقاء نياماً على الأرض، حتى لو أردت الصلاة أو الذهاب إلى دورة المياه، لا يسمحون لك بذلك، نعود إلى القصة، هذا الحارس وقبل أذان الفجر قال لي: أنت تكلمت، قلت: مع من تكلمت؟ قال: مع هذا الرجل الذي يصلي، قلت: إنه يصلي كيف أتكلم معه؟ قال: بل تكلمت، أخبره أنه سيعاقب مثلك، قل له: فليحضر، قلت له: إنه يصلي، انتظر حتى ينتهي.

قال: أخبره، وأمام إصرار الحارس، وهو يرى ويشاهد، قلت للسجين: يقول لك هذا الحارس احضر إلى جهة الباب من أجل العقاب، لكنه يصلي، لم يجبنني، لم يقتنع الحارس، وبدأ يصرخ على المصلي، لكن المصلي أكمل صلاته وتقدم، ووقفنا بجانب بعضنا مكان العقاب، ربط اليدين معاً، ثم ثبتهما بباب الحظيرة الحديدي، ووضع الكيس في الرأس وربط القدمين بسلسلة حديدية، هذا العقاب مدة ساعة، وأنت واقف على رجلك.

بعد يوم طلبني المحقق للتحقيق، وقال لي: هل تسمع بكوبا؟ قلت: نعم إنها في أقصى الأرض قرب بلادكم، قال ماذا بها؟ قلت له: قبل اعتقالنا كنا نرى فيها الشباب الذين تقولون عنهم: إنهم أسرى تنظيم القاعدة وطلالبان، إنكم تسمونهم الإرهابيين، إنهم يلبسون اللباس البرتقالي، قال لي: إذا لم تتكلم الكلام الصحيح فسوف تذهب عندهم هناك بعيداً، وبدأ يضحك كالمتشفي، قلت:

أنا لم أرتكب جرماً حتى أستحق أن تكافئني بهذه الجائزة، أتريد أن تكافئني أم تعاقبني؟ لا بأس أيها المحقق، أن ترسلني إلى هناك، إن الدنيا مليئة بالظلم وهذا من الظلم يا سيادة المحقق، إنني أفضل أن أذهب إلى كوبا، وأنا صادق خير من أذهب إليها، وأنا كاذب، أقدم لك معلومات غير صحيحة، فظهر عليه الغضب قليلاً، قلت له: أنت الآن غضبان علي، مع أنني أقول لك الحقيقة والصدق، ولو قلت لك المعلومات الكاذبة، فكم سيكون غضبك علي؟

سيكون أكثر بالطبع، قال لي: قد يكون كلامك صحيحاً، لكن لو ذهبت إلى كوبا، وأثبت للمحققين هناك أنك بريء فستخرج من السجن، لكن تحتاج إلى وقت طويل، بينما لو قلت لي هنا: المعلومات الصحيحة وأخبرتني بالحقيقة فستمكث هنا في بجرام وقتاً قليلاً، وسترجع إلى بيتك بسرعة، قلت له: ليس عندي إلا الكلام الصحيح، وهو ما قلته لك، وهو أنني لا أعرف شيئاً عن هؤلاء الذين سألتني عنهم، وليس من مصلحتك ولا مصلحة التحقيق الذي تقوم به معي أو مع غيري من المعتقلين أن أقول لك معلومات خاطئة غير صحيحة، قال: أنت ستذهب إلى كوبا، وستأتي طائراً ونرسلك معها إلى كوبا، قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل، الله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أحسست أنه تفهم ما أقوله، لكن لم يخبرني بشيء مما في نفسه، قال: انصرف الآن، وسنطلبك فيما بعد، رجعت مع الحارس لمكان النوم- الحظيرة رقم (٦) كما كنا نسميها.

قبل السفر من بجرام إلى كوبا بيوم واحد استدعاني المحقق نفسه، وكان معه في الغرفة رجل يلبس الزي العسكري وامرأة أذكر أنها كانت بلباس مدني يجلسان ويسمعان فقط، دون تدخل أو دون أي سؤال أو كلام منهما، ولأول مرة أذهب إلى التحقيق من دون قيد الرجلين، كان القيد فقط في اليدين، مع وجود الكيس في الرأس، إنها المرة الأخيرة التي أذهب فيها إلى التحقيق في بجرام، جلست على الكرسي كالمعتاد قال لي: هل ستتكم أم تذهب إلى كوبا؟ قلت له: ليس عندي أي كلام جديد، أنا صادق، أنا بريء، أنا مظلوم، إنكم تتهمونني، ليس عندكم دليل أو إثبات على ما تقولونه، أكرر لك ما قلته لك: إنني أفضل الذهاب إلى كوبا وأنا صادق خير وأحب إلى نفسي من أن أدلي بمعلومات كاذبة؛ لأنك الآن غضبان ومتضايق مني قليلاً ولو قلت لك معلومات واكتشفت بعد وقت أنها كاذبة سيزداد غضبكم علي كثيراً، وربما يزداد عقابكم لي.

قال: في كوبا سجن جيد أفضل من هنا، لكل سجين غرفة خاصة، وفيها ماء بارد وماء حار، إنها أفضل من هنا، لكن ربما تمكث هناك وقتاً أطول؛ حتى تستطيع إقناع المحققين أنك بريء،

قلت: لا بأس، قال لي: انصرف وسيكون سفرك إلى كويا قريباً جداً،
نادى الحارس الذي قادني إلى مكان النوم في الحظيرة رقم (٦).

قبل سفرنا إلى جزيرة كويا- المنكوبة- بأيام وبعد أن تم
اغتسال الجميع الاغتسال الأسبوعي المعروف السريع القليل الماء
ثلثي سطل، الماء نظافته غير جيدة، بعد الاغتسال تم توزيع اللباس
البرتقالي على الجميع، بنطلون من دون لباس داخلي، فانيلة نصف
كم وعلى فانيلة كل واحد رقمه، مكتوب على الظهر، لا يعرف إلا
بهذا الرقم؟ أنت رقم في مسألة (قضية) ليس إلا.

AP

الترحيل إلى كوبا

حان وقت سفرنا من بجرام إلى كوبا، عند منتصف النهار، وبعد تناول طعام الغداء مرت مجموعة كثيرة من الحراس ١٥-٢٠ حارساً، كلهم يصرخون بصوت عالٍ: الجميع وقوف، ممنوع الحركة، ممنوع الكلام، وبدأ أحدهم ينادي على الأرقام، ومن سمع رقمه تقدم إلى باب الحظيرة الحديدي المشبك وأدار ظهره للباب وقام الحارس بتقييده في رجليه وتقييد يديه خلف ظهره وألبسه الكيس وأخرجه إلى الساحة خارج الحظيرة لا يعرف أحد إلى أين المصير وأين سنذهب، كان دفع الحارس لنا إلى الساحة بشدة؛ لنقف في الطابور، وربما سقط بعضهم على الأرض من شدة الدفع إذا لم يكن السجين منتبهاً أو متوازياً في حركته نحو الطابور، ربطوا الجميع بحبل في ذراع كل واحد، والحبل ممتد من أول سجين إلى آخر سجين.

مشيناً لا ندري إلى أين، وأجلسونا على مقاعد خشبية طويلة بجانب بعضنا، بدؤوا بفك قيد الرجلين ووضعوا مكانه قيداً آخر، فكوا قيد اليدين من الخلف وجعلوه في الأمام عند البطن، وربطوا الخاصة بسلسلة حديدية وربطوا هذه السلسلة بقيد اليدين؛ حتى لا ترتفع اليدين أو تنزل، وضعوا كفوفاً قماشية غليظة وسميكة في اليدين، بحيث إنك لا تتمكن من فك أي شيء أو ربطه، مع أنك مقيد في جميع أجزاء جسمك نزعوا الكيس من الرأس ووضعوا نظارة سوداء محكمة على العينين ولا ستيك مطاطي حول الرأس يمسكها من الزوال والسقوط، ثم أغلقوا الأذنين إغلاقاً محكماً بقطعتين بلاستيكيتين، بحيث لا تستطيع أن تسمع شيئاً، كما أغلق الأنف بقطعة قماش وإغلاق الفم كذلك، بحيث إنك لا تستطيع أكل أي شيء أو شربه، مع أنك مقيد ومع أنه لا يوجد طعام تأكله إلا ما يقدمونه لك.

وعند الأكل أو الشرب يأتي الجندي ويرفع غطاء الفم ويقدم لك الطعام أو الشراب الذي تمسكه بيديك المقيدتين، بعد الانتهاء يقوم الحارس بإعادة غطاء الفم إلى مكانه، نقلونا إلى شاحنة كبيرة، كل سجين يمسكه الجنود ويقذفونه، يناولونه بسرعة من الأرض إلى داخل الشاحنة كما يناولون الكرة ويجلسونه في الشاحنة على مقعد طويل بجانب بعضنا، كان جلوسنا في الشاحنة مدة ساعة والحر شديد مع ضيق النفس، والفم والأنف مغلقان.

تحركت الشاحنة واقتربت من صوت الطائرة، وأنزلونا من الشاحنة إلى الطائرة، فجلسنا على مقاعد الطائرة بجانب بعضنا ومع القيود السابقة التي على جسمك تجلس على مقعد الطائرة، ثم يربطون قيد رجلينك بقيد آخر ويربطونه في حلقة في أرض الطائرة، وبعد ذلك يربطون كل واحد بمقعد الطائرة بسلسلة حديدية من هذا الجانب من خاصرتك إلى الجانب الثاني، بحيث لا تستطيع معه القيام أو الحركة إلا الحركة البسيطة وأنت جالس.

فوق هذه الأربطة وقبل إقلاع الطائرة جاء المترجم وأبعد الغطاء عن أذنيك، وقال سوف نعطيك بعض الأدوية، أقراص من الدواء؛ حتى لا تتأثر من السفر؛ حتى لا تخرج ما في بطنك من الطعام بسبب الدوخان في السفر، وحتى لا تتقيأ، لكن تبين فيما بعد كما سمعت من بعضهم أن هذه الأدوية تصيبك بشيء من الدوار والهلوسة، كما حصل معي أنا شخصياً، وحصل كذلك هذا الدوار والهلوسة، مع من سألتهم ممن كانوا معنا في هذه الرحلة المشؤومة، بحيث إنك لا تستطيع النوم، لكن لست أيضاً في حالة استيقاظ، صحيح إنك تشعر بشيء يجري حولك تسمع وتعي، لكن لا تميز جيداً.

ربما يقول قائل: لماذا شربتم هذا الدواء لقد كان بإمكانكم أن ترفضوه؟ لكن الجواب أن شرب هذا الدواء إجباري على الجميع وليس اختيارياً، لقد استطعت أن أسمع كلام من كان يجلس بجانبني من

المعتقلين وكان عربياً، قال الجندي للمعتقل المقيّد: أتريد أخذ الدواء؟ قال له المعتقل: إن كان الأمر باختيارى فلا أريد، قال له الحارس أو الممرض الذى يقدم الدواء: ليس الأمر باختيارك إنه إجبارى، فأجابه المعتقل المقيّد إذا كان أخذ الدواء إجباراً، وليس اختياراً فلماذا تسألنى أتريد أخذ الدواء أم لا؟ وأعطاه الدواء أو وضعه فى فمه طبعاً، يأتي الحارس ويزيل الكمامة عن الفم ويضع الدواء فى الفم ويعطيك جرعة من الماء، ثم يرجع الكمامة كما كانت.

أقلعت الطائرة بعد العصر، والفصل صيف، بداية شهر أغسطس ٢٠٠٢م، أما الطعام فى الطائرة فإنهم يقدمون لك ساندويتشاً من الفول السودانى، يضعه الجندي بين يديك المقيّدين بالسلاسل، ومع السلاسل، الكفوف السمكة يزيل الكمامة عن فمك تبدأ تأكل، لكن لا بد أن تحنى ظهرك؛ حتى تستطيع إيصال الطعام [الخبز] إلى فمك؛ لأن يديك، لا تصلان إلى فمك بسبب السلاسل، ثم تنهى الطعام، ثم يعطيك تفاحة.

وإذا احتجت إلى ماء تنادى بصوت لا يسمع جيداً ولا يستطيع أحد أن يميزه بسبب الكمامة على فمك، يعطيك جرعات ماء بعد أن يزيل الكمامة عن فمك ثم يعيد الكمامة كما كانت، وهكذا سارت الطائرة، لكن لا ندري عن وجهتها شيئاً، لا نعرف عن مرور الوقت أي شيء وإن سألت عن الساعة لا يجيبك أحد، وإن أردت الصلاة

تقدر دخول الوقت بنفسك، تجتهد وتصلي منفرداً، طبعاً كيفما اتجهت بك الطائرة من دون وضوء أو تيمم، تصلي وأنت على مقعد الطائرة مقيد بالسلاسل والحديد كما ذكرنا.

بعد وقت لا نعرف هل كثير هذا الوقت أم قليل نزلت الطائرة في مكان ما، وأنزلونا من الطائرة وأركبونا في طائرة أخرى، لا نعرف أي شيء عن هذا المكان، أقلعت الطائرة الجديدة والقيود والسلاسل كما هي وكما كنا في الطائرة الأولى وبعد مرور وقت لا نستطيع تقديره نزلت في مكان ما لا نعرفه، وطيلة الرحلة منذ إقلاعنا من بجرام حتى أنزلونا في هذا المكان لا تكلم أحداً ولا يكلمك أحد، وقفت الطائرة، في هذا المكان الجديد، أنزلونا من الطائرة لكن بشيء من الشدة والعنف، فأركبونا في شاحنة ليس لها مقاعد.

ف

الوصول إلى كوبا

أجلسونا على أرض الشاحنة بشيء من الصراخ، رؤوسنا تكاد تلمس الأرض، والمترجم يترجم كلام رجل بالإنجليزية، ممنوع الحركة، ممنوع الكلام، جو من الرعب والخوف، لا تملك أن تقول شيئاً، ولا تستطيع أن تفعل أي حركة يقول المترجم: هل تعرف أين أنت الآن؟ طبعاً لا يجيبه أحد، لكن هو يجيب نفسه بنفسه: أنت الآن في يد القوات المسلحة الأمريكية، تحركت السيارة لكن لا نعلم إلى أين؟ لا نعلم عن الوقت شيئاً لا نعرف أي شيء يدور حولنا، وقفت السيارة فأنزلونا منها وأجلسونا على الأرض مقيدين كما كنا، الحر شديد، والعرق أجمنا وغطاء الفم والأنف ضيق علينا عملية التنفس.

بعد قليل فكوا غطاء الأذن عنا، ثم فكوا كمادة الفم والأنف، وبدؤوا يأخذوننا واحداً تلو الآخر لا ندري أين يقودوننا، دخلنا إلى مبنى فكوا عنا بعض القيود، قاموا بخلع ملابسنا؛ لأن أيدينا مقيدة، ثم أدخلونا إلى حمام اغتسال عراة تماماً، كما ولدتنا أمهاتنا، باب

الحمام مفتوح، والجنود يشاهدون منك كل شيء، تفتسل أمامهم وهم يرقبونك، تنهي الاغتسال فتخرج عارياً ثم يعطونك حذاءً خفيفاً - شبشب - ولباساً برتقالياً، يتكون من بنطلون وقميص نصف كم ولباس قصير، أعادوا علينا القيد، اليدان معاً جهة البطن وهذا القيد مشدود بسلسلة تحيط بالخصر، تتدلى من هذه السلسلة سلسلة إلى الأسفل تتصل بسلسلة تربط القدمين معاً، ويمسك بك جنديان يقودانك إلى الطبيب للكشف عليك، ثم إلى التصوير، ثم إلى التحقيق السريع: اسمك، بلدك، عمرك، أين كان اعتقالك، مذهبك سني أم شيعي؟

كان هذا المحقق يكتب على الكمبيوتر، وآخر يكتب على الورق، ثم أحضر المحقق بطاقة صغيرة وطلب مني أن أكتب رسالة إلى أهلي، أخبرهم فيها بأنني في كوبا، ووصلت بسلام وكتبت عليها العنوان وسلمتها له، كان عنده إصرار لكتابة الرسالة، لكن هنا لا يوجد غطاء للرأس - الكيس - العيون مكشوفة ترى ما حولك.

كان هذا الوقت قبيل المغرب من اليوم الأول لوصولنا إلى كوبا؛ لأن الشمس كانت تجمع أشعتها لتختفي وتغيب خلف المباني المجاورة والعيادة التي دخلناها كانت مكتظة بالسجناء الجدد وبالحرس والجنود والمحققين والمترجمين، وخضعنا لعملية تفتيش بعد خروجنا من العيادة، ثم أدخلنا الحراس إلى أماكن تحقيق أخرى خارج العيادة الطبية، فقد كان الوقت بعد المغرب، وبدأ الظلام ينتشر في المكان، ودخلت على المحقق الذي كان يلبس اللباس العسكري ومعه مترجم.

النحقيق

يظهر من كلام المترجم الذي صَحِبَ المحقق أنه عراقي، وهناك شخص ثالث يلبس اللباس المدني يكتب كل شيء يسمعه، كان هذا في اليوم الأول لوصولنا إلى كويا، الغرفة هنا نظيفة وواسعة وفيها أجهزة تكييف حديثة، وأجهزة أخرى أنا لا أعرفها، أجلسني الحراس على الكرسي، فكوا قيد اليدين فقط، وربطوا قيد القدمين بحلقة مثبتة في أرض الغرفة، بحيث لا يستطيع السجين أن يتحرك إلا حركة بسيطة، لا يستطيع أن يقف، ولو فكر أن يقوم ويحاول الاعتداء على المحقق أو المترجم مثلاً لا يستطيع.

بدأت الأسئلة عن السيرة الذاتية من المولد حتى وقت الاعتقال، فأجبت كما أجبت غيره كما هي السيرة الذاتية في بداية هذا البحث، قال ما هي آخر أعمالك؟ قلت: آخر عملي كان في معهد الأنصار العلمي في حياة آباد بيشاور باكستان، قال هل تظن أن هذا

المعهد أغلق من دون سبب؟ قلت له: إن هذا المعهد أغلقته الحكومة الباكستانية؛ لأنها كانت تريد أن تنهي الوجود العربي في باكستان، لقد قررت هذا، وتريد أن تطبقه سواء كان هذا القرار برغبتها وإرادتها، أم بسبب ضغوط خارجية عليها.

ثم إن هذا المعهد كان تابعاً للمعاهد اليمنية في اليمن، ويعمل تحت إشراف السفارة اليمنية ومعرفتها في إسلام آباد، والمعهد مناهجه مثل مناهج أي مدرسة حكومية في اليمن، فيه الرياضيات والعلوم والاجتماعيات واللغة الإنجليزية وغيرها، لكن يضاف إلى هذه المواد مواد إسلامية وعربية، ولما قامت الحكومة اليمنية وأغلقت معاهدها، أغلقت معهد بيشاور؛ لأنه كان يتبع لها، وعلى حد سواء أن كان هذا الإغلاق برغبتها وإرادتها، أم بسبب ضغوط خارجية، مع ترجيح الرأي الثاني كما سمعنا.

كان المحقق لا يناديني باسمي الحقيقي -حسين- كان يناديني بكنتيتي- أو عبد الله- في كل سؤال يقول: أبو عبد الله كذا...

فأجبتة ثم قال لي: إن اسمك أبو عبد الله على اسم أسامة بن لادن، فإن اسمه أبو عبد الله، قلت له: إن اسمي أبو عبد الله منذ أكثر من ثلاثين سنة وقبل أن أتزوج وقبل أن أسمع بأسامة بن لادن بعشرات السنين كانت كنتيتي أبو عبد الله، قبل أن يخلق عبد الله بن أسامة بن لادن، تبسم المحقق وغير الحديث.

وقد استمرت الجلسة أكثر من ساعة وفي آخرها قال لي: أنت الآن متعب وقادم من سفر بعيد، ترجع الآن إلى غرفتك وتستريح وعندما نحتاجك سوف نطلبك، قلت: جيد، فجاء الحراس وفكوا قيد الأرض الذي يمسك بسلسلة القدمين وأعادوا قيد اليدين، خرجت من مكان التحقيق، وهو غرف طويلة بجانب بعضها يقابلها غرف مثلها بينهما (بهو) كرادور، الغرف ليس لها نوافذ أو فتحات من الخارج، أركبني الحراس في سيارة صغيرة تستعمل داخل المعتقل مكشوفة، أحدهم يجلس بجانبني، ويمسك بسلسلة الخصر الحديدية التي تقيدني والآخر يقود السيارة، وصلنا إلى عنابر النوم والإقامة عبر أبواب وحواجز أمنية مشددة، وصلنا العنبر وصوت المؤذن يسمع لصلاة العشاء، أدخلاني إلى الغرفة وكانت في طرف العنبر من جهة الباب، المطلوب الآن حل القيود والسلاسل.

قال الحارس لي: تجلس على ركبتيك ووجهك إلى الحائط المقابل لباب الزنزانة، أي ظهرك لبابها، وأحد الحارسين يمسك بك يديه، الأولي يمسك بها كتفك، والثانية على رأسك، والحارس الآخر الذي يوجد معه مفتاح السلسلة يفك أولاً قيد الرجلين والسلسلة متصلة بسلسلة تحيط بخصرك وسلسلة الخصر تشد على جسمك -خصرك يقوم بفكه، فتصبح حركة اليدين الآن سهلة، لكنهما مقيدتان مع بعضهما، ترفعهما من الأمام من جهة

صدرك ووجهك بمستوى رأسك بعد أن يسحب الحارس السلسلة من بين رجلينك جهة الأمام، يقوم الحارس المكلف بفك السلسلة بفك إحدى يديك من الحلقة ويضعها خلف رأسك، فيمسك بها الحارس الآخر، ويجعلها ملتصقة برأسك، ثم يفك الحلقة الثانية ويضعها على اليد الأولى ويمسك بهما معاً ويلصقهما برأسك، فتصبح الآن من دون قيود، لكن يديك خلف رأسك، أنت الآن كأنك تجلس بين رجلين والآخر يقف بجانبك، يده الأولى على يديك الموجودتين خلف رأسك، ويده الثانية يمسك بها كتفك.

الآن ممنوع أن تتحرك أي حركة وممنوع أن تتكلم أي كلام، الحارس المكلف بفك السلسلة يقف خلف ظهرك وظهره إلى جهة باب الزنزانة، يخرج هذا الحارس متراجعا القهقري خطوة خطوة ووجهه إلى السجين الجالس حتى يخرج من باب الزنزانة، الآن الحارس الذي يمسك بك يرجع القهقري فينظر إليك وظهره إلى باب الزنزانة خطوة خطوة، ثم يرفع يده الثانية عن يديك الموجودتين على رأسك، يرجع بسرعة، ويغلق باب الزنزانة بسرعة، ولا يسمح لك الجنود بأي حركة مهما كانت قبل أن يغلق الباب بالقيود - بالقفل - فإذا أغلق باب الزنزانة بالقيود يقول لك: انتهى يمكنك أن تقوم الآن.

إن أي حركة تقوم بها في أثناء فك القيود أو ربطها، سوف تعرضك إلى عقوبة معينة، يكتب الحارس الذي يحرسك، سواء

حين أخذك من الزنزانة أو حين إرجاعك إليها، يكتب عنك تقريراً عما جرى إلى المسؤول عنه، فيقرر عليك العقوبة، أولاً تسجل في ملفك في السجن بأنك صاحب مشكلات واعتداءات، وربما يفتح معك المحقق جلسة بهذا الأمر، وربما تفسر هذه الحركة التي قمت بها بأنها محاولة للاعتداء على الحارس بالضرب مثلاً، أو محاولة هروب، أو مخالفة القوانين في السجن، أو أي تفسيرات وتعليلات أخرى عندهم.

٥٥

الزنانة الانفرادية

دخلنا إلى الزنّانة التي يسمونها بيتك (Your home) إنك تجد في الغرفة قطعة من الإسفنج، تصلي عليها أو تنام أو تجلس أو تأكل عليها، أو تستريحها عند قضاء الحاجة، ويوجد فيها بطانيتان متوسطتان، واحدة تضعها تحت رأسك -مخدة- والثانية تغطي بها، ومنشفة صغيرة وأخرى كبيرة، وصابونة صغيرة، وفرشاة أسنان صغيرة من دون يد تضعها في رأس إصبعك حين الاستعمال لتنظيف الأسنان جيداً، تجد في الغرفة كوب ماء بلاستيكيًا صغيرًا للشرب، أو الوضوء أو لقضاء الحاجة، ومصحف شريف- طبعة المدينة المنورة- ومعجون أسنان، ومُلاءة بيضاء متوسطة يسمونها «شيت».

أما بناء الغرفة وتكوينها، فكل ما في الغرفة حديد، الجدران والسقف والأرض، يوجد في الغرفة دورة مياه- حفرة- ومغسلة صغيرة، وحنفية ماء، وسرير عبارة عن قطعة حديد طويلة من

أول الغرفة إلى آخرها طولاً، وهو أطول من الإنسان بقليل، السرير مثبت بالجدار، ويرتفع عن الأرض أكثر من متر، في سقف الغرفة فتحة صغيرة يأتي منها الهواء البارد؛ لأن الجوارح والزنزانة حديد تمتص الحرارة في النهار، لكن البرد في الليل يؤذي ولا يسمح لك الجنود بخفض الهواء البارد ولا إغلاقه، ولا يسمح لك الجنود باستلام غطاء آخر زيادة عما عندك لتتقي به برد الليل.

الغرفة مغلقة من كافة الجهات، إلا فتحة صغيرة بالبواب، يأتيك منها الطعام والشراب أو الدواء، يوجد في الغرفة مروحة صغيرة لسحب الهواء من داخل الزنزانة إلى خارجها، هذه الغرفة أو هذا العنبر يسمونه بالانفرادي، طول الغرفة متران ونصف المتر تقريباً، وعرضها متر ونصف المتر إلى مترين تقريباً.

٥٥

الطعام

كان التاريخ هو شهر أغسطس من عام ٢٠٠٢م بداية الشهر كما أذكر، بعد قليل من وصولنا أحضر الحارس وجبة طعام عبارة عن أكياس جاهزة، داخل هذه الوجبة كيس فيه معكرونة، وكيس فيه قطعتان من البسكويت، مع معجون فول سوداني، وقطعة كيك وكيس فيه عصير وملعقة تأكل بها، لكن وقت الطعام ثلاثون دقيقة من وقت تسليمه، ولا يسمح لك أن تبقى الطعام عندك أكثر من هذا الوقت، إما أن تأكل الطعام وإما أن ترده إلى الحارس، هذه الوجبات ليس فيها لحم أو دجاج أو سمك أو أي شيء من البروتينات الحيوانية، نمت تلك الليلة وفي منتصف الليل أيقظني البرد؛ لأن الغطاء ليس كافياً، ولأن ما يوجد تحتنا قطعة إسفنج لا تقينا برد السرير المصنوع من الحديد.

وقد طلبت من الحارس غطاءً آخر، كنت أظن أن هذا ممكن أو مسموح به، فقال الحارس: لا أستطيع، فعرفت بعد ذلك أنه لا

يمكن أن يصرف لك غطاء زيادة عما عندك، بقيت أثقل على السرير دون نوم من شدة البرد حتى الصباح، سمعت الأذان، فقامت توضأت وصليت الفجر، كل واحد يصلي في غرفته، بعد الصلاة مباشرة يأتي الفطور وقته ثلاثون دقيقة ويتكون من كوب شاي وكوب حليب صغيرين، وبيضة واحدة مسلوقة، وقطعتين صغيرتين من الخبز، وثمره فاكهة واحدة، وكمية قليلة من الدقيق أو الأرز المطحون المطبوخ، وكمية الطعام قليلة لا تكفي الإنسان، ولا يسمح لك باستلام طعام زائد.

في الساعة التاسعة صباحاً جاء جندي ومعه بطاقات صغيرة يعرض فيها على السجناء كتابة رسائل إلى أهاليهم إن أرادوا، يتسلم السجناء البطاقة وقلماً بسيطاً جداً من الحبر الجاف، بعد كتابة الرسائل لا يسمح لك بامتلاك القلم أو إبقائه عندك، إنه يسجل عليك كل شيء حتى ترده إليه بعد الانتهاء من الكتابة، بعد ذلك بساعة جاء جندي ومعه بعض الكتب البسيطة باللغة العربية وبالإنجليزية وبالفارسية، باللفات التي يتكلم بها السجناء، تختار الكتاب الذي تريده من هذه الكتب، تقرأه ثم تعيده بعد أسبوع، تستبدل بهذا الكتاب كتاباً آخر بعد أسبوع أو يمكنك أن تجده عندك أسبوعاً آخر.

جاء وقت الغداء وكان الغداء، قليلاً من الأرز، وخضراوات قليلة وقطعة خبز، وثمره فاكهة، أما اللحم والدجاج والسّمك فأذكر

أنهم كانوا يقدمون لنا نوعاً واحداً مرة واحدة في الأسبوع والكمية قليلة طبعاً، أذن الظهر والغداء قبل الصلاة، فجلس كل واحد بعد الغداء إلى العصر، وبعد العصر إلى المغرب بعضنا يقرأ أو ينام، أو يتكلم مع جيرانه داخل العنبر من خلال النافذة الصغيرة الموجودة في باب الزنزانة، أذن المغرب، فصلى كل واحد في غرفته، ثم جاء طعام العشاء وهو مثل الغداء مع اختلاف قليل، والكمية قليلة، وهذه ليست ملاحظتي بل ملاحظة الكثيرين.

وأذكر أنني أخبرت المشرف الاجتماعي كما يسمونه بكمية الطعام القليلة التي تقدم لنا، وذلك في أول مرة أراه، قلت للجيران: من هذا؟ قالوا: هذا المشرف الاجتماعي، قلت له: إن كمية الطعام التي تقدمونها قليلة وإن لم تصدقتي، فاسأل الآخرين، قال: أصدقك قلت له: اسألهم، قال: قلت لك: أصدقك، لكن لم يحدث تحول أو زيادة في كمية الطعام، بقيت كما هي مع للأسف، أما وقت الطعام، فهو ثلاثون دقيقة، ثم عليك أن ترجع الصحن والملعة، وقشر الفاكهة أو بقية التفاحة، أو قشر الموز، ويسألك عنها الحارس إن لم يجدها في الطبق عند إرجاع الطعام، وأخطر شيء عندهم أن تحتفظ بالملعة ولا ترجعها لهم؛ لأنهم يعدونها آلة حادة كالسكين، وهذا عندهم شيء خطير وتعاقب عليه وتتعرض للتفتيش الدقيق في جسمك وملابسك وغرفتك وأغراضك.

بعد طعام العشاء أذن المؤذن لصلاة العشاء، والأذان هذا كنا نسمعه بمكبرات الصوت في كل عنبر وفي جميع الأوقات وبعد شهور وقف الأذان عن بعض الأوقات، وبقي في بعضها، وأخيراً أوقفوا الأذان تماماً في جميع الأوقات ولم نكد نسمع أي أذان وكنا نعرف أوقات الصلاة عن طريق الشمس والظل، وكان بعض الجنود يخبرنا بالوقت.

انتهى اليوم الأول بسلام، كان بعض المعتقلين يذهب للتحقيق وبعضهم يذهب للعلاج وهذا العنبر يسمونه بالانفرادي؛ لأن كل سجين في غرفة لا يرى أحداً ولا يراه أحد، الجدران غير مشبكة بل مغلقة، ألواح حديدية لا ترى عن يمينك ولا عن يسارك ولا من خلفك ولا من أمامك ولا من فوقك ولا من تحتك، نافذتك على العالم هي الفتحة الموجودة في باب الزنزانة، ترى منها وتتكلم مع جيرانك منها ويأتيك الطعام والشراب أو الدواء منها، قضيت في هذا العنبر سبعة أيام أو ثمانية كانت غرفتي في طرف العنبر من جهة باب الدخول، وأحياناً أقف على نافذة الباب، أشاهد الجنود يلعبون الورق، أو يتحدثون، أو يقرؤون الجرائد والمجلات، وهذا غير مسموح به للجنود؛ لأنهم كانوا يخفونها حين يحضر المسؤول.

كانت معاملتهم لنا في الأسبوع الأول هادئة، إذ كان يتناوب على حراستنا في كل يوم (٢٤) ساعة ثلاث مجموعات، كل مجموعة ثمانية

ساعات، وهذه المجموعات لا تأتي عندنا كل يوم في وقت معين، بل ربما يمر الأسبوع والأسبوعان حتى يرجع بعضها إلينا، كان الخروج إلى المشي والرياضة والاستحمام مرتين كل أسبوع، تخرج مقيداً إلى ساحتين في مؤخرة العنبر المقابل لباب الدخول، وهما ساحتان لكل عنبر بجانب بعضهما، كل ساحة من هاتين الساحتين المتجاورتين محاطة بالأسلاك المشبكة من كل الجهات، وحتى السقف.

وبجانب هذه الساحة حمام اغتسال، سعة الساحة (١٠-١٥) متراً طولها، والعرض مثل ذلك، تدخلها الشمس والهواء من كل الجهات، لك الحرية في أن تمشي بها أو تهوّل أو تركض أو تلعب التمارين الرياضية أو تجلس، وقد مرت أوقات يقدمون كرة قدم لأصحاب الدرجات الأولى عندما استحدثت الدرجات في عنابر السجن، وربما يسمح لك بالكلام من هذه الساحة مع العنبر المجاور، الساحة الواحدة لا يوضع فيها إلا سجين واحد، بعض الحراس لا يسمح لك بالكلام مع العنبر المجاور، ويقول لك: الكلام مع الآخرين مخالف لقوانين السجن.

الخروج إلى هذه الساحة من غرف السجن، تكون مقيداً في اليدين والرجلين والخصر، ومن حسنات معسكر جوانتانامو - كوبا - أنه لا غطاء للرأس أو العينين في هذا السجن، أي أن كيس الرأس غير موجود.

فد

الرياضة والاعمال

إن الذهاب إلى الساحة الرياضية مرتين في الأسبوع أمر متعب للسجين، مع أن السجين يحب هذا الخروج، ولو كان هذا الخروج فيه تعب، فالخروج كل ثلاثة أيام مرة؛ لأن العنبر فيه (٤٨) سجيناً، وكل يوم يخرج الحراس (١٦) سجيناً، ثمانية في الصباح وثمانية في المساء، يبدأ الخروج صباحاً من الساحة (٨) إلى (١٢) أي حتى وقت الغداء، فيأتي الشفت الثاني، الوردية الثانية الساعة (٢) بعد الظهر، يخرجون السجناء الثمانية، من الساعة (٢) إلى غروب الشمس، نادراً جداً أن تغرب الشمس قبل الانتهاء منهم.

عندما تأتي نوبتك للخروج إلى الرياضة يدق عليك الحارس، فتستعد، والحارس ينظر إليك من نافذة الباب الصغيرة، ولا يمكن أن يفتح عليك الباب حتى تستعد، والاستعداد يكون بالجلوس على ركبتيك على الأرض، وتضع يديك خلف رأسك فوق بعضهما،

فضهرك يقابل باب الزنزانة وأنت في هذا الوضع يفتح الحارسان عليك الغرفة، ويدخلان بسرعة، أحدهما يمسك بمنكبك باليد الأولى، ويمسك باليد الثانية على يدك.

أما الحارس الثاني فيقوم بتقييد رجلك من الكعبين بسلسلة تصل بين كعبيك، طولها نصف متر أو يزيد قليلاً، كل كعب يقيد بحلقة ليست ضيقة كثيراً على رجلك، لكنها لا تخرج من رجلك تتحرك داخل الرجل قليلاً ويقفل الحلقة بمفتاح صغير ومن هذه السلسلة التي تصل بين كعبيك تخرج من منتصفها سلسلة تتصل بسلسلة يربط بها الحارس خصرك بقفل من جهة ظهرك، ثم تمتد السلسلة ويسحبها الحارس من بين رجلك، وأنت جالس على ركبتك على الأرض إلى جهة الأمام نحو السرة تقريباً، طرف هذه السلسلة الآن فيه حلقتان على شكل T بالإنجليزية، كل حلقة تبعد عن أختها (١٠-١٥) سم، يأخذ الحارس إحدى يديك ويضعها في الحلقة الأولى ويفلق الحلقة بمفتاح صغير، ثم يأخذ اليد الثانية ويضعها في الحلقة الثانية ويقفل عليها بمفتاح صغير أيضاً داخل اليد.

حلقة اليد مثل حلقة الكعب تتحرك - الرسغ - لكن ليست مشدودة تماماً على اليد، لكنها لا تخرج من اليد طبعاً.

الآن أنت مقيد لا تستطيع النهوض وحدك، يقوم الحارسان بمساعدتك في الوقوف ويكون الحذاء الحفيف - الشبشب - في

رجلك مسبقاً، كل حارس يقف من جهة، واحد جهة اليمين وآخر جهة الشمال، الواحد منهم يمسك بك بكلتا يديه، اليد الأولى يمسك بها كتفك، واليد الثانية يمسك بالسلسلة الموجودة على خصرك، وتمشي إلى خارج غرفتك ويقوم الحارسان بتفتيشك، وكل حارس يفتش الجهة التي يقف فيها الواحد بعد الآخر، يفتش ثيابك وجسدك حتى أماكن العورة، من الأمام والخلف.

بعض الجنود ربما يفعل هذا وبعضهم يفتش بعيداً دون أن يقترب من العورة، ويقوم الحارس بنفض وتحريك قميصك أو بنطالك الذي تلبسه، ويفتش حتى الحذاء - الشبشب الذي تلبسه - يقوم بطيه والتدقيق والتحسس عليه، إنه يفتش حتى شعر رأسك وشعر لحيتك، إنه يفتش طيات القميص أو البنطال يهزه ويرفعه وينزله حتى تنتهي عملية التفتيش بسلام، وكم أثار تفتيش أماكن العورة من مشكلات بين السجناء والحرس، وإذا وجد بين الحراس مجندات وكان المكلف بنقلك إلى التحقيق أو إلى الرياضة رجل وامرأة يقوم الرجل بالتفتيش من الجانبين دون تدخل من المرأة.

وكثير من السجناء لا يوافق على الخروج إلى التحقيق أو الرياضة مع امرأة، فيخسر المشي والخروج للشمس أو الاغتسال، تنتهي عملية التفتيش ويمشي السجن بين الحارسين إلى ساحة المشي التي سبق ذكرها، يجلس السجن على ركبتيه لفك القيود

كما جلس في غرفته، عندما قيدوه يقوم أحد الحارسين بالإمساك بإحدى يديه على كتفك واليد الأخرى على رأسك.

يقوم الحارس الآخر الآن بفك القيود عن جسمك، بحيث يفك أولاً قيد الرجلين ويحمل السلسلة بيده إلى جهة ظهرك، حيث توجد سلسلة على خصرك، مقفلة من جهة الظهر بقفل يفكه ثم يسحب السلسلة من بين رجلتك إلى جهة الأمام، جهة يديك المقيدتين لكن حركتهما الآن إلى أعلى أو أسفل سهلة ثم يرفع يديك المقيدتين، فوق رأسك فيفك اليد الأولى من الحلقة ويضعها على رأسك، يقوم الحارس الأول الذي يمسك بكتفك ورأسك، بوضع يده على يدك الموجودة على رأسك، ثم يقوم الحارس المكلف بالفك بفك اليد الثانية، ويضعها لك على يدك الأولى الموجودة فوق رأسك، فيقوم الحارس الأول بوضع يده على كلتا يديك الموجودتين على رأسك، الحارس المكلف بالفك يحمل السلسلة بيده ويرجع إلى الخلف إلى جهة باب الشبك الذي يحيط بمكان الرياضة.

الآن الحارس الذي يمسك بكتفك ويديك يرجع القهقري خطوة خطوة بعد أن يترك كتفك ويديك، يرجع إلى باب الساحة الرياضية ووجهه جهة السجين ووظهره جهة الباب، لا يسمح لك الآن بعد فك القيود بأي حركة حتى يغلق الحارسان باب الساحة الرياضية المشبك، وعندها يطلبان من السجين أن يقف ويمشي أو يهرول كما

يشاء، ولو تحرك السجين بعد فك القيود وقبل أن يخرج الحارسان من الساحة الرياضية ربما تعرض للضرب منهما أو يمسكان به أو يجلسان عليه؛ لأن هذا يعد محاولة لضربهما والاعتداء عليهما، أو يُعد محاولة للهرب.

إن هذه المحاولة تعرض السجين للعقوبة، فيسمح للسجين بعشرين دقيقة يمشي أو يهرول حسب رغبته، قد تزيد قليلاً أحياناً، إذا انتهى وقت المشي يجلس السجين، كما جلس عند أخذه من غرفته للمشى ويقيدونه هنا كما قيدوه هناك، ثم يخرجانه من ساحة المشى إلى حمام الاغتسال، الذي يبعد خمسة أمتار تقريباً عن باب الساحة الرياضية، إذا أدخل إلى الحمام يجلس كما جلس في ساحة الرياضة، ويقوم الحراس بفكه هنا كما فكوه هناك، يغلق عليه الحراس باب حمام الاغتسال، فالمكان للاغتسال فقط وليس لقضاء الحاجة، باب الحمام مشبك ربما يضع السجين منشفة أو بنطاله على الشبك إن أراد وقت الاغتسال؛ حتى لا يراه أحد.

أما مدة الاغتسال فهي خمس دقائق قد يزيدها بعض الحراس، لكن المدة القانونية هي خمس دقائق، يحدث أن بعض الحراس يشدد على السجين، وربما أغلق عليه الماء قبل الانتهاء من الاغتسال، والصابون على جسمه؛ لأن التحكم في الماء فتحاً وإغلاقاً من الخارج بيد الحراس وليس بيد السجين، بعض الحراس قد يفتح لك الماء دقيقة أو دقيقتين؛ ليكمل السجين الاغتسال.

وبعض الحراس لا يوافق على فتح الماء، يقول لك: القانون خمس دقائق، ولو لم تكمل اغتسالك، الحارس يقدم لك الصابون - قطعة صغيرة - والشامبو كمية قليلة وبعضهم يعطيك أحياناً العلبه تستعمل منها ما تشاء، يقدم لك الحارس شفرة الحلاقة كل أسبوع مرة؛ لإزالة ما تريده من الشعر، بعض السجناء يحلق لحيته وهم قلة جداً .

حدث أكثر من مرة أن تأخر تقديم الشفرة للسجناء، فنسأل عن السبب فتجد أن بعض السجناء استعمل الشفرة استعمالاً غير جيد، أراد أن يمثل على إدارة السجن أو أراد أن يخوفهم، يظهر أنه يريد أن ينتحر فيجرح يديه أو رجليه بهذه الشفرة، فيخرج الدم من جسمه، بعض السجناء حالته النفسية صعبة لا يدرك ما يفعل عندما يجرح نفسه، ربما يريد أن ينتحر فعلاً وبعضهم يريد طلبات معينة من إدارة السجن، وبعضهم الآخر عليه ضغوط معينة من إدارة السجن، أو من التحقيق، فيقوم بجرح نفسه؛ ليرفع هذه الضغوط عن نفسه؛ ليقابل هذه المشكلات والضغط الواقع عليه؛ ليهرب منها أو... .

وإذا انتهى الحمام أغلق الحارس عليك الماء، ثم تجلس على أرض الحمام على ركبتيك للربط والتقييد، كما جلست في غرفتك عندما خرجت للمشى، أو كما جلست في مكان المشى تخرج من

الحمام؛ لكي ترجع إلى غرفتك، تصل الغرفة، تجلس على ركبتيك في الغرفة في آخرها مقابل الباب، قريباً من مكان (قضاء الحاجة) لفك القيود والسلاسل عن جسمك، ثم يخرج الحارسان كما ذكرت من قبل.

إن هذه العملية من الربط بالسلاسل، ثم فكها تحدث في كل مرة يخرج السجين فيها للاغتسال والمشي والرياضة، ثلاث مرات للربط والتقييد، وثلاث مرات للفك والحل لهذه السلاسل، مع أن الخروج للاغتسال والمشي مرتان في كل أسبوع.

انتهى الأسبوع الأول من وصولنا إلى كوبا، وبعد ثمانية أيام من وصولنا، جاء الحارس وقال لي: اجمع أغراضك ستنتقل، ثم سلمني كيساً بلاستيكياً وضعت فيه جميع أغراضي إلا المصحف وضعته داخل المنشفة لحمله بيدي، عملية النقل لا تتم إلا بالتقييد والسلاسل، تجلس في غرفتك على ركبتيك وتقيّد بالسلاسل كما تقدم، حملت المصحف بيدي وسرت إلى العنبر الجديد مشياً على الأقدام، وحارس عن يميني يمسكني بيديه، إحدى يديه على منكبي والأخرى يمسك بها السلسلة الحديدية الملتفة على خصرتي، والحارس الآخر على الجانب الآخر يفعل مثله، كان العنبر الذي انتقلت إليه قريباً، فوصلت إلى العنبر الجديد، إنه يختلف عن العنبر الذي كنت فيه، العنبر الجديد مستطيل الشكل، عبارة عن عنابر

بجانب بعضها (٤-٥) عنابر، كل عنبر يتكون من (٤٨) أو (٤٦) أو (٢٤) غرفة، نصف هذه الغرف في جانب ونصف الغرف الآخر، في الجانب الآخر مقابلها يفصل بينهما (بهو) كرادور، كل صف من هذه الغرف ملتصق ببعضه والكرادور من أول الغرف إلى آخرها يمشي فيه الحراس والجنود لمراقبة السجناء ولتقديم الخدمات لهم، يفصل بين العنبر والعنبر الآخر مسافة (٣-٥) أمتار.

ويوجد شبك بين كل عنبرين، يرتفع (٣) أمتار تقريباً مغطى بالقماش أو الشادر، وجدران الغرف من جميع الجهات الأربعة مشبكة بشبك صغير كل شبك (٣-٤) سم طول × عرض، إلا الجهة الخلفية، نصفها الأسفل مغلق وليس شبكاً لستر مكان قضاء الحاجة، أما سقف الغرفة فمغلق تماماً بسبب الشمس أو المطر، شبك الغرفة من الجهات الأربعة يسمح بالرؤية ودخول الشمس والهواء ومرور بعض الحاجات الصغيرة بين كل غرفتين ينقلها السجناء سرّاً بين بعضهم سواء أكانت طعاماً أو غيره.

باب الزنزانة من جهة الكرادور - بهو - مشبك أيضاً، وفيه نافذة صغيرة لتقديم الطعام أو الدواء أو... منها للسجين، كل غرفة فيها متطلبات واحتياجات السجين الضرورية، سرير مثبت بين جدران الغرفة، يرتفع عن الأرض قرابة المتر والربع، وفي الغرفة مكان لقضاء الحاجة ومغسلة صغيرة وحنفية ماء للشرب أو

الوضوء، وطبعاً جميع أغراضك التي كانت معك في العنبر السابق انتقلت معك إلى هذا العنبر، كان رقم غرفتي (٢٥) أي آخر غرفة من العنبر، يقابلني غرفة رقم (٢٤).

ومثل هذه الغرف، كذلك رقم (١) أو رقم (٤٨) لا يرغب فيها السجناء؛ لأنها منعزلة جانبية، ليست مثل الغرف الموجودة في وسط العنبر؛ لأنها غرف حولها غرف، وأمامها غرف، فيستطيع السجين أن يتكلم مع المسجونين عن يمينه أو يساره أو أمامه، لكن الغرفة التي سكنت فيها تشرف على مكان الرياضة والمشي وأماكن الاغتسال، وهي غرفة تقع طرف العنبر، تدخلها الشمس صباحاً؛ لأنها جهة المشرق، فكنت أرى البحر الذي يبعد مئات الأمتار عن العنبر، عندما دخلت هذا العنبر بدأ السجناء يرحبون بالقادم الجديد ويشجعونه ويسمعونه كلمات المدح والثناء والتثيت، وهي كلمات تقال عندما يأتي سجين جديد على العنبر، أو كلما غادر سجين عنبره إلى عنبر آخر.

بعد يوم من وصولي إلى هذا العنبر، وبعد أن خرجت إلى المشي والاغتسال ورجعت إلى غرفتي، جاء الحراس لأخذي إلى التحقيق، لا بد من التقييد بالسلاسل والتفتيش، كلما خرجت من غرفتك، سواء للتحقيق أو الاغتسال والمشي، وقد ذكرنا قبل ذلك كيف تكون عملية التقييد والتفتيش، لا بد أيضاً من تفتيش غرفة السجين

وأغراضه كلما خرج السجين من غرفته، أماكن التحقيق عادة قريبة من غرف النوم، تذهب إليها ماشياً، وبعض العنابر البعيدة يذهبون إلى مكان التحقيق بالسيارة الصغيرة.

دخلنا إلى غرفة التحقيق، والأسئلة بدأت عن السيرة الذاتية منذ ولادتك حتى تم إلقاء القبض عليك، وتطرق المحقق لبعض الأسئلة الأخرى فيما إذا كنت أعرف تنظيم القاعدة أو أحداً من أعضائه، قلت له: أنا أعيش في باكستان، وهؤلاء الذين تسألني عنهم في أفغانستان، سألني عن بعض أسماء عائلتي وعملهم وسكنهم، قال: هل تريد أن تسأل شيئاً؟ قلت له: لماذا أنا هنا وكم سأبقى؟ قال: ستبقى مدة طويلة؛ لأن التحقيق يتطلب هذا، والقضية كبيرة ولا بد من التأكد والتثبت من كل معلومة يقولها المسجون، قال: جيرانك في العنبر من أين هم؟ قلت: حولي أشخاص من العجم وأمامي أشخاص عرب من اليمن والسعودية والعنبر فيه جنسيات مختلفة.

قال: عن أي شيء يتكلمون؟ قلت: أنا بعيد عنهم، أنا في آخر العنبر، إنهم يتكلمون كثيراً وفي موضوعات شتى، يتسامرون، يتلون القرآن، يصلون، يتكلمون عن عادات وحوادث في بلادهم، فماذا سوف يتكلمون؟ قال: هل تتكلم مع جارك؟ قلت: إنه أعجمي لا يعرف اللغة العربية، كيف سأكلّمه؟ قال: إذا سمعته في العنبر يتكلمون عن أمور مهمة تضر بالسجين أو بإدارة السجن تخبرنا

عنه، قلت: حسناً، أقول: سمعت أنه يوجد فيهم من يخبركم بما يجري في العنابر، لا حاجة لكم بي، وسمعت أن العنابر يوجد بها أجهزة للتصت على السجناء ولا أدري عن صحة هذا الخبر، انتهت الجلسة ورجعت إلى الغرفة.

أما الكلام في كل عنبر أو صوت الأذان، فكل عنبر فيه مؤذن يختاره السجناء يؤذن لكل وقت، أما الكلام، فمسموح به داخل العنبر الواحد بين السجناء، تكلم من تشاء في داخل العنبر الذي تسكن فيه، وبصوت مرتفع، أما الكلام من عنبر إلى آخر، فغير مسموح به، وربما يعرضك للعقاب غالباً، لكن بعض السجناء يتكلمون من عنبر لآخر ولا يلتفتون إلى العقاب، أما صلاة الجماعة، كما هي في المساجد، فغير ممكنة في داخل السجن؛ بسبب طبيعة بناء السجن؛ لأن كل سجين في غرفة منفصلة عن غيره، لكن كنا نصلي جماعة وكل سجين في غرفته يتوجه إلى القبلة والإمام يكون في مقدمة العنبر، متوجهاً إلى القبلة في غرفته، ويرفع صوته كما يشاء؛ حتى يسمع أكبر قدر من السجناء.

dp

أول الأسرى وصولاً إلى كوبا

إن الكلام في السجن في بداية مدة السجن وكذلك الأذان، أو حتى الوقوف في داخل الزنزانة كان غير مسموح به، هذه الأمور كانت ممنوعة في بداية السجن الذي كانوا يسمونه إكستري (extray) وهو أول سجن بني في قاعدة جوانتانامو العسكرية في جزيرة كوبا لمن يطلقون عليهم اسم الإرهابيين من أسرى تنظيم القاعدة وطالبان، سمعت من بعض من دخل هذا السجن (إكستري) وهي أول مجموعة من الأسرى تصل إلى كوبا، قال: كانت رحلة شاقة مليئة بالعذاب، بعضهم جلس شهراً كاملاً، حيث تم نقلهم في سفينة، وبعضهم وصل في الطائرة، حيث تعرضوا للضرب عند وصولهم إلى جزيرة كوبا.

سمعت من بعضهم أن هذا السجن لم يكن مجهزاً بكل ما يلزم السجن، كان كل سجين في غرفة منفصلة، وفي داخل غرفته (سطل)

وعاء بلاستيكي فيه ماء للشرب أو الوضوء أو... ووعاء آخر (سطل) لقضاء الحاجة، وهم يسمونها «رقم (١) ورقم (٢)»، كان لا يسمح لهم بالوقوف أبداً، كانوا طيلة الوقت جلوساً، الحارس يأمرهم بالجلوس وعدم الوقوف وعدم الكلام وعدم الأذان ما كان أحد منهم يجرؤ أن يصلي واقفاً إلا خلسة وبسرعة؛ حتى لا يراه الحارس، لكن بدأ السجناء يخالفون نظام السجن شيئاً قليلاً، دون أن يستجيبوا لأوامر الحرس، بدؤوا يقفون ويتحركون داخل الزنزانة، بدؤوا يصلون واقفين، بدؤوا يتكلمون مع بعضهم بعضاً، وهكذا تغيرت الأحوال عندهم إلى الأحسن.

بعد أيام جاء الحراس، وقالوا لي: عندك تحقيق، قلت: جاهز تم التقييد بالسلاسل كما سبق، وصلت إلى غرفة التحقيق، وجدت فيها شخصاً واحداً، جلست على الكرسي بجانب طاولة، عليها بعض الشوكولاتة الصغيرة والبسكويت والتمر والحلوى الصغيرة، قال: تفضل كُلْ، قلت له: شكراً، أخذت شيئاً قليلاً، هذه الحلوى لا توجد في السجن، نادراً جداً أن تراها، إنه يتكلم اللغة العربية بطلاقة إنه عربي، وليس غريباً، قال لي: أنا باحث اجتماعي زرت مصر وكثيراً من البلاد الإسلامية، أكتب عن الإرهاب والتطرف قلت له: جيد، قال: لو تسمح لي أن أسأل بعض الأسئلة، قلت له: تفضل، كان بجانبه حقيبة متوسطة وأمامه مصحف شريف كبير

الحجم طبعة المدينة المنورة، سألتني عن سيرتي الذاتية ودراستي والأماكن التي اشتغلت فيها مدرساً وسألتني عن التطرف والإرهاب وهل يجبر الإسلام غير المسلمين على اعتناقه أو الدخول فيه.

قلت له: إن الإسلام ما جاء ليُجبر الناس على الدخول فيه، ومن كان له رغبة في الإسلام دخل فيه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، والإسلام يحبب الناس فيه بالدعوة الحسنة والكلمة الطيبة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥). المسلم يعرض الإسلام على غير المسلم، إن أحب وأراد، ويناقشه بأحسن الأساليب وألينها وأسهلها، ولا يرفع عليه السيف ويهدده ويخبره إما أن تسلم وإما أن أقتلك، قال: هذه آية في القرآن؟ قلت له: نعم، قال: أين؟ قلت له: في سورة النحل في مكان كذا، فتح المصحف وسجل رقم الآية والسورة، إن الإرهاب أو التطرف أسماء وأوصاف ألصقتها الناس بالإسلام، لكن الإسلام منها براء، إن أزهى عصور الإسلام هي التي كان يعيش فيها الكثير من غير المسلمين وكانت حقوقهم ودور عبادتهم محفوظة ومحترمة، لا يستطيع أحد أن يعتدي عليهم، كان هذا الباحث يكتب ويسجل كل ما يسمعه، أنهى الجلسة وشكرني وانصرف وجاء الحراس وأرجعوني إلى غرفتي.

بعد أيام جاء الحراس، وقالوا لي: عندك تحقيق، ربطوني بالسلاسل، وسرت معهم إلى غرفة التحقيق، في غرفة التحقيق

يفك الحراس قيد اليدين، لكنهم يربطون سلسلة القدمين بحلقة مثبتة في أرض الغرفة، هذا دائماً في كل مرة ذهبت فيها إلى غرفة التحقيق، جاء المحقق شخص واحد يلبس اللباس المدني لا يعرف العربية، قلت له: لو تحضر مترجماً، قال لي: هل تعرف الإنجليزية؟

قلت: قليلاً، قال: هذا يكفي، أنا أفهم عليك، قلت: لكن أنا لا أستطيع أن أفهمك جيداً أو لا أستطيع أن أوصل إليك ما في نفسي؛ لأنني لا أعرف الإنجليزية جيداً، فمعرفة بالإنجليزية قليلة منذ أيام المدرسة، قال: هذا يكفي سوف أفهم، بدأ يسألني عن حياتي وبعض أقربائي وعن دراستي، حتى خرجت من فلسطين، وهل لي أصحاب خارج فلسطين في أوروبا وغيرها، سألتني هل تعلم أسماء أغنياء خارج فلسطين يرسلون أموالاً إلى الناس في فلسطين؟

قلت له: أنا غادرت فلسطين منذ عشرين عاماً تقريباً، قبل أن تبدأ الانتفاضة، وقبل أن تبدأ التفجيرات والمصادمات بين العرب وإسرائيل، يبدو أنه كان يريد أن يعرف هل لي صلة بما يجري الآن في فلسطين؟ قال: هل يعيش أهلك في فلسطين الآن؟ هو يعبر عن فلسطين بإسرائيل، يقول: داخل إسرائيل، يعني داخل فلسطين، قلت له: نعم يعيش أهلي في فلسطين الآن، قال هل ترسل لهم أموالاً؟ قلت له: أنا لست غنياً، أنا لا أستطيع أن أرسل لهم أموالاً إلى الداخل،

ثم هم ليسوا بحاجة إلى الأموال، كانت الجلسة قصيرة، رجعت بعدها إلى غرفتي.

بعد أيام قليلة طلبوني للتحقيق، ذهبت، لا أذكر الأيام، ولا التواريخ لهذه الأيام؛ لأنه لا يوجد داخل السجن أي شيء تعرف به الأيام والتواريخ والشهور، الورقة و القلم ممنوعان، أي كتابة يعثرون عليها في غرفتك سواء على ورقة أو على أرض الغرفة أو جدرانها أو على السرير، يصورونها ويترجمونها ويحللونها، ثم تكون أنت المسؤول عنها يستجوبونك عنها وربما يفتحون لك عنها تحقيقاً، دخلت غرفة التحقيق، جلست، دخل المترجم وأظنه لبنانياً عرفته بلهجته يلبس اللباس العسكري.

أما المحقق فكان المحقق القديم، أعاد علي بعض أسئلة الجلسة السابقة، وأسئلته كلها تدور حول فلسطين، وما يجري فيها، أنا لا أدري إن كان هذا المحقق أمريكياً يهتم بالشؤون الفلسطينية، أم هو إسرائيلي يحقق معي، بصفتي من مواليد فلسطين وعشت نصف عمري تقريباً في فلسطين، كل ذلك جائز، سألني: هل يمكن أن يعيش العرب وإسرائيل في أرض واحدة متجاورين من دون قتال أو من دون مشكلات، كما تعيش الكثير من الديانات المختلفة في أرض واحدة؟ قلت له: يمكن إذا ضمن كل طرف حقوق الطرف الآخر، قال: لو زرتك في بيتك، هل يمكن أن تستقبلني؟

قلت له: نعم إن الإسلام لا يمنع ذلك، قال: أنا أمريكي غير مسلم، فأنا مسيحي، ولي صديق مسلم، هل تصدق أنني عندما أسافر خارج أمريكا لا أجد أحداً أأتمنه على زوجتي وأولادي غير هذا الصديق المسلم، إن لي أصدقاء وأقارب كثيرين أرسلهم إلى بيت هذا الصديق؛ ليحافظ لي عليهم، في أثناء غيابي، قلت له: إن والدي تاجر متوسط الحال يشتري بضاعة في بعض الأحوال من تجار يهود إسرائيليين، من حيفا ومن تل أبيب، ولقد اتصل بي بالتلفون من عند هؤلاء التجار أكثر من مرة، له أصحاب تجار كثيرون يتاجر معهم، يشتري منهم ويبيع لهم، الحياة والمبادلة التجارية بينهم عادية، انتهت الجلسة ورجعت إلى زنزانتي.

اقترح موعد شهر رمضان لعام ٢٠٠٢م قامت إدارة السجن قبيل شهر رمضان بعملية نقل وتغيير لأماكن المسجونين، شمل النقل جميع المسجونين وكان النقل من عنبر إلى آخر، بحيث إنهم كانوا يجمعون كل جنسية من الجنسيات الموجودة في السجن بجانب بعضها عرباً كانت هذه الجنسية أم عجماً، أما الجنسيات الموجودة في السجن، فهي كثيرة، سمعت من بعضهم أنها ثلاث وأربعون (٤٣) جنسية من جنسيات العرب والعجم من دول عربية إسلامية وإسلامية غير عربية ومن دول غير عربية وغير إسلامية. توجد جنسيات من دول أوروبية، من أستراليا، وروسيا، والصين وأكثر

الجنسيات وجوداً هي الجنسية السعودية واليمنية والباكستانية والأفغانية، هذه الجنسيات الأربعة تشكل نصف المسجونين في جزيرة كوبا.

استبشر المساجين خيراً بهذا النقل وهذا التجميع، كل جنسية بجانب بعضها؛ لأن بعض الناس نقل أخباراً مفادها: إن إدارة السجن ستجمع كل جنسية مع بعضها بعضاً، ثم تقوم بتصفية المعتقلين الذين لا علاقة لهم بتنظيم القاعدة وطالبان، وبعد ذلك سيتم الإفراج عن أكبر عدد من المسجونين في هذه الجزيرة، ولن يبقى في هذه الجزيرة إلا عدد قليل من المعتقلين (١٠٠-٢٠٠) شخص تقريباً، والبقية سينقلون إلى مكان آخر قريباً من هذه الجزيرة - كوبا-، يجلسون فيه مدة من الزمن قبل أن ينقلوهم إلى بلادهم.

إن السجين ينتظر أي خبر يتعلق بالإفراج عنه، فإن كان الخبر صحيحاً حمد الله - عز وجل-، وإن كان غير ذلك حاول أن يفسره التفسير الذي يفرح به ويزرع الأمل في نفسه، لكن مرت الأيام دون أن يروا تجسيداً وتطبيقاً لما سمعوه، صحيح أن أناساً خرجوا من السجن لكن بأعداد قليلة، ولما خرجت أنا من رهن الاعتقال والأسر، بعد ٢٦ شهراً، مع أحد عشر سجيناً فيهم العرب وفيهم العجم كنت أنا الرقم الحادي عشر أو الثاني عشر من العرب المفرج عنهم؛ لأن

العرب المفرج عنهم أقل بكثير من أعداد العجم... من الباكستان أو الأفغان... أو غيرهم، لقد كان أول المعتقلين المفرج عنهم من جزيرة كوبا، بعض الأفغان، ثم جاء بعدهم بعض العرب، لكن ليست أعدادهم كثيرة مثل غيرهم.

لقد سمعت من بعض المسجونين أن أحد المحققين قال له: إن الذين ثبتت عليهم تهمة الانتماء إلى تنظيم القاعدة وطالبان من كل العرب والعجم الموجودين في جزيرة كوبا، حتى الآن خمسة فقط، والله أعلم بما قال، ثم قال له: إن العرب ليسوا كغيرهم ولا يجرؤ أحد من المسؤولين الأمريكيين أن يوقع على إخراجهم، وذلك لأن العرب هم أصل هذه القضية والحملة وأساسها، إنهم العمود الفقري في الأحداث التي وقعت، سواء التي وقعت في أفغانستان، أو التي وقعت في أمريكا أو في اليمن أو إفريقيا أو غيرها، حيث الاعتداء على السفارات والمصالح الأمريكية، إنهم يخشون أن يطلقوا سراح بعض هؤلاء الأسرى، فيعودون للقيام بعمليات عدائية ضد الولايات المتحدة الأمريكية، إن قسماً كبيراً من السجناء العرب بريئون ولا علاقة لهم بتنظيم القاعدة وحركة طالبان، حتى الذين أُلقي القبض عليهم في أفغانستان أو على الحدود في باكستان، كثير منهم سمعوا بالجهاد الأفغاني وبالإمارة الإسلامية في أفغانستان، فتحمسوا ليروا بأم أعينهم ما سمعوا، أو ليشاركوا في

هذه الإمارة دون أن يخطر ببالهم أسامة بن لادن أو تنظيم القاعدة الذي يرأسه، ما كان يخطر ببالهم أن يقوم أسامة بن لادن كما هو منتشر ومشاع بين الناس بضرب مبنى التجارة العالمي المكون من عمارتين في نيويورك، أو بضرب وزارة الدفاع في واشنطن، ما كان هؤلاء الشباب الذين وفدوا على أفغانستان يظنون ولو ظناً ١٪ أن تأتي أمريكا في يوم من الأيام لتضرب أفغانستان، وتطالب باستلام أسامة بن لادن، ثم تقوم هذه الحرب الضروس غير المتساوية وغير المتكافئة في كافة المجالات.

ثم يقع هؤلاء الشباب بيد قوات التحالف الأفغاني الشمالي، أو بيد الحكومة الباكستانية، ثم يقوم هؤلاء بتسليمهم أو بالأحرى والأصح ببيعهم للقوات الأمريكية، ثم يتهم هؤلاء الأسرى بأنهم أعداء الأمريكان ويريدون تدميرها وإحلال الإسلام مكانها، ما كانوا يظنون أن تقوم البلد - أفغانستان التي استقبلتهم وآوتهم، بل وسكب الكثير منهم، دمه على أرضها وسقطوا مجندين شهداء لحمايتها وضمت أرضها قبور الكثيرين منهم ولا تزال قبورهم شاهدة وبارزة فيها.

ما كان يظن هؤلاء أن يقوم هذا الشعب بقتلهم ومطاردتهم والبحث عنهم وتسليمهم وبيعهم بثمن بخس ليصبحوا عبيداً يباعون في سوق النخاسة العالمية، وليصبحوا أسرى بيد أناس ما

كانوا يظنون أنهم يرونهم في يوم من الأيام بأعينهم، أو يلتقونهم في أي مكان في الأرض، ما كان يخطر ببال هؤلاء الشباب أن يصبحوا أسرى في يد القوات الأمريكية، ربما كان يخطر ببالهم أن يقعوا أسرى بيد القوات الأفغانية الحكومية الشيوعية، أو في أيدي القوات المسلحة الروسية، أو أن يسقطوا صرعى شهداء بيد هذه القوات، أما أن تقوم هذه الدول التي أوتهم ودافعوا عن أرضها وشعبها وأعراضها ودينها، مثل باكستان وأفغانستان بتسليمهم إلى القوات الأمريكية، فما كان هذا يخطر ببالهم أبداً، إن لسان حال هؤلاء الأسرى يقول:

وِظْلَمُ ذَوِي الْقَرْبَى أَشَدُّ مُضَاضَةً عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمَهْدِ

إن حال هؤلاء الذين يعيشون في أقفاص معتقل جوانتانامو وصناديقه في كوبا التي تبعد عن مكة المكرمة أكثر من ثلاثة عشر ألف كيلومتر، إن حالهم يقول:

وَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لَا تَقِيَّتُهُ وَلَكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثٌ

إنهم يعيشون في أرض الأعداء والبعداء، أرض الغرباء، لا يعرف أحد عنهم شيئاً، ولا يسمح لأي وسيلة إعلامية أن تتقل ما يجري في هذه الجزيرة النائية إلا ما يمر من تحت سمع الأمريكان وبصرهم.



قصة اعتقال الأسرى

سمعت من بعضهم كيف كانت عملية اعتقاله وأسرره، لما قامت الحرب في أفغانستان فرّ قسم من هؤلاء من أفغانستان إلى باكستان، فقد كانت الحدود الباكستانية مشحونة بالحراس والجنود الباكستانيين، وكنا نشاهد هذا على شاشات التلفزيون قبل اعتقالنا. لقد أسرتهم القوات الباكستانية وأودعتهم معتقلاتها، والذي نجا من الحراس والجنود أسرتهم القبائل الباكستانية الحدودية، لقد خدعتهم هذه القبائل، رحبت بهم في البداية وأكرمتهم بالمبيت والطعام وطمأنتهم بالأمن والحماية وأنهم سيقدمون لهم ما يستطيعونه لإيصالهم إلى بلادهم، سمعت أن بعض القبائل ذبحت لهم الذبائح، أدخلتهم إلى مضايقتهم التي زينوها بصور المجاهدين وقاداتهم وصور الآليات والدبابات المدمرة.

لكن بعد يومين استيقظ هؤلاء الشباب فوجدوا أنفسهم محاطين بقوات باكستانية، قيدتهم وأودعتهم السجن، ثم بدأت تأخذ استبيانات ومعلومات عنهم، وأخبرتهم أنهم سوف يسلمونهم إلى سفارات بلادهم في إسلام آباد، أحضرت لهم بعض رجال الصليب الأحمر الذي أخبرهم إن أرادوا أن يكتبوا رسائل لأهاليهم يخبرونهم فيها أنهم سوف يعودون إلى بلادهم قريباً، وأخذ منهم مختصراً عن السيرة الذاتية لكل واحد من هؤلاء.

قسم من الفارين من أفغانستان إلى باكستان استطاع أن يصل إلى لاهور وكراتشي وغيرها من المدن الباكستانية، لكن الشرطة الباكستانية لا تستطيع أن تجمع هؤلاء كلهم بهذه الطريقة السهلة والسريعة، إنما كانت هنالك إغراءات مادية لكل من يقبض على عربي ويسلمه إلى الشرطة الباكستانية، وهؤلاء سوف يسلمونه إلى الأمريكان، لقد طالت عملية اعتقال من كان في أفغانستان وفرّ إلى باكستان، بالإضافة إلى عدد من العرب الذين كانوا يقيمون في باكستان، بإقامات وجوازات صحيحة وعندهم أعمال بمؤسسات إغاثية رسمية تعمل في باكستان لا علاقة لها أبداً من قريب أو بعيد بما جرى في نيويورك وواشنطن.

لقد كانت الطائرة التي حملتنا من بيشاور إلى بجرام وهي طائرة أمريكية طبعاً كان فيها مجموعة من العرب تعرفنا على

بعضنا لما نزلنا في بگرام (أفغانستان) قال بعضهم: لقد كنا في كراتشي، وقال بعضهم: كنا في لاهور، وقال بعضهم: كنا في إسلام آباد، فالطائرة حملت مجموعة من كراتشي ثم هبطت في لاهور وحملت مجموعة منها، ثم أقلت وهبطت في إسلام آباد وحملت مجموعة منها ثم هبطت في بيشاور وحملتنا منها ثم أقلت وهبطت في بگرام، لقد كانت حملة شعواء شديدة، ويل للعرب منها.

لقد خضع هؤلاء المعتقلون أو معظمهم لعملية تفتيش دقيقة من قبل الشرطة الباكستانية التي صادرت كل ما وجدته معهم من أموال أو ساعات يدوية أو حاجات ثمينة، حتى النظارات الطبية أخذت منهم، كما سمعت من بعضهم، أما الذين داهمت الشرطة الباكستانية بيوتهم، فقد صادرت منها أجهزة كمبيوتر وأجهزة تلفون وذهب وأموال، كل شيء ثمين طالته أيديهم صادروه ولم ترجع الشرطة الباكستانية منه شيئاً إلى أصحابه وهذه حوادث سمعتها من أصحابها الذين حدثت معهم عندما داهمتهم الشرطة الباكستانية في بيوتهم في بيشاور وغيرها، والله المستعان وحده على ما جرى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سمعت من بعضهم قصة اعتقاله، مجموعة من العرب كانوا جرحى في مستشفى كويته عاصمة إقليم بلوشستان الباكستاني، المحاذي لأفغانستان وإيران، أدخلوهم المستشفى، احترامهم،

رحبوا بهم، أي طلب لهم ينفذونه ويقدمونه لهم، حتى إن أحد الجرحى قال: طلبنا مرة أكلة سمك، فقال: لم يمضِ إلا وقت قليل، وإذا بجميع أنواع السمك أمامنا، المقلي والمطهو والمشوي، أخذ المستشفى منهم استبيانات، الاسم، الدولة، تاريخ الولادة، الحالة الاجتماعية، الأسرة عدد الأولاد... زارهم بعض الدبلوماسيين العرب العاملين في سفارات بلادهم في إسلام آباد، فطمأنوهم بأنهم سيرجعون إلى بلادهم، لكن بين يوم وليلة قلب القوم لهؤلاء الجرحى ظهر المجن، إذ استيقظوا في ليلة ظلماء وكما يقول المثل: [الليلة ليس فيها قمر] على قوات الأمن الباكستانية تحيط بهم، قيدتهم، مع أنهم جرحى لا يستطيعون الهرب، وبعضهم بقدم واحدة، قيدوا أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، ثم حملوهم إلى المطار، حملتهم الطائرة من مطار كويته الباكستاني، وهبطت بهم في مطار قندهار الأفغاني الذي يوجد فيه معتقل للقوات الأمريكية.

إن كل من اعتقل أو ألقى القبض عليه عربياً كان أو عجمياً من باكستان أو من أفغانستان وما حولهما كان يحمل وينقل في الطائرات، إما إلى قاعدة ومعتقل قندهار أو إلى معتقل بجرام وفي هاتين القاعدتين يتم الاستجواب والتحقيق مع المعتقلين ومن ثم يتم تصفية هؤلاء والتحقيق معهم والفصل في قضاياهم، فإما أن يكون العفو وإطلاق سراحهم وإما نقلهم إلى معتقل جوانتناموا-

كوبا- لكن المفرج عنهم من بجرام أو من قندهار لم يكن فيهم عربي واحد، حتى لو كان هذا العربي يقرأ القرآن أو يصلي فقط وليس له علاقة بالتدريب ولا بالمعسكرات ولا بتنظيم القاعدة ولا بحركة طالبان.

إن كل عربي وصل إلى بجرام أو إلى قندهار نقل إلى (جوانتنامو) كوبا وحصل على شرف الاستضافة الأمريكية، ونال وسام الزيارة لتلك القاعدة المشؤومة والجزيرة المنكوبة المنحوسة، لقد كان بعض المعتقلين الذين نقلوا من أفغانستان إلى كوبا موجودين أصلاً عند حركة طالبان وفي سجونهم ومعتقلاتهم، كان الطالبان يتهمونهم بالتجسس عليهم، لم يكن الطالبان راضين عنهم، فكيف اعتقلهم الأمريكان؟

إن الأمريكان يعتقلون كل من له علاقة وتعاون مع الطالبان وهؤلاء كانوا على علاقة سيئة مع الطالبان، فكيف اعتقلتموهم ونسبتم التهم إليهم؟! سمعت من أحدهم قصة اعتقاله إنه عراقي يعيش في بريطانيا منذ سبعة عشر عاماً، لم تطأ قدمه أرض أفغانستان لم يرَ أفغانستان حتى في المنام والأحلام، كان يعمل في التجارة والأعمال الحرة، وقبل اعتقاله بأسبوع تقريباً قرر السفر في مهمة تجارية، مع مجموعة مكونة من أربعة أفراد إلى دولة في غرب إفريقيا، تسمى جامبيا، مشهورة بزراعة الفستق (الفول السوداني)

إنهم ذهبوا إلى هذه الدولة لإقامة مصنع لهم لإنتاج الزيت من الفول السوداني؛ بسبب رخص سعره هناك، وبسبب الأيدي العاملة الرخيصة، إنها مهمة تجارية لا علاقة لها بالحرب ولا بالإرهاب، لا علاقة لها بتنظيم القاعدة ولا بحركة طالبان، إنها بلد تبعد أكثر من عشرة آلاف كيلومتر عن أفغانستان، إنها في قارة وأفغانستان في قارة أخرى.

يقول هذا المعتقل: عندما قررنا السفر إلى جامبيا عبر مطار لندن قامت قوات الأمن البريطانية باعتقالنا نحن الأربعة، مباشرة كلفنا محامياً بالدفاع عن قضيتنا واستطعنا الخروج من المعتقل بعد بضعة أيام، ثم السفر مباشرة خلال أسبوع مرة ثانية، خرجنا من لندن وصلنا إلى جامبيا، لما نزلنا من الطائرة المدنية ودخلنا مبنى المطار جاء رجال الشرطة وتسلموا جوازاتنا الأربعة، وقالوا لنا: تمهلوا نريدكم قليلاً، كان هذا القليل احتجازنا مدة أسبوع في مكان جيد نحن الأربعة، بعد أسبوع تم إطلاق سراح اثنين منا يحملان الجنسية البريطانية، وتم تجديد اعتقال اثنين آخرين أنا أحدهما لا يحملان الجنسية البريطانية وتم نقلنا إلى مكان آخر غير جيد مدة عشرة أيام، ثم تم تسفيرنا في طائرة صغيرة وحدنا من جامبيا إلى أفغانستان.

لقد قيدونا على مقاعد الطائرة تقييداً محكماً لا نستطيع معه الحركة، أما الأعين فمغطاة والأذن مغلقة والفم والأنف مغطيان،

وحتى لا نحتاج إلى استعمال الحمام Tiolet قاموا بوضع حفاظات كبيرة لنا كالأولاد الصغار؛ لاستعمالها للبول والغائط إذا احتجنا إليها، وكما يسمونها هم number one and number two، وصلنا إلى مكان، بعد رحلة طويلة عرفنا فيما بعد أنها كابل التي لم أزرها وأدخلها باختياري، فدخلتها ومشيت على أرضها بغير اختياري، ثم أدخلونا إلى سراديب تحت الأرض لا نرى شيئاً، الدنيا ظلام طيلة اليوم والأربع والعشرين ساعة سواد دامس، غرفة لا ترى فيها شيئاً، ليس بها حمام لقضاء الحاجة Tiolet، لكن عندك في الغرفة وعاء (سطل) تستعمله لقضاء الحاجة، يعطونك بعض قوارير الماء البلاستيكية للشرب.

أما الطعام فكان مرة واحد كل (٢٤) ساعة، كمية قليلة من الأرز والخبز، يدخل عليك الحارس الملثم يحمل بيده فانوساً صغيراً؛ ليرى موقع قدميه، يسلمك الطعام والشراب، ثم ينصرف، فالكلام معه أو مع غيره من السجناء ممنوع، أما الشاي أو الحليب والفاكهة فأشياء غير موجودة، أقاموا هناك ما يقارب ثلاثة أسابيع ثم نقلوهم إلى جوانتانامو- كوبا- بالطريقة التي يرحلون بها بقية المعتقلين، تم استجوابه في التحقيق كثيراً، أهله يقيمون في بريطانيا، يأمل أن يرجع إليهم قريباً.

قصة معتقل آخر أصله من إفريقيا، نسيت اسم هذا البلد، خرج مع أمه إلى بريطانيا، وهو صغير، كانت حياته كحياة

الجاهليين الذين يعيشون في بريطانيا، لكن قبل اعتقاله بسنين قليلة رجع إلى الله وبدأ يستقيم في حياته، سمع بأفغانستان وإن بها إمارة إسلامية يحكمها الطالبان، فقرر أن يزور هذه الإمارة ويراهما، وفي أثناء هذه الزيارة وقعت أحداث نيويورك وواشنطن وقامت الحرب في أفغانستان، فخرج ورجع إلى إفريقيا، وفي دولة إفريقية وهي مسقط رأسه تم اعتقاله، ثم تسفيره إلى كوبا، هو رجل رياضي يهتم بتقوية جسمه، يتدرب يومياً حتى في السجن لما كان خارج السجن قبل اعتقاله كان مدرباً يكتسب رزقه من تدريبه لبعض الناس، عنده إحساس شاعري، ينظم الشعر سمعت منه بعض الشعر باللغة الإنجليزية، يتكلم فيها عن السجن، وما يعانيه السجين، وما يقوم به السجنانون، الأمريكان، ترجم لي هذا الشعر إلى العربية بلغة مفهومة، وإن كانت صعبة عليه.

يقول في هذا الشعر: إن أمريكا مرتاحة متتعة، تقوم بالحرب، ترى الدماء والدمار والأشلاء، وغيرها فقير مظلوم بائس، ولأن هذا الشعر لا يعجب إدارة السجن؛ لأنه كان ينشد هذا الشعر على مسامع الجنود، الذين ينقلون ما يسمعون في العنابر إلى إدارة السجن قامت إدارة السجن وصادرت هذا الشعر ولقد شهدته مرة ينشد هذا الشعر وكان في عنبري، بل جار لي، وقد تجمع الحراس في العنبر أمام غرفته ورأيتهم معجبين بشعره ينظر بعضهم إلى

بعض، يضحكون ويتميلون بسبب دقة وصفه وتشخيصه للسجن والسجان والسجين.

لقد كان أسود اللون، ولا اعتراض على خلق الله، وسبحان الله العظيم، حتى الجنود الأمريكان ذكورهم وإناثهم وهم نصارى على غير دينه، كان يرى منهم التعاطف والحنو عليه والكلام والنقاش معه، خاصة السود الذين يشاركونه البشرة. كانوا يقضون الوقت الطويل على شبك غرفته، يتجاذبون أطراف الحديث ليلاً ونهاراً وخاصة ليلاً، يتناقشون في شتى الأمور والمشكلات.

لقد كان لونه الأسود يجذبهم إليه، إنك ترى التوافق والانسجام بينهم لكن كنت تحس أن لسان حال الجنود يقول له: كلامك صحيح لكن نحن في جيش لا نستطيع أن نفعل شيئاً، إننا نطبق الأوامر فقط لقد كان مؤدباً لم أر منه طيلة وجوده في عنبري أي مخالفة لقوانين السجن والسجان، لكن أظن أن شعره هذا كان سبباً في تأخر الإفراج عنه؛ لأنه تم الإفراج عن أربعة بريطانيين وعن غيرهم، من العرب والعجم، ومنهم سجناء من دول أوروبية قبل أن أخرج من (جوانتنامو) لكن خرجت من كوبا، وهو لا يزال هناك.

قصة رجل آخر أهله هاجروا من إفريقيا إلى دولة في أمريكا الجنوبية (جامايكا) ثم رحلوا من جامايكا إلى بريطانيا، صاحب

القصة ولد في مانشستر إحدى المدن البريطانية، أهله يدينون بغير دين الإسلام، إنهم نصارى، لكن الله - عز وجل - تفضل عليه وهداه للإسلام، فهو مسلم وزوجته وأولاده كذلك مسلمون دون بقية العائلة الآخرين كما فهمت من قصته، سمع بالإمارة الإسلامية في أفغانستان، فأراد أن يعرف عن قرب هذه الإمارة فذهب إلى أفغانستان، لكن الطالبان اعتقلوه وأودعوه السجن واتهموه بأنه جاسوس، وبقي في السجن حتى قامت الحرب في أفغانستان وسقطت حكومة الطالبان وجاء الأمريكان، فاعتقلوه ورحلوه إلى معتقل (جوانتنامو) ومكث في هذا المعتقل ما يقارب ثلاث سنوات، إن هذا المسكين ما كان له حظ مع حكومة الطالبان وما سلم من الاعتقال من حكومة الأمريكان، سمعت أنه خرج من كوبا قبل خروجنا بشهر.

قصة سجين آخر اعتقلته باكستان، عمل في مؤسسة إغاثية ثم تركها وانتقل إلى تجارة العسل مدة سنين ثم تركها وعمل مع مؤسسة إغاثية يتاجر معها، يترزق ويعيش من هذه التجارة، يشتري لهم الطحين والأرز والزيت ومواد غذائية، رجل هادئ معتدل صاحب خلق ودين، ليس متطرفاً حسب المفهوم الغربي، لما وقعت الحرب في أفغانستان بعد أحداث (١١) سبتمبر وحلَّ بالعرب ما حلَّ نوى الخروج من باكستان لكن قبل أن يغادر المطار اعتقلته باكستان،

أسكنوه الفندق أياماً قليلة ثم سلموه للأمريكان الذين نقلوه إلى قندهار، حيث عانى هناك الكثير وبعد شهور نقلوه إلى كويا، حيث لا يزال هناك إلى هذا الوقت.

قصة باكستاني رأيته في السجن وكان في العنبر الذي أسكنه، يقول هذا المعتقل: لما وقعت الحرب في أفغانستان كان أخي هناك قد تأخر ولم يرجع، افتقدناه، فأردت أن أذهب بنفسي، أبحث عنه فحصلت على تأشيرة دخول من السفارة الأفغانية في إسلام آباد، لم يكن لي أي هدف إلا أن أبحث عن أخي وأرجعه إلى أبيه (والدي)، ما كان لي هدف آخر، ما كان عندي نية أن أقاتل مع الطالبان ضد الأمريكان، لما وصلت إلى شمال أفغانستان وبدأت أبحث عن أخي اعتقلني تحالف الشمال، وظن أنني من المقاتلين الباكستانيين الذين كانوا يقاتلون مع حكومة الطالبان ضد تحالف الشمال، أو قاتل مع الطالبان ضد تدخل الأمريكان، قلت لهم: أنا جئت أبحث عن أخي في الشمال؛ لأن معظم الأسرى الباكستانيين كانوا في الشمال الأفغاني، فظننت أن أخي هنا معهم وهذه تأشيرة دخول رسمية من سفارة أفغانستان في إسلام آباد أنا لم أدخل تهريباً وخفية أو من دون تصريح منكم، لكن لم يعيروه أي اهتمام، وأودعوه السجن في منطقة مزار شريف ولاية بلخ.

ف

قصة من سجن النحالف

على الحدود الروسية، قال الشاهد أو الراوي: أدخلونا داخل كونتینر- السيارة التي تحمل صندوقاً حديدياً كبيراً محكماً- وهذه المنطقة تخضع لسيطرة تحالف الشمال، ومسؤول المنطقة يطلقون عليه الجنرال الحاج عبد الرشيد دوستم، وضعونا في هذا الصندوق بأعداد كبيرة، كأنك ترتب صناديق ببيسي كولا، أو كراتين حليب نيدو، كنا ملتصقين ببعضنا، لا يستطيع أحدنا أن يتحرك من مكانه، امتلأ الكونتینر بالبشر، فأغلقوه علينا، وتحركت السيارة التي تجر هذا الصندوق الحديدي المحكم، لكن لا أحد يعلم إلى أين تتحرك.

مشيت ساعات طويلة، تعالى صراخ الموجودين في هذه العلبة المحكمة، بالتكبير والتهليل، والدعاء إلى رب الأرض والسماء أن يفرج عنهم هذا البلاء، الأصوات التي بدأت عالية بدأت تخبو

وتضعف شيئاً فشيئاً، ضاق التنفس انقطع الصوت خمدت الأنفاس، الموت يقترب من بعضهم، كل واحد منهم لا يستطيع أن يقدم لنفسه، فضلاً عن أن يقدم لغيره أي مساعدة، يا إلهي! سنموت جميعاً في هذا المكان، ولعل هذا المكان يكون قبرنا، لعلهم يحفرون لهذا الكونتينر حفرة كبيرة ويضعونه فيها، فيكون هذا الكونتينر هو الكفن وهو القبر، بعد ساعات طويلة قدرها من في الكونتينر من (٨-١٠) ساعات توقف هذا القبر المتحرك - الكونتينر - فتحوا الباب الحديدي المحكم لهذا الصندوق - غرفة الموت فإذا بعض من فيه قد قضى نحبه وخرجت روحه إلى بارئها، غريباً بعيداً، بأرض ليس له فيها ولد ولا والد، والذين في هذا الصندوق الحديدي منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، أو أنه في حالة خطيرة، أو أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة.

وبعضهم خرج من غرفة الموت، وما زالت الروح فيه قوية؛ ليروي المأساة، ويحدث عن بشاعة ما جرى في هذا السجن الذي نجا فيه من الموت بقدر من الله - عز وجل - ويستمر في حديثه عن بقية المأساة، قال: من قدر الله - عز وجل - له النجاة، لقد أدخلونا إلى سجن في غرف ضيقة غير نظيفة، والغرفة التي تتسع لخمسـة وضعوا فيها عشرين، أما الدواء والعلاج فغير موجود، مع العلم أن بعض من كان في الكونتينر مجروح قد تعفن جرحه، ولم يقدموا

له حتى المطهر. قالوا له: لا بد أن تقطع يدك، فقال لهم: اتركوها كما هي وليحدث لها ما يحدث وأنا أتحملة، وتركت يده كما هي دون علاج، وشاء الله -الذي على كل شيء قدير- أن يبرأ جرح يده العميق التي رفض قطعها، ويده الآن مثل يده الأخرى السليمة، أما الطعام في هذا السجن عند تحالف الشمال، فرديء جداً وقليل جداً، إذ إن كل أربع وعشرين ساعة يقدمون للسجين كمية من الأرز، أو قطعة من الخبز صغيرة وقديمة، أما الفاكهة فلم يروها حتى في المنام والأحلام، أما مياه الشرب فقير صالحة للشرب.

ومع أن كمية الأرز التي كانت تقدم للسجين في معتقل جوانتانامو أيضاً قليلة، فإن الذين كانوا في سجن تحالف الشمال لما رأوا كمية الأرز التي تقدم للفرد الواحد في جوانتانامو، قالوا: هذه الكمية التي نأكلها الآن في كوبا، كانت تقدم لأربعة سجناء في سجن التحالف الشمالي الأفغاني، ومع أن وجبات الطعام في معتقل جوانتانامو ليست رديئة، فإنها في الوقت نفسه أيضاً ليست جيدة وكافية لمعظم السجناء، ومع ذلك فإن الذين دخلوا سجن تحالف الشمال الأفغاني عندما رأوا الطعام في كوبا، قالوا: إن سجن كوبا يُعد فندقاً خمس نجوم بالنسبة للطعام الذي كنا نأكله في سجن التحالف الشمالي الأفغاني.

قال الراوي، وهو شاهد عيان على المأساة: لما كان الجوع والبرد همارفيقانا طيلة مدة وجودنا في سجن تحالف الشمال، فقد كنا

نخرج إلى الشمس مرة كل أسبوع، وأحياناً مرتين، فكنا إذا خرجنا نأكل كل ما نجده على الأرض من عشب أخضر دون أن نعرف ماذا نأكل من شدة الجوع، حتى إن ساحة السجن التي كنا نخرج إليها وكانت مليئة بالعشب الأخضر عادت بعد مدة نظيفة من أي عشب، لقد أكلنا كل ما كان عليها من العشب.

أما الحمام - الاغتسال - فكان في كل شهر مرة لمن أراد، لكن بالماء البارد، مع أن درجة الحرارة منخفضة جداً والمنطقة معرضة لموجات من البرد الشديد، ومعرضة لنزول الثلج عليها باستمرار طيلة مدة الشتاء، يقول الراوي: لقد ظهر علينا القمل واتسخت ملابسنا لدرجة كبيرة، لكن لا أحد يستطيع التكلم.

أما حمام قضاء الحاجة فحدث عنه ولا حرج، الحمام لا يوجد فيه ماء ولا ورق حمام (فاين) ولا حجارة قلت له: كيف كنتم تتصرفون عند قضاء الحاجة؟ قال: كنا إذا خرجنا إلى الشمس نأخذ معنا حجراً صغيراً ونخفيه في جيوبنا عن الحراس، ثم ننظف به مكان النجاسة عند قضاء الحاجة، ولا نلقيه بل نضعه في جيوبنا، ونبقى نستعمله كلما دخلنا إلى الحمام، وهكذا، حتى نجد حجراً آخر مكانه. . لقد كان وضع السجن مأساوياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، لقد كان الحراس في السجن يستغلون السجناء أبشع استغلال، يبتزون الأموال القليلة التي معهم، حتى إن الحراس

كانوا يؤجرون جهاز راديو إلى المساجين؛ ليسمعوا الأخبار مدة ليلة مثلاً، بمبلغ كبير من المال.

ولقد قام الحراس والضباط في هذا السجن، وكلهم من الأفغان- تحالف الشمال- بعمليات احتيال كبيرة على المساجين، خاصة الأغنياء منهم، إذ إن الضباط طلبوا فدية من المال، مقابل إطلاق سراح السجن الذي سيدفع هذه الفدية، وبما أن المساجين لا يملكون مثل هذه المبالغ، فقد قام المساجين بكتابة رسائل إلى أهاليهم، يعرفونهم فيها بأنهم موجودون في السجن عند تحالف الشمال، وإن إطلاق سراحهم متوقف على دفع مبلغ من المال للمسؤولين في السجن، ولقد سمعت أن أحدهم دفع عنه أهله مئتي ألف روبية باكستانية؛ حتى يتم الإفراج عنه، لكن إدارة السجن أخذت الأموال من أهل هذا السجن ولم تطلق سراحه، أما مصير هؤلاء السجناء فقد قامت قوات التحالف الشمالي بتسليم، أو بيع هؤلاء السجناء للقوات الأمريكية في أفغانستان، حيث تم نقلهم إلى معتقل جوانتانامو- كوبا-.

ولقد حدثنا بعض المعتقلين، بأنه سمع من رأى بأم عينه، جرافة (حفارة) تقوم بحفر حفرة كبيرة، ثم يؤتى بأناس مكبلين بالسلاسل يقودهم رجال، ويلقونهم (يقذفونهم) في تلك الحفرة وتعود الجرافة مرة ثانية لتلقي عليهم التراب وهم أحياء، لقد

قامت قوات التحالف بخداع الكثير من المعتقلين العرب والعجم في الشمال الأفغاني، حيث تجمع الكثير منهم في مكان واحد، وطلبت منهم الاستسلام، لكن رفض الجميع هذا الطلب، إلا بشرط ضمان السلامة وإطلاق سراح الجميع، واستسلموا، لكن قوات التحالف لم تلتزم بتعهداتها، لقد نقضت العهد معهم، وخذعتهم، فبعد استسلامهم تم الإفراج عن بعض الأفغان، أما بقية الجنسيات ومنهم العرب، فقد قيدوهم بالسلاسل وساقوهم إلى السجن، ثم بعد ذلك تم تسليمهم ببيعهم للأمريكان، الذين نقلوهم بعد ذلك إلى معتقل كوبا.

لقد قامت القبائل الباكستانية الموجودة على الحدود الباكستانية الأفغانية باستقبال الفارين والهاربين من جحيم الحرب في أفغانستان، وكان هؤلاء الفارون من جنسيات مختلفة عرباً وعجماً، لكن نسبة العرب فيهم أكثر من النصف، هذه القبائل أظهرت لهؤلاء الفارين الأمان والاطمئنان، لكن الأمان والاطمئنان كان لغير الله، بل كان لزيادة المكر والغدر ولزيادة التمكن من جمعهم واستدعاء قوات الأمن الباكستانية لاستلامهم وتقييدهم بالسلاسل، مقابل دراهم معدودة، لقد حملوا هذه المجموعة في سيارتين (حافلتين) كبيرتين، لكن شعر هؤلاء الشباب بأن العملية غدر وخيانة، وأنهم يسرون نحو المجهول والنهاية المؤلمة، إنه السجن وما بعد السجن.

كانت الشرطة الباكستانية داخل السيارتين وخارجهما على السطح، فقرر هؤلاء الشباب أن يقوموا بعملية ومغامرة؛ لعلهم ينجحون في تحرير أنفسهم من هذا الرق والقيد الذي يعيشون فيه، فاستطاع بعضهم أن يفك قيد يديه وأن يهجموا على الشرطة الباكستانية، ويستولوا على البنادق التي يحملونها وأطلقوا النار عليهم وقامت داخل السيارتين معركة بين هؤلاء الشباب والشرطة الباكستانية، وسائق إحدى السيارتين وهو من الشرطة ركب الذعر والخوف فترك القيادة، للسيارة وفتح الباب وقفز، وترك السيارة تسير من دون سائق، مما أدى إلى انقلابها بمن فيها، كان هنا القتل والجرحى من الطرفين نتيجة تبادل إطلاق النار بين الطرفين أولاً، ونتيجة انقلاب السيارة بمن فيها ثانياً.

هذا الحادث سمعنا به وشاهدناه قبل اعتقالنا بعدة شهور، وسمعنا أن الشرطة الباكستانية قامت بدفن القتلى من هؤلاء الشباب، بعض الناس الصالحين من سكان تلك المناطق قام وحفر عن هؤلاء الشباب قبورهم، وقام بإصلاح أكفانهم وتعطيرهم بالطيب، وعمل اللازم نحوهم من الصلاة عليهم، ودفنتهم في أماكن أخرى، وبدأ سكان تلك المنطقة بزيارتهم والدعاء لهم والتبرك بقبورهم، أما بقية الأحياء والجرحى من السيارتين فاستمر الغدر والخيانة معهم، حيث أودعواهم أحد سجون المناطق

الحدودية بين باكستان وأفغانستان وما هي إلا أيام قليلة حتى تم بيعهم وتسليمهم للأمريكان الذين لم تمضِ ساعات على تسليمهم حتى كانوا داخل الطائرة التي كانت تنتظرهم في أقرب مطار، وقد نقلتهم إلى معتقل أمريكي في قندهار أفغانستان، حيث أمضوا عدة شهور في قندهار، ثم تم ترحيلهم إلى معتقل جوانتنامو، ومن صور معاملة الجنود الأسرى في قندهار:

١- جندي يضع القرآن الكريم في سطل (الخلاء) مكان قضاء الحاجة الذي يستعمله المساجين لفضلاتهم الآدمية.

٢- حبس الأسرى أحياناً في كونتينر مغلق حديدي، مع أن الفصل كان صيفاً، ودرجة الحرارة مرتفعة جداً.

٣- الجلوس مدة طويلة ساعة، ساعتين أحياناً على الركب والأيدي خلف الرأس، مع أن أرض المعتقل التي يكون فيها العقاب حصباء مديبة تجرح الركب وتدميها.

٤- عند الذهاب للتحقيق يطلب من المعتقل أن ينبطح (ينام) على بطنه على الأرض والأيدي خلف الظهر، ثم يتم تقييده بالسلاسل بطريقة شديدة وعنيفة.

العرب الذين كانوا في البوسنة هؤلاء موجودون في البوسنة منذ الحرب بين البوسنة والصرب.

هؤلاء العرب متزوجون من بنات البلد، لهم أولاد، يحملون جنسيات تلك البلد، ألقت الحكومة القبض عليهم بتحريض خارجي بتهمة الإرهاب (المزعوم) لكن حتى يكون هنالك مخرج وحيلة لتسليمهم للأمريكان تم الضغط على حكومة البوسنة لسحب جنسياتهم، ثم تم تسليمهم للأمريكان، الذين نقلوهم إلى معتقل جوانتانامو، مع أن المحكمة في البوسنة حكمت لهم بالبراءة من أي تهمة أو علاقة بالقتل والإرهاب.

مضت الأيام وجاء الحراس لأخذي إلى التحقيق، خرجت معهم، وقادوني إلى غرفة التحقيق، جلست وحولي الصور، صورة المسجد، صورة أسرى في لباسهم البرتقالي، صور لبعض المهاجرين الأفغان، صور الجرحى، أطفال وغير أطفال، صور بيوت مهدمة صور إغاثية ومساعدات، صور مقاتلين ومجاهدين يحملون السلاح، صور مختلفة، وهي أمامك وأنت جالس لا تستطيع أن تترك مقعدك أو تغير جاستك؛ لأنك مقيد بسلسلة في قدميك، والسلسلة مقيدة بحلقة ثابتة في أرض الغرفة، وعن يمينك نافذة من الزجاج، وعن يسارك نافذة أخرى مثلها، هذه النوافذ زجاجها أسود، وفي داخل غرفة التحقيق شيء أسود مستدير متصل بأنبوب، سمعت أن هذا الشيء الأسود المستدير كاميرا للتصوير، تقوم بتصويرك وتنقل جميع تحركاتك وإشاراتك إلى شاشة في غرفة مجاورة.

وسمعت أن هذا الزجاج الذي عن يمينك وعن يسارك ذا اللون الأسود زجاج يراك من خلاله أشخاص يوجدون في الغرفة التي عن يمينك أو عن يسارك، يرون مدى تأثرك بكل صورة تنظر إليها، تفرح لها وتنفرج أسارير وجهك لها تحزن أو تتضايق أو تعبس لها، هذا تحليل بعضهم لمن جلس في مثل هذه الغرف، ومما يؤكد ويؤيد هذا التحليل أنني كنت في إحدى غرف التحقيق ذات مرة، إذ انتهى التحقيق وخرج المحقق وقال لي أو وقالت لي (على الصحيح) لأنها كانت سيدة: بعد دقائق يأتي الحراس ويأخذونك إلى غرفتك، كنت مصاباً بالرشح وأصابني العطاس كثيراً؛ بسبب برودة المكيف فخرج المخاط من فمي وأنفي، وبما أنه لا يسمح للمعتقل أن يحمل في جيبه أي شيء من مناديل الفايين في جيبه، يفتش ويؤخذ منه كل شيء في جيبه، أقول: أصابني شيء من الحرج والارتباك بسبب هذا المخاط أو البصاق.

وبدأت ألتفت عن يميني وعن يساري، وبسرعة فتح الحراس الباب على، وقدموا لي الفايين، دهشت وذهلت، قلت في نفسي: ما الذي جعلهم يعرفون ويحسون بما حصل لي؟ قلت: لا بد أنهم يراقبون تصرفاتي وأنا جالس داخل غرفة التحقيق، نعود إلى غرفة التحقيق، جاء المحقق بلباسه العسكري ومعه مترجمة مثله بلباس عسكري تترجم إلى العربية ببطء، إنها مترجمة مكسرة، لكنها ترجمة مفهومة.

كانت الأسئلة عن حياتي في باكستان، أسماء المعاهد والمدارس والجامعات التي عملت فيها، أسماء المدرسين الذين كانوا معي في هذه المعاهد والمدارس، والكتب والمناهج التي كانت تدرس فيها، سألتني عن المؤسسات والهيئات التي تشرف على هذه المدارس والجامعات، سألتني عن الجهات الحكومية أو الدول التي تتبنى هذه المؤسسات أو الهيئات، وتتفق عليها التاريخ والوقت الذي عملت فيه في كل هذه الأماكن، والتاريخ الذي تركتها فيه، سألتني عن مؤسسات إغاثية وإنسانية عربية وإسلامية في باكستان، وعن أشخاص عرب يعملون فيها وعن نشاط هذه المؤسسات في باكستان، وفي داخل أفغانستان، وعن مجالات عملها في المدارس، والأيتام، والإغاثة الغذائية والمساجد والمساعدات المالية.

هذا ما أذكره؛ لأنني أكتب بعد مرور سنتين تقريباً عن هذه الأحداث، وهذه الأحداث سمعتها كلها، وسألت عنها، وأجبت عنها، لكن ربما قدمت شيئاً أو أخرته عن وقته ومكانه، أو كان السؤال هذا مثلاً من محقق ما، ووضعته لمحقق آخر وذلك لطول العهد بينها وبين تدوينها، ولعدم وجود أوراق وأقلام معنا؛ لانعدام وجود أي وسيلة أخرى لتدوين هذه الأحداث.

انتهت الجلسة، وانصرفت راجعاً إلى غرفتي برفقة الحراس.

هذا المحقق كان مؤدباً معي لم يستقزني، لم يحاول أن يطرح علي أسئلة لا علاقة لها بعلمي، ويمكن وجودي في باكستان، في نهاية الجلسة طلب مني أن أخبره عما يجري في العنابر، فقلت له: إن السجناء يتكلمون مع بعضهم بعضاً في أحوال السجن وعن بلادهم وعن حياتهم، قصص وأحداث حصلت لهم، يتسامرون ويتكلمون بها، إنهم يصلون ويقرؤون القرآن عن أي شيء سيتكلمون؟ هل تخافون منهم؟ إن كلامهم عادي، قال: إذا سمعت شيئاً يريدون فعله يخل أو يعارض القانون والنظام والأمن ويؤدي إلى الفوضى، فلا تسكت وتخبرنا به.

هذه الجلسة كانت قبيل رمضان من عام ٢٠٠٢ م وأذكر في هذه الحقبة أن الأخبار تسربت من بعض الجهات المسؤولة في السجن عن وجود عاصفة أو رياح شديدة، تهب هذه العاصفة على أمواج البحر الذي يوجد على مقربة من عنابر السجن والأبنية الأخرى الملحقة بالسجن، فتصل أمواج البحر أو المد البحري إلى هذه العنابر والأبنية.

وربما تكون هذه العواصف أو الرياح الشديدة مصحوبة بالأمطار الغزيرة، هكذا سمعنا الأخبار والله أعلم بصحتها، لكن بعد أيام من تسرب هذه الأخبار، بدأت تظهر بعض الأعمال التي تؤيد وترجح صحة ما سمعناه من أخبار، بدأت السيارات والجرارات

الطويلة، تحمل معدات وأغراضاً كثيرة كانت توجد على الأرض بين عنابر السجن، وتنقلها إلى أماكن أخرى، بدأت إدارة السجن تزيل الستائر والجدران القماشية التي تحيط بالعنابر والتي توجد على الجدران والأسلاك المشبكة الموجودة بين كل عنبر وآخر، وذلك خوفاً من أن تمزقها أو تدمرها الرياح والعواصف الشديدة.

بدأ الحراس بإغلاق نوافذ السجن ذات الشبك بأغطية قماشية أو بلاستيكية؛ خوفاً من الرياح والعواصف أو خوفاً من الأمطار التي تكون مصاحبة للعواصف، هذه احتياطات رأيناها قامت بها إدارة السجن، لكن مرّ الوقت وما رأينا أو سمعنا شيئاً خطيراً أو مخيفاً والتوقعات والنتائج لهذه العاصفة ما كانت بقدر الاستعدادات والمخاوف، جاءت الأمور أبسط وأيسر مما كنا نتوقع.

دخل رمضان ٢٠٠٢ م، وكان قد سبق شهر رمضان إضراب عن الطعام، وإضراب عن الخروج للتحقيق أو للرياضة والاستحمام وإضراب كذلك عن أخذ واستلام أو طلب الصابون وفرشاة ومعجون الأسنان أو ورق الحمام. . . وحتى الكلام مع الحراس بأي شكل من الأشكال وربما يسأل سائل: كيف يحصل هؤلاء المضربون على أغراضهم واحتياجاتهم الضرورية؟

فالجواب: إن هؤلاء المضربين يكونون قد تزودوا بما يلزمهم من حاجاتهم الضرورية من الحراس، فقد طلبوا أغراضهم من

الحراس قبل بداية إضرابهم بأيام، وخننوا هذه الأغراض في غرفهم، وعند بداية الإضراب تكون كافة متطلباتهم وحاجاتهم الضرورية متوافرة وموجودة عندهم، لكن هذا الأمر كان ثم تغير، حيث أصبح الخروج للتحقيق أو الرياضة والاستحمام إجبارياً وليس اختيارياً، وكل من يرفض الخروج من غرفته للتحقيق أو الرياضة - أو لأي أمر آخر كتفتيش الغرفة مثلاً، الذي يتم مرتين أسبوعياً، كما هو دارج ومعمول به في نظام السجن، عدا التفتيش الفجائي الذي يتعرض له كل سجين إذا طلب منه الحراس ذلك، في أي وقت من ليل أو نهار، يخرج برغم أنفه، وذلك عن طريق قوات مكافحة الشغب.

قوات الشغب هذه دائماً على أتم الاستعداد، وهي مجهزة بكل ما يلزمها، ومحصنة ضد أي اعتداء يقع عليها من السجناء مثلاً، والتجهيز في جميع أجزاء الجسم من الرأس إلى القدمين، وقبل الدخول على السجنين يأتي المسؤول تلو المسؤول لإقناع السجنين بالخروج وتنفيذ الأوامر وتطبيق القانون.

فإذا رفض السجنين ذلك جاء مسؤول كبير معه علبة الغاز المسيل للدموع أو غاز آخر لا أعرف اسمه وهذا الغاز مؤثر على الجسم خاصة العينين، يقوم المسؤول برش السجنين على جسمه أو رأسه وعينيه مما يضطر السجنين أن ينشغل بإبعاد الغاز عن نفسه أو ينشغل بألم عينيه، فيطلب المسؤول من السجنين أن ينام

على الأرض، يستلقي على الأرض على بطنه ويضع يديه خلف ظهره، يقوم الحارس بفتح باب الزانزانية؛ لأن الفتحة من الخارج، ويدخل عليه خمسة من قوات مكافحة الشغب ويقيدونه في رجليه، على أن يضع يديه خلف ظهره، ثم يحملونه ويخرجونه من غرفته إلى التحقيق أو إلى مكان المشي والرياضة، ثم يقوم حراس آخرون بتفتيش غرفته ومصادرة ما يريدونه وربما يضعون عليه عقوبة معينة حسب أنظمة السجن.

وقد شاءت الأقدار أن يجاورني أحد هؤلاء المضربين عن الطعام، لقد كان الحارس يضع له الطعام والفاكهة، والشاي والحليب والخبز على نافذة الغرفة ليأكلها، وبعد مرور ثلاثين دقيقة، يأتي الحارس لجمع الأطباق الفارغة أو بقايا الطعام، لكنه يجد الطعام كما هو، فيسأل الحارس السجين: لماذا لا تأكل؟ فلا يجيبه السجين بأي كلام؛ لأن بعض السجناء لا يأكل؛ لأنه مريض، أو غير جائع مثلاً، أو أنه صائم، فيخبر الحارس عن سبب عدم تناوله للطعام، فلا يقوم الحارس بتسجيل رقم غرفته، أو إن كان الشخص مريضاً يريد الطبيب أو يوجد طعام خاص يصرفه الطبيب للمريض غير هذا الطعام؛ لأن الحارس يسجل كل شيء يفعله السجين، فإن تكرر عدم استلام السجين للطعام، فهذا يعني أنه مضرب عن الأكل، فيسجل الحارس رقم غرفته، ويبلغ المسؤول عن الأمر.

وربما لا يريد السجن الأكل لكنه يأخذه ويعطيه إلى سجين آخر، إما عن طريق الحارس ينقله بنفسه إلى سجين آخر، وإن رفض الحارس نقله ربما يعطيه السجن لجاره عن طريق شبك الغرفة عن يمينه أو عن يساره، بعض السجناء والمجاورين قام وسأل هذا المضرب عن الطعام عن سبب هذا الإضراب ما دواعيه؟ ما هي مطالب المضربين حتى يوقفوا إضرابهم؟

وبحكم جوارى لهذا السجن كنت أسمع ما يجيبهم به، قال هذا السجن المضرب: نحن هنا سجناء، وبعثنا الأمريكان أسرى حرب لتنظيم القاعدة وتنظيم حركة طالبان، وأسرى الحرب لهم حقوق، لكن لم تقدم لنا إدارة السجن هذه الحقوق، نريد أن يطبقوا علينا بنود ومحتويات معاهدة جنيف لأسرى الحرب، إن معاهدة جنيف وتسمح لأسرى الحرب أن يكون عندهم وسائل إعلام كثيرة ومختلفة من مجلات وجرائد ومذياع وتلفزيون، تسمح معاهدة جنيف أن يكون لكل أسير محام وألا يتكلم المعتقل في التحقيق إلا بحضور محاميه، كما تسمح بزيارة الأهل للأسير، والمعاهدة تنص على أن أسير الحرب بإمكانه ألا يجيب عن أي سؤال من المحقق إلا عن اسمه ورتبته وفرقته إن كان في جيش نظامي.

كما أن المعاهدة تنص على أنه لا يجوز أن يتعرض الأسير لأي شكل من أشكال الضغط أو التعذيب إذا رفض الكلام أو الإجابة

عن أي سؤال من الجهة التي أسرتة، كذلك المعاهدة لا تسمح بالاعتقال الطويل الأمد دون محاكمة الأسير، إن الأسير له حقوق أخرى ذكرتها المعاهدة ووافقت عليها أمريكا ووقعت عليها، لكنها الآن تخالف هذه القوانين.

لقد بقي هذا السجين المضرب عن الطعام لا يأكل مدة طويلة، حتى أصبح لا يقوى على الصلاة قائماً، وفي النهاية سقط على الأرض، قام السجناء بالصراخ على الحراس، حضر الحراس ومعهم الحمالة ونقلوه إلى العيادة.

sp

العلاج

بدأ أصحاب الإضراب يتناقصون شيئاً فشيئاً، وثبتت مجموعة على الإضراب، نقلوها إلى المستشفى، ولأن المضربين لا يستطيعون القيام أو الحركة، عاشت هذه المجموعة على الجلوكوز في الفم والأنف، ومن رفض منهم أخذ الجلوكوز أو السائل الذي يغذيهم، وضعوا له إبرة هذا السائل في أي مكان في جسمه، برغم أنفه؛ لأنه مقيد على سريره لا يستطيع المقاومة، وبعد مرور مدة من الزمن، ثلاثة أشهر كما أظن، أنهى هؤلاء المضربون إضرابهم عندما لم تستجب إدارة السجن لمطالبهم، إن العلاج وتناول الدواء في المعتقل إجباري وليس اختياريًا، إنك لا تملك أن ترفض تناول الدواء، سواء أكان أقراصاً أم شراباً أم إبرة، حقيقة إنك إذا مرضت حضر الطبيب إلى غرفتك وعالجك على السريع، إن كان مرضك سهلاً وبسيطاً، وإن دعت الحاجة حملوك إلى العيادة، وإن استدعى

الأمر نقلوك إلى مستشفى أكثر تطوراً خارج المعتقل إلى المدينة،
لكن داخل القاعدة أو الجزيرة، ورأيت بعضهم نقلوا إلى واشنطن
للعلاج حين استدعى الأمر ذلك.

لكن هناك علاجاً تناوله إجباري، فبين حين وآخر يتم تطعيم
جميع المعتقلين بهذا الدواء، أقراص أو جرعات أو إبر، وإذا سألت
لماذا هذا العلاج؟ كان الجواب: هناك مرض منتشر مثلاً أو للوقاية
والخوف من جرثومة أو فيروس قادم، أو هو دواء وعلاج دوري
تعطيه إدارة السجن للمعتقلين للحفاظ على صحتهم.

٥٤

رمضان في كوبا

دخل رمضان ٢٠٠٢ م، وهو أول رمضان يمر علي في السجن، سواء كان في سجن الأمريكان أو غيرهم، لقد قلت للمحقق الأمريكي ولغيره من الجنود والحراس، عندما كانوا يقيدونني بالسلاسل في يدي ورجلي، ويقودونني كالمجرم، يمسون بي كأنهم يخافون أن أهرب منهم: إن عمري الآن، يقارب الخمسين سنة، وهي أول مرة في حياتي توضع السلاسل على جسمي، بل هي أول مرة أدخل فيها السجن.

إن السجن ليس عيباً ولا عاراً، إنه شرف وفخر لنا، إنكم تقودتنا إلى سجونكم زوراً وبهتاناً وظلماً وعدواناً، إنكم لا تقودتنا إلى سجونكم لأننا مجرمون، أو لسبب أخلاقي، أو غيره من الأسباب المشينة، التي تلحق العار والشنار بصاحبها، إننا لسنا قتلة ولا معتدين ولا مهربين للحشيش أو الهيروين، إننا لسنا محتالين ولا

نصابين إننا، لا نهاجم الشعوب ونقتلها ونعتقل خيرة رجالها وننهب ثرواتها، إننا لا نرفع شعارات براءة ليس لها في واقع الحياة شيء، فتجعل أفعالنا تخالف أقوالنا، نضحك في وجوه الناس لكننا نغمس الخنجر في ظهورهم، نقدم لهم باقة الورد بيد، ونخفي لهم السم في اليد الأخرى نعطيهم لقمة الخبز وجرعة الدواء في اليوم الأول، ونسقط آلاف القنابل والصواريخ على رؤوسهم في اليوم الثاني.

أين تمثال الحرية الذي وضعته أمريكا ونصبته في أكبر مدنها؟ وماذا يعني هذا التمثال بالنسبة لها، إنه هراء وعيب، وضحك على الشعوب، إنه تضييع وتضليل للبشر، إن أمريكا تعطي الحرية وتقدمها لنفسها فقط، أما الآخرون فلتنزل عليهم كل المصائب والويلات، ولتحصدهم كل الأمراض والنكبات.

دخل رمضان ٢٠٠٢ م، وكل إنسان يتمنى أن يكون في هذا الشهر بين أهله وذويه، يتمنى أن يصوم هذا الشهر الكريم في بلاد المسلمين، يؤدي صومه وصلاته مع الصائمين والمصلين، الذين تعمربهم بيوت الله في هذا الشهر الكريم، كان السجناء يتوقعون أن يكون هنالك تغيير في السجن إذا دخل رمضان، إن بداية الصوم في السجن ودخول شهر رمضان لم يكن بخبر من إدارة السجن أو بفتوى من أي جهة إسلامية، لقد كان السجناء يرقبون الهلال في اليوم الأول من رمضان، ويمكن رؤية الهلال إن كانت السماء

صافية، ولقد يسر الله - عز وجل - في أول ليلة أن كانت السماء صافية خالية من السحب، فشاهد الكثير من السجناء الهلال، وبدؤوا يكبرون وينادون بأصواتهم العالية لبقية العنابر التي لم تشاهد الهلال، بأن غداً هو أول أيام شهر رمضان، وطلب السجناء مسؤولاً كبيراً في أول يوم من رمضان، وأخبروه أن غداً أول يوم من أيام رمضان ولا بد من توفير وجبة السحور لجميع السجناء.

وفعلاً عند وقت السحور وقبل دخول أذان الفجر بنصف ساعة تقريباً، وصل السحور إلى العنابر، وكان السحور وجبات جاهزة في أكياس بلاستيكية كل كيس يحتوي على وجبة، إما معكرونة بأشكال مختلفة، أو أرز بالفاصولياء السوداء، ثم كيس فيه قطعاً بسكويت، مع ظرف بلاستيكي صغير فيه معجون فول سوداني، ثم كيس عصير تفاح أو أناناس، ثم قطعة كيك صغيرة.

وهذه الوجبات وجبات خالية من اللحوم أو السمك أو الدواجن أو أي نوع من البروتين، أما الماء فمن الحنفية الموجودة في الزنزانة وهي حنفية للشرب والوضوء أو الاستنجاء والاغتسال، وورق الحمام يوزعونه عادة ثلاث مرات يومياً، ووجبة الغداء لا يحضرونها إلا لمن لم يستلم السحور إن كان مريضاً، أو نحو ذلك، فيقدم له الفطور والغداء، أما العشاء فيأكله مع السجناء في وقت العشاء، وهو الفطور في رمضان، وقد تأخر في الأيام العشرة الأولى من رمضان

ما بين ساعتين إلى ثلاث ساعات كل يوم، حسب وقت وزمن نظام السجن في تقديم الوجبات؛ لأن تقديم الوجبات في السجن لا يتقيد بساعة معينة، سواء تقدمت الصلاة أو تأخرت، وسواء كان الوقت رمضان، أو غير رمضان.

كان وقت تقديم وجبة العشاء قبل دخول رمضان بعد صلاة العشاء، ففي الثلث الأول من رمضان تأثر السجناء وتعبوا (جاعوا) بسبب هذا التأخر وشق عليهم ذلك لطول مدة الصيام التي كانت ثماني عشرة ساعة تقريباً، ومن المعلوم أن السجناء لا يوجد عندهم أي طعام أو شراب يمكن أن يأكلوه فيما لو تأخر طعامهم، اللهم إلا الماء فقط، لكن بعد رفع الشكاوى إلى إدارة السجن أصبح طعام العشاء (الإفطار) بعد الثلث الأول من رمضان يقدم بعد صلاة المغرب مباشرة.

أما كمية الطعام ونوعها فهي كما يأتي خمس حبات من التمر الصغير، مع ملعقة عسل صغيرة، عفواً إنه ليس عسلاً إنه سكر محروق في علبة صغيرة جداً، وثمره فاكهة واحدة، وكمية من الأرز وكمية خضراوات قليلة مع قطع سمك صغيرة مع قطعتين صغيرتين من الخبز، هذه الكمية قليلة جداً بالنسبة لرجل سجين وصائم، وقد قمت مرة بتقدير كمية الأرز والسمك والخضراوات التي تصرف للسجين، فوضعتها كلها في كأس بلاستيكي صغير فوسعتها دون زيادة.

وقد عانى الكثير من السجناء من الجوع لقلة الطعام، ويدلك على هذا حالة السجناء الجسمية، حيث هناك ضعف جسمي ونحول وشحوب للوجه واليدين عند معظم المعتقلين، وأي زائر للسجن يلاحظ البنية الجسمية النحيلة والضعيفة لكثير من السجناء، إنني أكاد أحصر الوجبات التي كانت تشبع السجن، وأقوم بعدها عدّاً طيلة بقائي في السجن، فإذا هي مرات قليلة بالنسبة لأيام السجن الطويلة، ويمكن أن أضع نسبة تقريبية لهذه الوجبات المشبعة، فلا أبالغ إن قلت: إنها ٥٪ أي من كل مئة وجبة خمس وجبات، ومتى تكون هذه الوجبات المشبعة؟

إنها تكون عندما يأتي حارس إلى العنبر الذي نسكنه، ويقدم الطعام للسجناء، وتكون عنده وجبات زائدة عن عدد السجناء، ولديه إنسانية أو في قلبه شيء من الشفقة لهؤلاء المعتقلين، والوجبات الزائدة تكون بسبب خلو بعض الغرف من أصحابها، فتطلب منه أن يوزع على المساجين ما زاد عنده من الطعام لمن يريد، أفضل من أن يلقي الطعام الزائد في سلة المهملات -الزباله- أو أفضل من أن يرجعها إلى المطبخ الذي سيتخلص منها بأي طريقة؛ لأن المطبخ لن يعيدها مرة ثانية ويقدمها للمعتقلين.

هذا إن كان الحارس كما قلنا: عنده شيء من الإنسانية كما يسمونها هم، بالإضافة إلى أن هذا الحارس يقوم بهذا الأمر، وهو

توزيع الطعام الزائد مع مخالفة القانون؛ لأن الحارس يقول: إن القانون يقول: إنه لا يسمح للمعتقل إلا بأخذ وجبة واحدة فقط وبعض الحراس يمكن أن يعطيك وجبة زائدة ثانية، لكن بعد استئذان مسؤول العنبر، حتى لا يكتب عنه المسؤول تقريراً إلى إدارة السجن أنه يصرف طعاماً زائداً للمعتقلين، وأنه يخالف قانون السجن، أو قانون الجيش، فيضعون عليه عقوبة شديدة، وقد سمعت أن في قاعدة جوانتانامو - كوبا - سجنًا خاصًا للجيش، يسجن فيه من يستحق العقوبة منهم.

بعض الحراس لا يتعب نفسه بسؤال المسؤول، ولا بتقديم وجبة طعام زائدة للمعتقل، يقول لك: القانون لا يسمح بصرف الطعام الزائد ويستريح منك، ثم يمضي لحاله، وللحق إن قسماً منهم وهم قليل يعطيك وجبة زائدة، لكن خفية عن المسؤول، مع علمه أن هذا العمل يخالف القانون، وعندما تتكلم مع هذا الصنف من الحراس يقتنع بما تقوله له بأن كمية الطعام التي يقدمها السجن لكل معتقل لا تكفي، فيعطيك إن كان معه طعام زائد.

وهناك حالة أخرى يمكن أن يحصل فيها السجن على وجبة زائدة، وهي فيما إذا كان أحد جيرانك في العنبر، عن يمينك أو عن يسارك صائماً أو لا يريد أكل الطعام كله أو بعضه بسبب صيام أو غيره، فهؤلاء يأخذون وجباتهم من الحراس ويهربونها لجيرانهم

عن طريق الشبك بينهم، ملققة ملققة والخبز والفاكهة يقطعونها قطعاً صغيرة، ويدخلونها من خلال الشبك.

أما السوائل كالشاي والحليب فيصنعون خرطوماً أو أنبوباً من الورق أو من البلاستيك من أكواب الشاي والحليب البلاستيكية، وينقلون هذه السوائل بواسطة من خلال الشبك، ولكن دون أن يراهم الحراس؛ لأن القانون يقول: يمنع تقديم أو تهريب الطعام للآخرين، حتى ولو لم ترد هذا الطعام عليك أن ترجع الوجبة للحارس ليلقيها في الزبالة ولا يسمح له أن يعطيها لغيره.

وبعض الصائمين لا يريد أن يتعب نفسه بتصريف الطعام وإدخاله في الشبك لغيره ولا يريد أن يقع تحت المسؤولية والعقاب، لأنه يخشى أن يراه الحراس في أثناء عملية التهريب للجيران، هذا إن كان صيام هؤلاء المعتقلين دون إخبار إدارة السجن بصيامهم، فهؤلاء تقدم لهم الوجبات على ظن أنهم مفطرون، فيأخذون الطعام ويعطونه لغيرهم، أما إن كان صيامهم عن طريق إدارة السجن، ففي هذه الحالة لا تقدم لهم إدارة السجن إلا وجبة السحور ووجبة الإفطار (العشاء) ولا تقدم لهم وجبة الغداء.

في كل يوم من أيام الجمعة يأتي الحارس ومعه قائمة يسجل فيها (أرقام غرف) من يريد الصيام، وترفع هذه القوائم لإدارة السجن، وتنزل أسماءهم في الكمبيوتر للأسبوع القادم؛ لأن كل عنبر

فيه كمبيوتر فيه أرقام السجناء، وأرقام غرفهم وفيه كل الملاحظات الإيجابية أو السلبية لكل سجين، وفي ليلة الإثنين وليلة الخميس يأتي الحارس ويقدم لكل صائم، وجبة السحور، وجبة جاهزة تقدم الكلام عليها يسمونها وجبة عسكرية مدة ثلاثين دقيقة.

ويوم الإثنين والخميس لا يقدم لك وجبة فطور ولا غداء، لكن يقدم لك وجبة عشاء كبقية السجناء، بعض الصائمين ربما يطلب وجبة فطور أو غداء من الحارس مع أنه صائم لكن لا ليأكلها بل ليعطيها لجيرانه المفطرين أو يحتفظوا بها إلى وقت العشاء، لكن كثيراً ما يرفض الحارس ذلك لأن معه قائمة فيها (أرقام) الصائمين، والتسجيل للصيام ليس ليوم الإثنين والخميس من كل أسبوع فقط، بل لكل مناسبة فيها صيام عند المسلمين مثل العشر الأوائل من ذي الحجة أو صوم يوم عاشوراء وهكذا.

في بداية رمضان ٢٠٠٢ م طلبوني للتحقيق وذهبت كالعادة مقيداً بالسلاسل، دخلت الغرفة، بعد دقائق جاء المحقق، لكنه محقق جديد، عرفني باسمه ولا أدري إن كان هذا الاسم هو اسمه الصحيح أو اسماً مستعاراً والرأي الثاني أرجح؛ لأنك تجد أكثر من محقق لهم الاسم نفسه، وهذا في أغلب الأحيان، لكن ربما يكون الاسم صحيحاً، بدأ هذا المحقق معي عن سيرتي الذاتية باختصار، وفتح معي أسئلة وموضوعات سبقه بها محقق آخر قبله، كان المحقق الأول قد سألني عنها دون توسع.

لكن المحقق الجديد، بحثها معي بتوسع، كان بيني وبينه مترجم، سألتني عن أشخاص في بيشاور، بعضهم ترك باكستان وبعضهم لا يزال فيها يعمل في مؤسسات إغاثية وإنسانية، سألتني عن أسمائهم ومكان عملهم ونوع العمل، وهل يدخلون إلى أفغانستان أم أن عملهم في باكستان بين المهاجرين وهل تعتقد أن المال الذي بيد هذه المؤسسات كافٍ أو يزيد عن حاجتها وإن زاد عن حاجتها فهل يمكن أن يقدموه للجهاد، أو المقاتلين في أفغانستان، ومن هي هذه الجهة التي يقدم لها المال وأين مكانها، وكم في تقديرك هذا المال المتوافر، وهل هو دوري أو سنوي، أو نادراً، سألتني عن أسماء أولاد هؤلاء العاملين في المؤسسات، الذكور والإناث، إن كانوا صغاراً فأين يدرسون وإن كانوا كباراً فأين يعملون، كيف تعرفت على هؤلاء الأشخاص وأين التقيتهم، سألتني عن زوجات هؤلاء من أين هذه الزوجة، وما اسمها، وهل هي متعلمة وتعمل أم لا؟

سألتني عن رواتب هؤلاء العاملين وهل هي كافية لهم أم غير كافية؟ هل يوفرون منها أم لا؟ وإن كانت غير كافية فهل لهم طرق أخرى يسدون بها نقص حاجياتهم؟ وإن كانت كافية يوفرون منها فهل تعتقد أنهم يقدمونها أو يتبرعون بها إلى جهات، وما اسم هذه الجهات؟ وأين هي؟ هؤلاء العاملون في باكستان الآن سألتني عن طولهم وعرضهم ولونهم، علامات فارقة لكل واحد منهم

إن وجدت، هل اللحية طويلة أم قصيرة، بيضاء أم سوداء؟ شعر الرأس، لونه وطوله، يلبس على رأسه شيئاً أم لا يلبس؟ وإن كان يلبس فهل يلبس طاقية أم غترة أم شيئاً آخر، ومن خرج من هؤلاء الأشخاص من باكستان؟ متى خرج؟ وكيف خرج؟ ولماذا خرج؟ ومن ساعده في الخروج إن كان فقيراً؟ وأين ذهب بعد خروجه؟ وهل كان هؤلاء يقيمون في باكستان بطريقة شرعية ورسمية أم كانوا مخالفين لقوانين البلد؟

كنت صادقاً في إجابتي له عن هذه الأسئلة وكان هادئاً وهذا الهدوء يتناسب مع عمره لأنني شاهدت الشيب في رأسه، فقدرت أنه في العقد السادس من عمره، لكنه أخرجني في سؤاله عن أسماء زوجات هؤلاء الناس أو صلة القرابة بين الرجل وزوجته، قلت له: عندنا في الإسلام أو عند الملتزمين من المسلمين، يرون أنه من العيب أن يعرف الناس اسم زوجته أو بناته، مع أن هذا الأمر غير حرام في الدين، وأسماء زوجات الرسول ﷺ، وأسماء بناته، وأسماء زوجات كثير من الصحابة وبناتهم -رضي الله عنهم أجمعين- معروفة ومشهورة في كتب التفسير والفقه والحديث والتاريخ وغيرها، وكذلك أسماء زوجات التابعين وتابعيهم ومن بعدهم حتى الآن، ولما كنت أعتذر له عن عدم معرفة أسماء النساء، كان يتقبل هذا الأمر بهدوء ويبتسم.

أما عن طريقة معرفتي بهؤلاء العرب الذين كانوا في باكستان، سواء الذين كانوا يقيمون فيها في أثناء وجودي هناك، وقبل اعتقالي في ٢٥/٥/٢٠٠٢م، أو الذين خرجوا منها فقلت له: إن مكان سكني في حياة آباد بيشاور منعزل عن العرب، وبعيد عن تجمعاتهم، ولا يوجد حولي أي أخ عربي، ولا يصلي في مسجد الحي الذي أسكنه أي عربي غيري وغير أولادي، وأنا طبيعتي وعادتي أنني لا أحب أن أذهب إلى تجمعات العرب أو مهرجاناتهم أو محاضراتهم، وأحب أن أعيش منعزلاً ومنفرداً عن الناس، وزياراتي للعرب في بيشاور تكاد تكون معدومة، إلا من زيارة بعض الأرحام والأقارب، حتى الذين يشتركون معي في العمل لا أذكر أنني زرت بعضهم أبداً طيلة مدة العمل التي استمرت سنوات.

وبعضهم ما زرتهم إلا في مناسبة العيد أو مناسبة عقيقة أو مولود أو نحو ذلك، وأماكن معرفتي بهؤلاء الناس كان في يوم الجمعة، بعد صلاة الجمعة أو في أيام العيد بعد صلاة العيد أو في أثناء زيارات العيد البيتية، وبعضهم الآخر نلتقي بهم في الأفراح والأعراس أو المآتم عند موت أحد العرب، أو ربما عرفت بعضهم بحكم وجودي في معهد الأنصار العلمي، يأتي بعضهم وهم أولياء أمور طلاب في المدرسة، للسؤال والاستفسار عن أحوال أولادهم الدراسية أو لدفع أقساط أولادهم الشهرية، أو لأي مناسبة أخرى تقيمها المدرسة،

لكنه قال في نهاية الجلسة: أشكرك على هذه الإجابات، إن كان لديك أي سؤال أو طلب فتفضل به؟ قلت: لا يوجد عندي أي سؤال ولا أي طلب.

قال: إن كنت تريد أن تقرأ من هذه المجلات والجرائد الموجودة على الطاولة فلا مانع؟ قلت: لا أستطيع أن أقرأ إلا بنظارتي، وقد نسيتها في الغرفة، سأحضرها في المرة القادمة؛ لأتمكن من القراءة، لكن سأحاول أن أقرأ من دون نظارة قدر ما أستطيع، قال: اقرأ حتى يأتي الحراس لإرجاعك إلى غرفتك، ثم انصرف، كانت هناك عشر دقائق قرأت فيها، لكن المجلات والجرائد كانت قديمة وأخبارها لا تهمني من قريب ولا من بعيد وأكثرها يصدر من خارج العالم العربي.

حضر الحراس وأرجعوني إلى الزنزانة، مضى أسبوعان تقريباً، وجاء الحراس وقالوا تحقيق، قلت: حاضر، تم التقييد بالسلاسل الأيدي والأرجل والوسط، وأحب أن أذكر هنا أن إدارة السجن بدأت بتغيير طريقة تقييد السجن وقامت بفتح نافذة صغيرة أخرى في أسفل باب الزنزانة؛ ليتم تقييد الرجلين من هذه النافذة والسجين واقف، وقد سمعت من بعضهم أن هذا الأمر الجديد حفاظ على الحراس؛ حتى لا يقوم أحد المعتقلين بضرب الحارس مثلاً في أثناء تقييده، لأن طريقة التقييد القديمة يمكن للسجين في أثناء تقييده

أو فكه أن يضرب الحارس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى تكون طريقة التقييد الجديدة أكثر أماناً وضبطاً للسجين.

لقد سبق الكلام عن طريقة التقييد القديمة، وذلك عندما تكلمنا عن السجن الانفرادي في الأسبوع الأول من وصولنا إلى كوبا، وعندما تكلمنا عن الخروج للمشي والحمام في تلك الحقبة، أما الطريقة الجديدة وإن كانت إدارة السجن قد غيرتها للجوانب الإيجابية والأمنية التي تعود عليها وعلى الحراس، فإنها أكثر راحة وأقل تعباً من الطريقة القديمة، كما أنها أحسن وأفضل من الناحية النفسية للسجين؛ لأنه ليس فيها جلوس على الركب على الأرض، وليس فيها وضع اليدين خلف الرأس، كلما أرادوا أن يخرجوك من الزنزانة لأي سبب من الأسباب أو يرجعوك إليها.

الآن وقف الحارسان بباب الزنزانة ينتظرانك للاستعداد لتقييدك، ثم إلى التحقيق وبيان ذلك كالآتي: تقف على باب الزنزانة من الداخل ملتصقاً بالباب ووجهك نحو الحارسين، تمد يديك من نافذة الباب للحارسين، يقيدان يديك ثم تستدير لهما، وظهرك ملتصق بالباب من الداخل، أحدهما يمسك السلسلة التي يربط فيها لأنها كلها قطعة واحدة متصلة ببعضها بعضا والحارس الآخر يقوم بربط وسطك بالسلسلة وقفل السلسلة بقفل حديدي من جهة ظهرك، أنت الآن مقيد اليدين ويداك مشدودتان من

الأمام على خاصرتك لا تستطيع رفعهما أو خفضهما إلا قليلاً، يقوم الحارس الذي قيد يديك وخصرك بإنزال طرف السلسلة إلى الأسفل نحو قدميك، ويفتح النافذة السفلى، يمد يديه ويربط قدميك من الكعبين ويغلق النافذة.

أما الحارس الآخر فلا يزال يمسك بالسلسلة التي تحيط بخصرك لا يفلتها من يده، يقوم الحارس بفتح باب الزنزانة حتى تخرج، يمسك بك الحارسان الأول والثاني أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك، الآن عملية التفتيش تفتيش جسماني دقيق، وهز وتحريك للملابسك؛ حتى لا يكون فيها أي شيء عالق، تفتيش الشعر والرأس واللحية، تفتيش الحذاء -الشبشب- الذي تلبسه، طي الحذاء والتدقيق فيه.

وهذا التفتيش إما أن يكون داخل الزنزانة ووجهك نحو جدارها، وإما أن يكون على باب الزنزانة من الخارج، في الكرادور -البهو- الذي يوجد على طول العنبر بين غرف العنبر، كل حارس يفتش الجهة التي يوجد فيها، تمشي بينهما، وكل حارس إحدى يديه على كتفك واليد الثانية يمسك بالسلسلة التي تحيط بوسطك، وصلنا إلى باب غرفة التحقيق، أحد الحارسين مسؤول عن الآخر، والمسؤول عادة هو الذي يحمل جهاز الاتصال.

قبل دخول غرفة التحقيق، يتصل الحارس المسؤول بالمحقق،
لقد وصل السجين إلى باب غرفة التحقيق، نحن نسمع الكلام،
يكون الجواب كما هو ظاهر من الكلام، إما أن تدخل مباشرة وإما
أن تنتظر قليلاً على الباب، وهذا الاتصال يقوم به هذا الحارس
عندما يأخذك من الغرفة، وعندما تعود إليها، وهذا يكون في كل
مرة أذهب فيها إلى التحقيق، أو يذهب إليها كل سجين.

تدخل غرفة التحقيق، حيث يقوم أحد الحارسين بفك يديك
يداً بعد أخرى، اليد الأولى يفكها ثم يضعها على رأسك ويمسك
بك الحارس الآخر بإحدى يديه على منكبك والثانية على يدك
التي توجد على رأسك، يفك لك الحارس اليد الثانية ويضعها على
رأسك فوق يدك الأولى، لكن يمنع رفعها عن رأسك، يقوم الحارس
بربط السلسلة التي تصل بين قدميك بحلقة مثبتة في الأرض، يبتعد
الآن الحارسان عنك قليلاً، الآن بإمكانك إنزال يديك عن رأسك؛
لأن الحارسين الآن في أمان.

أنت الآن لا تستطيع أن تقوم بعيداً عن كرسيك بسبب تقييدك
بالحلقة المثبتة في الأرض، دقائق ويأتي المحقق، وبعض المحققين
تجده ينتظرك، لكن بعض المحققين ربما يتعب السجين نفسياً
وعصبياً، قد يتركه ينتظر على الكرسي في غرفة التحقيق، ساعات
طويلة دون أن يحضر إلى غرفة التحقيق، وربما يفتح عليه المكيف

البارد ساعات طويلة، ثم يتصل هذا المحقق بالحراس؛ ليرجعوا السجين إلى غرفته، قد يكرر هذا مرات.

دخلت إلى غرفة التحقيق، بعد (٥-١٠) دقائق حضر المحقق، فإذا هو صاحب الجلسة الماضية لكن المترجم جديد، بدأ يعيد على أسئلة الجلسة الماضية؛ ليرى هل عندي شيء جديد أضيفه زيادة على ما قلته بالأمس، غلب علي ظني أنه يريد أن يتأكد اليوم مما قلته في الجلسة الماضية وأن ما سمعه مني صحيح، وأني ثابت على أقوالي، لكنه اليوم أضاف أسئلة جديدة، منها بوصفك قريباً للشيخ عبد الله عزام فمن قتل الشيخ عبد الله عزام؟

الجواب: لا أدري، هل هناك جهة متهمة بالتآمر على قتله؟ فقلت أيضاً لا أدري، هل له أعداء يمكن أن يكونوا وراء قتله؟ فقلت: أيضاً لا أدري، ثم قلت له: أنتم مخابرات قوية مترامية الأطراف وفي كل الأرض، يمكنكم أن تعرفوا وإن لم تعرفوا وأردتم أن تعرفوا، فيمكنكم أن تعرفوا وتخبروا أهله بالمتورطين في قتله، ثم طرح سؤالاً آخر عن مكتب الخدمات، وهل لا يزال موجوداً؟ أله نشاط ودور يمكن أن توجه إليه أصابع الاتهام في المشاركة في الأحداث الأخيرة في واشنطن ونيويورك؟ قلت له: لقد انتهى مكتب الخدمات وأغلق أبوابه منذ سبع سنين تقريباً وقامت الحكومة الباكستانية باعتقال رئيسه ثم تسفيره إلى خارج باكستان قال في ظنك أين ذهب؟ قلت: سمعت أنه ذهب إلى السعودية.

ولما انتهى المكتب من باكستان وسافر إلى السعودية لم يعد له أي وجود أو نشاط لا في باكستان ولا في غير باكستان. أظن أنه اقتنع بما سمع، لأن الباكستانيين يعرفون عن مكتب الخدمات وعن المؤسسات الإغاثية في باكستان كل شيء، وأظن أنهم أخبروا الأمريكيان بهذه المعلومات إن طلبوا منهم ذلك، لأن هذه المؤسسات مسجلة لدى الحكومة الباكستانية، أما العاملون في هذه المؤسسات فإنهم يحملون إقامات رسمية من الحكومة الباكستانية أيضاً.

قال: هل تعرف عبد الله أنس؟ قلت: نعم إنه صهر الشيخ عبد الله عزام - رحمه الله - قال أين هو؟ قلت: هو في بريطانيا - لندن، قال: ماذا يفعل هناك؟ قلت: إن علاقته بالحكومة الجزائرية غير جيدة، وهرب من باكستان منذ عشر سنين إلى لندن، قال: تقول الأخبار أو سمعت أنه قتل في لندن، قلت له: رحمه الله، ماذا سأفعل له، قال: هل ذهبت إلى معسكرات التدريب.

قلت: لا، قال: سمعت أنك ذهبت إلى معسكر صدى.

قلت له: ذهبت له في مخيم صيفي مدة أسبوع مع الطلاب الذين كنت أدرس لهم، وليس للتدريب، لقد كان معسكرًا رياضيًا تربويًا مع طلاب وأساتذة المعهد الذي كنت أعمل فيه، كان فيه تدريبات رياضية، تسلق للجبال محاضرات ثقافية، ليس في هذا

المخيم تدريب على أي نوع من أنواع السلاح أو المتفجرات، وطلاب المعهد الذي كنت أعمل فيه في أفغانستان، لو أرادوا التدريب فيوجد عندهم أحزابهم وتنظيماتهم الجهادية، عندهم جبهات للقتال والجهاد في أفغانستان، عندهم مدتهم وقراهم فيها ما يريدونه من التدريب والسلاح. قال المحقق: اليوم يكفي وإذا احتجناك فسوف نستدعيك فيما بعد.

نظرت إلى طاولة عن يميني، فإذا عليها مجلات وجرائد قلت له: أسمح أن أقرأ، قال: لا بأس، إن أردت، بدأت أقرأ، لكنها قديمة وموضوعاتها لا تهمني ولا تتكلم عن المشكلة التي نحن فيها، لكن لأن السجن لا توجد فيه أي وسيلة إعلامية، ويعيش السجين في جزيرة مغلقة، فإن أي خبر أو موضوع جديد يثير انتباهه، تصفحت منها ما استطعت قبل حضور الحراس لإرجاعي إلى الزنزانة، جاء الحراس ورجعت.

مرت مدة طويلة دون أن يطلبني أحد للتحقيق، لكنه بعد ثلاثة أشهر ونصف تقريباً جاء الحراس، وقالوا: أنت مطلوب للتحقيق، قلت: جاهز، بدأت أعمال التقييد بالسلاسل والتفتيش الجسماني، ثم سرت مع الحراس إلى غرفة التحقيق، وجدت المحقق جالساً وهذا المحقق نفسه يجلس معي الآن الجلسة الثالثة على التوالي، أما المترجم فهو جديد، قال لي المحقق هل تعرف فلاناً؟ ذكر لي اسمه لكنني نسيت اسمه.

قلت: لا أعرفه، قال: هذا شخص من تنظيم القاعدة ألقينا القبض عليه قبل مدة قصيرة، إنه شخص كبير وخطير. قلت: يمكن كما تقول، لكنني لا أعرفه ولا أسمع به، بدأ يسألني عن العراق وعن صدام حسين وكانت هنالك أخبار يتناقلها السجناء لا أعلم مدى صحتها تقول: إن النظام العراقي بقيادة صدام حسين قد سقط بيد الأمريكان وإن القوات الأمريكية دخلت العراق، قال: ما رأيك في صدام حسين؟

قلت: إنه رجل طاغية، ظلم شعبه وأنزل بهم أشد أنواع العذاب والتكيل، كمَّم الأفواه، صادر الحريات، جعل العراق له ولعائلته، هكذا يقول أهل العراق عنه، أباد بأسلحته الكيماوية قسماً من شعبه لا ذنب لهم، غزا بجيشه الجرار دولة مجاورة صغيرة لا تستطيع أن تدفع عن نفسها، وجيشه أوقع بهذه الجارة خسائر كبيرة، سمعنا أنه نهب خيراتها في أثناء الغزو، أحرق قسماً من بترولها، وأشعل حرباً مع جيرانه على الجانب الآخر (الشرقي) من العراق عشر سنين سقطت في هذه الحرب الآلاف بل عشرات الآلاف، من القتلى والجرحى من الطرفين، والتكاليف عشرات المليارات من الجانبين.

وأخيراً انتهت الحرب بينهما دون تحقيق أي مكسب لأي أحد منهما، إذ الخسائر البشرية والمادية بينهما باهظة جداً، هذا هو

صدام حسين، فلو ذهب من سيأسف عليه، لكن هناك سؤالاً مهماً هو: من هو الذي سيخلف صدام حسين؟ نخشى أن يكون أظلم منه عندها سيقول الناس: الله يرحم صدام. ثم انتقل إلى سؤال آخر وسألني عن الإخوان المسلمين؟ وقد كان يظن أنني منهم وأنا لا أدري ما الذي جعله يظن أنني من الإخوان المسلمين؟

قلت: إنك تظن أنني من الإخوان المسلمين، أنا لست منهم، قال: هم الآن دخلوا في برلمان بعض الدول العربية وحكوماتها، قلت: سمعت أنهم دخلوا في البرلمان المصري والأردني، قال: هم الآن يعملون في الأعمال السياسية، قلت: نعم لهم أنشطة تربوية في المدارس والجامعات والمعاهد والمساجد ودور القرآن الكريم، بالإضافة إلى العمل السياسي والبرلماني، قال: هل لهم في الأردن مكتب أو مركز؟ قلت: أذكر منذ عشرين سنة أنه كان لهم مكتب في عمان، بل سمعت أن لهم في كل مدينة مكتباً أو مركزاً وهم الآن حزب سياسي مرخص من قبل الحكومة الأردنية، وعلاقتهم مع الحكومة الأردنية طيبة.

قال: لو أنني جئت إلى الأردن وزرتك هل تستقبلني في بيتك؟ قلت له: نعم، قال: سؤال أخير عن المدرسة التي كنت تعمل فيها: هل خلفها مؤسسة أو جهة تدعمها مالياً؟ قلت له: إن هذه المدرسة تتبع المعاهد الموجودة في الجمهورية العربية اليمنية وتشرف عليها

مباشرة السفارة اليمنية في إسلام آباد، توقع الأوراق والشهادات الصادرة عنها، وأي تعليمات أو توصيات تصل إلينا من اليمن، تكون من خلال السفارة اليمنية في إسلام آباد، لكن اليمن، أو سفارة اليمن، في إسلام آباد لا تقدم لنا أي دعم مالي، لا يصل إلينا من اليمن إلا الكتب المدرسية فقط.

أما تمويل المدرسة المالي، فمن المحسنين والمتبرعين ومن الأقساط الشهرية الطلابية. انتهت الجلسة وانصرفت راجعاً إلى غرفتي مع الحراس، بعد هذه الجلسة مكثت نحو عشرة أشهر لا أذهب فيها إلى التحقيق، فقرة ثلاث مئة يوم، سنة تقريباً، كنت خلال هذه الحقبة أتنقل بين العنابر، وهذا الانتقال كان بسبب ترميمات وتصليلات تقوم بها إدارة السجن للعنابر، ترميم الألوان - الدهان - إجراء تغييرات في غرف السجن تقتضيها الظروف، وكانت الإضاءة وسط العنبر في الكرادور - البهو - قد أصبحت بعد الترميم في داخل الغرف.

والسرير كان مرتفعاً أكثر من متر عن الأرض، فأصبح الآن يرتفع من (٣٠-٤٠) سم تقريباً، وينزل منه لوح حديدي إلى الأرض يغلّق الفراغ الموجود تحته، كان لون العنبر من الداخل كله أخضر، الجدران من الداخل والخارج والممر بين الغرف داخل العنبر كله أخضر، وهذا كان يؤذي العينين ويؤثر على النظر فيما لو نظرت من

خلال الشبوك عن يمينك أو عن يسارك أمامك أو خلفك، أصبح اللون الجديد أكثر راحة للعينين.

من الداخل من جميع الجهات من الأرض حتى ارتفاع متر ونصف أخضر، ثم من ارتفاع متر ونصف وحتى مترين ونصف باللون الأسود، ومن مسافة مترين ونصف وحتى سقف الغرفة باللون الأخضر، أما السرير فقد نزل من الارتفاع القديم إلى هذا الارتفاع الجديد؛ لأن السرير في حالة الارتفاع كان يستعمله المسجونون للضرب والإزعاج الشديد، فيحدث أصواتاً مرتفعة جداً خاصة إذا كان الضرب بشكل جماعي.

وهذا يفعله المسجونون عندما كانوا يطالبون إدارة السجن بأمور ومتطلبات ترفضها إدارة السجن، أو كان عند المساجين مشكلة يريدون أن يحضر المسؤول عندهم، فيرفض الحضور أو يتأخر، فيضربون على الأسيرة فتحدث أصواتاً عالية مما يضطر الإدارة إلى تلبية مطالبهم، أو التفاهم مع السجناء، لكن الضرب على الأسيرة كثيراً ما يؤدي إلى فرض عقوبات على المساجين، وذلك بسحب بعض حاجاتهم وأغراضهم، أو بنقلهم من عنبرهم إلى عنبر آخر.

فد

المعسكر الرابع

في المدة التي انقطع عني فيها التحقيق، أقامت إدارة السجن سجنًا جديدًا يسمى المعسكر الرابع (Camp 4) هذا المعسكر يختلف عن العنابر التي يعيش فيها بقية السجناء، فهو يبتعد قليلاً عن السجن القديم ومعزول عنه، مكون من (٤-٥) تجمعات متقاربة، كل مجموعة فيها (٣-٤) غرف كبيرة، ولها ساحة كبيرة أمام هذه الغرف، يحيط بهذه الساحة جدار حديدي مشبك وكل غرفة من الغرف تتسع إلى (١٠-١٢) سجينًا، الغرفة كبيرة وأسيرتها مثبتة بجدران الغرفة، الأسيرة في أطراف الغرفة.

أما وسط الغرفة ففارغ لا يوجد فيه شيء، الغرفة مراقبة بكاميرات وشاشات تلفزيونية، إن هذا يعني أن أي حركة في داخل الغرفة تظهر على شاشات التلفزيون أمام المراقب، وفي داخل كل غرفة حمام لقضاء الحاجة، وخارج الغرفة بل وخارج التجمع الذي

يضم (٣-٤) غرف، يوجد حمامات اغتسال كثيرة لجميع السجناء، هذا المعسكر الجديد الذي اسمه المعسكر الرابع (Camp 4) له نظام خاص يختلف عن النظام في السجن القديم دلتا:

أولاً : اللباس في هذا المعسكر يختلف عن اللباس الموجود في السجن القديم، اللباس هنا أبيض، البنطلون والقميص، أما الحذاء فيوجد مع كل واحد حذاء خفيف - شبشب - بالإضافة إلى حذاء رياضي - بوت - .

ثانياً: الحزام هنا لا يوجد به سلاسل حديدية مثل السجن القديم دلتا، هنا حزام قماشي على الوسط، بالإضافة إلى حلقتين لليدين متصلتين مع الحزام، من الأمام جهة البطن، ولا يوجد تقييد للرجلين.

ثالثاً: الطعام: كمية الطعام التي تعطى هنا للسجين أكثر من كمية الطعام التي تعطى للسجين في السجن دلتا.

بالإضافة إلى بعض الأنواع الأخرى، مثل قطعة كيك أسبوعياً لكل سجين، كمية الطعام هنا تعطى لكل غرفة في صناديق وأوعية، وكل غرفة لها أمير يتسلم الطعام من الحراس، ويقوم السجناء بتوزيعه على أنفسهم دون تدخل من الحراس، بخلاف العنابر القديمة فإن الحراس هم

الذين يوزعون الطعام على السجناء، أيضاً في هذا العنبر يمكن للسجناء أن يأكلوا مجتمعين إذا أرادوا، بخلاف السجن القديم لا يمكنهم ذلك.

رابعاً: الحراس هنا قلما يدخلون إلى غرف هذا السجن، فدخولهم نادر وعند التفتيش، أو عند تسليم أو تسليم الملابس أو الطعام.

يوجد حارس واحد على باب السجن، فالسجين هنا يشعر بنوع من الحرية ورفع القيود عنه، بخلاف السجن القديم، يمكن للسجناء هنا أن يصلوا جماعة كجماعة المسجد، صفاً أو صفوفاً متصلة، فذلك يستحيل في السجن القديم، في هذا السجن يخرج السجناء خارج غرفهم ثلاث مرات للطعام [الفطور والغداء والعشاء] كل مرة نصف ساعة وقد تزيد قليلاً، ويخرجون للرياضة أو الحمام والغسل يومياً إذا أرادوا ويمكن أن يلتقي سجناء غرف كل مجموعة ثلاث أو أربع غرف في ساحة مجموعتهم، فيجتمع مثلاً (٢٠-٣٠) سجيناً في الساحة يومياً.

قالت إدارة السجن: إن من يذهب إلى هذا المعسكر فسيقوم فيه قليلاً، ثم يسافر إلى بلده، وبالفعل طبق هذا النظام قليلاً في البداية، لكن تبين فيما بعد أنه ليس كل من يذهب إلى هذا المعسكر قد انتهى تحقيقه وسيسافر إلى بلده؛ لأن إدارة السجن والمحققين

بدووا يرجعون كثيراً من السجناء من المعسكر الجديد إلى العنابر القديمة، إما بطلب من السجناء أنفسهم، أو بسبب التحقيق، لأن السجناء مثلاً رفضوا الكلام في التحقيق، أو أعطوا معلومات غير صحيحة، وسمعت أن بعضهم أرجعوه من دون أي سبب.

وبعض الذين رجعوا من هذا المعسكر قالوا، محللين: إن هذا المعسكر الجديد أصبح مصيدة أو وسيلة ضغط على السجناء، إما أن تقدم لنا ما نريد أو نرجعك من هذا المعسكر الذي توجد فيه مميزات وخصائص لا توجد في السجن القديم، هذا الشرط لم يتكلم به أو يشترطه أحد من المحققين على السجناء، لكن هذا كان لسان الحال، وليس لسان المقال، فكل ما كان يجري في هذا السجن يدل على هذا الشرط، يقولون: قدم لنا كذا، نعطك كذا، هذا الشرط لم يكن لجميع السجناء، بل لبعضهم.

المعسكر الجديد ليس فيه جنسية واحدة، بل فيه من جميع الجنسيات من العرب والعجم.

لقد ظنت إدارة السجن، أن السجنين إذا تعود على نمط وشكل من الحياة في المعسكر الجديد، من حيث الأكل أو حرية الخروج خارج الغرفة أو الرياضة والاستحمام اليومي أو... إن تعود على هذه الامتيازات، والتوسع في الحياة الجديدة، فربما لا يستطيع أن يترك هذه الحياة فيما لو طلبوا منه ذلك، وسيقدم تنازلات ويضعف أمام الضغط الجديد من أجل أن يبقى في هذه الحياة الجديدة.

وهذا الضغط أو المساومة لم تكن لكل السجناء في المعسكر الجديد بل لبعضهم، ولقد سمعت أن بعض السجناء الذين رجعوا من المعسكر الجديد إلى المعسكر القديم، تأثرت نفسياتهم وظهر عليهم الحزن وعلامة عدم الرضا لما حصل لهم، وبعضهم كان الأمر عليه طبيعياً، وقال: ما دام أنه كله سجن، فلا نأسف إن أرجعونا من المعسكر الجديد إلى المعسكر القديم، لكن بعض السجناء كان عنده إيثار لإخوانه السجناء ورفض أن يعيش في المعسكر الجديد (الرابع) صاحب الامتيازات، دون إخوانه الآخرين وقال: أعيش كما يعيش بقية إخواني السجناء، ولا أتميز عليهم بطعام أو لباس أو....

وهذا الإيثار ورفض التميز عن الآخرين، شاهدناه في حالات كثيرة، منها: إن إدارة السجن قدمت في مرتين طعاماً متميزاً، لحماً مشوياً وعصيراً... وهذا طعام غير الطعام المعتاد الذي يقدم لكافة السجناء، فرفض الكثير من السجناء أكل هذا الطعام وقالوا: لا نأكله وحدنا دون كافة إخواننا السجناء، خاصة أن هذا النوع من الطعام قدموه لعنبر أو عنبرين، وكانت أجهزة التصوير والكاميرات تصور هذا المشهد، على غير المعتاد من وجبات الطعام الأخرى، فكأن هذا المشهد فيلم تريد إدارة السجن تسويقه ونشره في الخارج، بأن هذا هو الطعام الذي يقدم للسجناء في معسكر جوانتانامو، إنه طعام من أجل الإعلام، وليس في الحقيقة الطعام الذي يقدم دائماً.

شاهدنا هذا الإيثار عندما تكون هناك عقوبات لبعض السجناء، وتسحب منهم بعض الأغراض، فإن بعض السجناء غير المعاقبين كانوا يصرون ويؤكدون أن يكونوا متساوين مع المعاقبين، ولذا كانوا يرجعون إلى الحراس ما لديهم من الأغراض التي يتميزون بها عن إخوانهم المعاقبين، وقالوا: نعيش بأغراض مثل أغراض إخواننا المعاقبين، ولا نتميز عنهم بأي شيء، والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

وفي هذا السجن - الرابع - أصبحت هناك عملية فرز في داخل هذا السجن، لمن يريد أن يخرج من السجن ويرجع إلى أهله، وذلك بتخصيص غرفة لمن أنهى كل ما يريده المحققون منه، وظهرت براءته، وأنه يستحق السفر إلى أهله، وهذه الغرفة توجد في كل مجموعة من المجموعات الخمسة في هذا المعسكر، وتسمى (غرفة المسافرين) من يدخل هذه الغرفة يلبس اللباس الكاكي، وهذا اللباس يعني أن صاحبه على أهبة السفر، والخروج من كويا إلى وطنه.

٤٢

درجات السجن

عندما وصلنا إلى قاعدة جوانتانامو في جزيرة كوبا مع بداية الشهر الثامن لعام ٢٠٠٢ م لم يكن هناك درجات في عنابر السجن، واستمرت هذه الحالة مدة (٥-٦) أشهر، لكن يبدو أن إدارة السجن - كما سمعنا - أرادت أن تصنف السجناء في العنابر حسب التزامهم بقوانين السجن، وبحسب مشكلاتهم مع الحراس دون النظر إلى ملفاتهم أو التهم الموجهة إليهم، فالدرجة التي يكون فيها السجين لا علاقة لها بالتحقيق ولا بنظافة ملفه من التهم والمشكلات الموجهة إليه.

قسمت إدارة السجن العنابر التي يوجد فيها السجناء إلى أربع درجات:

الدرجة الأولى، الدرجة الثانية، الدرجة الثالثة، الدرجة الرابعة، وجعلت عنابر الدرجتين الأولى والثانية في جهة واحدة

ومجمع واحد بجانب بعضهما، وعنابر الدرجتين الثالثة والرابعة في مجمع آخر بجانب بعضهما.

الدرجة الأولى: يكون في هذه الدرجة السجين الذي لا يعمل أي مشكلات، سواء مع السجناء أو مع الحراس، أو مع الضيوف والزائرين، ولا يقوم بالاعتداء والتخريب لممتلكات السجن، سواء الأغراض التي تقدمها له إدارة السجن أو الأغراض التي توجد في الغرفة، وإن كانت الغرفة كلها حديدًا، لا يجوز للسجين أن يقوم بتخريب أو تكسير ما في الغرفة، وهذه الدرجة يتسلم صاحبها فرشاة نوم كبيرة، وقطعة إسفنجة يصلي وينام عليها، أو يجلس عليها عند الأكل، أو غير الأكل، وبطانيتين كبيرتين، وقطعة صابون كبيرة، وفرشاة ومعجون أسنان، وفانيلة حمراء ناعمة، بالإضافة إلى الفانيلة الحمراء التي توجد معه، وزجاجة عطر صغيرة أو زجاجتين صغيرتين، ومسبحة وطاقية صغيرة للرأس، ومجموعة من الكتب الإسلامية وغير الإسلامية حسب الرغبة.

لكن سحبت الكتب جميعها بعد مدة، ويوجد معه كوب من البلاستيك يشرب به ويستعمله في الحمام، وإن أراد قارورة ماء يملؤها ويشرب بها مع غطائها الذي سيكون له شأن فيما بعد، فهو سداد إسفنجي للأذنين، ومن حقه أن يأخذ ورقة وقلمًا من الحارس مدة ساعات ويرجعه، وإن أراد يطلبه مرة أخرى يكتب أو يرسم ما

يريد، ومن حقه أن يخرج كل يوم إلى مكان المشي والرياضة والمشي نصف ساعة، ويفتسل يوماً بعد يوم، ويحتفظ بالطعام المغلف غير المكشوف (٢٤) ساعة، ويصرف له شيء من الطعام الزائد أكثر من نصيبه المفروض، ويكون معه منشفتان وسط ومنشفة صغيرة، كما أنه عندما يخرج للمشي والرياضة أو الحمام يقيد بالحزام في وسطه مع يديه من جهة الأمام دون تقييد قدميه؛ تخفيفاً عليه، أي لا يقيد بالسلاسل.

الدرجة الثانية: يرجع السجين من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية إذا قام بمخالفة بسيطة أو خفيفة لقوانين السجن، أو أتلف شيئاً من ممتلكات السجن التي توجد معه، أو قام بتخزين طعام مفتوح غير مغلف مثلاً، عندها يرجع السجين إلى الدرجة الثانية، لكن يبقى في العنبر نفسه الذي يسكن فيه (عنبر الدرجة الأولى) وتسحب منه إدارة السجن بعض الأغراض التي معه مدة ثلاثة أيام، وتسحب منه الفرشة الكبيرة والبطانية والمنشفة الوسطى والمنشفة الصغيرة، وكانوا في بداية الأمر يسحبون المنشفتين من المعاقب، لكن تغير النظام، وأصبحوا يأخذون منه منشفة واحدة ويبقون له واحدة، وتُسحب منه قارورة الماء وكوبا الماء والمعجون وفرشاة الأسنان، وتُسحب منه المسبحة والطاقيّة والعطر والفاين والفانيلة الحمراء الناعمة وسداد الأذن.

وتُسحب منه الكتب كاملة، ويمنع عنه الورق والقلم، وبعد ثلاثة أيام تعود للسجين كافة أغراضه التي سُحبت منه، وربما يسأل سائل: لماذا ينتقل السجين من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية لمجرد خطأ بسيط، أو مخالفة قليلة ويفقد معظم أغراضه مدة ثلاثة أيام؟

فالجواب: لأن السجين كان في الدرجة الأولى يتمتع بمميزات كثيرة، فلكي يحافظ على هذه المميزات وحتى لا تسول له نفسه أن يقدم على عمل أي خطأ وإن كان قليلاً أو بسيطاً يفقد مقابل هذا الخطأ، ما معه من أغراض، كأنهم يريدون أن يقولوا له: كنت تظن أن هذه الأغراض التي سحبت منك لا قيمة لها، لكن شعرت بقيمتها عندما سحبت منك، إن العقاب أكبر بكثير من الخطأ، كل هذا من أجل الضبط والحزم والالتزام بالقوانين.

الدرجة الثالثة: وهي درجة أفضل من الدرجة الثانية التي قبلها، وهذا من أعجب العجب، لكن بشرط أن تكون الدرجة الثالثة من دون عقوبة، وهذه الدرجة لا يأتي إليها السجين من الدرجة التي قبلها وهي الدرجة الثانية، لكنه يكون في الدرجة الرابعة التي هي أكثر الدرجات شدة وعقوبة، فإذا انتقل من الدرجة الرابعة إلى الدرجة الثالثة وترجع إليه كل أغراض الدرجة الأولى كاملة إلا غطاء قارورة الماء فإنه لا يعود إليه ويمكث السجين في هذه الدرجة

وقتاً قليلاً ، يوماً أو يومين، ينقل بعد هذه المدة القليلة إلى عنابر الدرجتين الأولى أو الثانية التي لا عقوبة فيها، وهي عنابر منفصلة عن عنابر الدرجة الثالثة والرابعة.

الدرجة الرابعة: وهي أشد الدرجات عقوبة، وهذه الدرجة لا يأتي إليها السجين من الدرجة الثالثة، بل يأتي إليها من الدرجة الأولى والثانية، وذلك إذا قام السجين بعمل مخالفة كبيرة، مثل رش الحراس بالماء أو البول والغائط أو رش الحراس بالشاي والحليب، أو قام بالبصق على الحارس أو شتم الحراس أو تكلم معهم بكلام بذيء أو كسر شيئاً في زنزانته، أو أخفى ملعقة الطعام، أو رفض الخروج مع الحراس إلى غرف التحقيق، أو رفض الخروج من الزنزانة لتفتيشها، أو نحو ذلك من المخالفات الكبيرة، وهناك حالات ينقل فيها السجين إلى الدرجة الرابعة دون أن يعمل أي مخالفة، وذلك إذا امتنع عن الكلام في التحقيق أو كانت له مشكلات أخرى مع المحققين، فعندها ينقل إلى الدرجة الرابعة بأمر من المحقق. هذه الدرجة عادة يسبقها الدخول إلى السجن الانفرادي المغلق مدة أسبوع أو أسبوعين، وربما شهر أو شهر حسب المخالفة التي عملها السجين، لكن من كانت عليه عقوبة شهر في السجن الانفرادي، فإنه لا يقضيها كلها متتابعة في هذا السجن، بل يخرج في نهاية كل شهر من السجن الانفرادي إلى العنابر العادية

غير المغلقة مدة أيام، ثم يرجع إلى السجن الانفرادي المغلق، وهكذا حتى تنتهي مدة عقوبته في السجن الانفرادي، أما التقييد لأصحاب الدرجتين الثالثة والرابعة عند الخروج للتحقيق أو المشي والاغتسال، أو... فإنه يكون بالسلاسل، وليس بالحزام مثل الدرجتين الأولى والثانية.

والدرجة الرابعة يؤخذ من السجن فيها جميع أغراضه التي توجد مع السجناء في الدرجة الأولى، ولا يبقى معه إلا قطعة الإسفنج التي يصلي أو يجلس أو ينام عليها، وبطانية واحدة ومنشفة واحدة، أما ما عدا ذلك من الأغراض فيسحب منه وهذا في الحقيقة أمر صعب على السجن، وتسمى هذه الدرجة درجة رابعة معاقب ويبقى السجن في هذه الحالة مدة شهر كامل تحت النظر والمراقبة لا يعمل السجن في هذا الشهر أي مخالفة كبيرة أو خطيرة، وبعد مرور هذا الشهر يعاد له كوب ماء وصابونة صغيرة ومعجون وفرشاة أسنان، تبقى معه مدة شهر آخر يكون تحت النظر والمراقبة من الحراس.

وتسمى هذه درجة رابعة غير معاقب، فإذا مضى عليه شهران دون أي مخالفة انتقل إلى الدرجة الثالثة التي يمكث فيها يوماً أو يومين ينقل بعدها مباشرة إلى عنابر الدرجتين الأولى والثانية، فإذا عمل أي مخالفة ولو صغيرة خلال هذين الشهرين، سحبت منه فرشاة الأسنان والمعجون والصابونة الصغيرة وكوب الماء وعاد

إلى الدرجة الرابعة معاقب، وهكذا كلما ارتكب مخالفة في الدرجة الرابعة سحبت منه أغراض الدرجة الرابعة غير المعاقب، وعاد إلى الدرجة الرابعة معاقب، وتضاعفت عليه المدة التي سيقضيها في الدرجة الرابعة؛ حتى يثبت هذا السجين التزامه بالقوانين لينقل منها إلى الدرجة التي قبلها وهكذا.

Handwritten signature or mark

عقوبات بلا سبب

ربما يبقى السجين في الدرجة الرابعة (معاقب) شهوراً كثيرة دون عمل أي مخالفة، وهذا يكون:

أولاً: إما بسبب التحقيق، أي بسبب مشكلات في سير التحقيق وإعطاء المعلومات المغلوطة، وإما بسبب الامتناع عن الكلام أو...

ثانياً: وإما بسبب المخالفات والمشكلات التي يعملها السجين، ولقد رأيت من هذا النوع الكثير، لقد وضعت في الدرجة الأولى منذ أن ظهرت الدرجات، وبقيت في هذه الدرجة مدة طويلة، سنة تقريباً كنت خلالها أعاقب عقوبات بسيطة بسبب أو من دون سبب، أما العقوبات التي من دون سبب فإن كثيراً من الحراس ربما يسجل عليك العقوبة دون عمل أي مخالفة، كما يحلوه وكما يريد يكتب عليك، وهذا يحدث كثيراً وإذا حاولت أن تبرئ نفسك وتثبت عدم

قيامك بعمل أي مخالفة سواء للحارس أو للمسؤول، فإنه لا ينظر إلى هذه الشكوى ويقول لك: لقد سجلت العقوبة عليك ونزلت (ظهرت) على اسمك في الكمبيوتر، ولا بد لك أن تطبق وتنفذ هذه العقوبة لا فائدة في المناقشة الآن، ولا في إثبات براءتك.

ثم إن الأمر أو القانون المسموح به، الآن ويعمله السجين ويمارسه بحرية مرارًا، ربما يأتي حارس آخر ويعاقبك على هذا الأمر المسموح به الذي فعلته مراراً دون أن تسجل عليك عقوبة، فالقانون في عنابر السجن يفسره ويطبقه ويحلله الحارس كما يريد، مثلاً سجلت علي ثلاث عقوبات خفيفة، وأنا في الدرجة الأولى تسحب مني خلال هذه العقوبات وهي ثلاثة أيام في كل مرة معظم الأغراض التي بحوزتي وأبقى مكاني في عنبر الدرجة الأولى.

المرّة الأولى: علقت -نشرت- الفانيلة على جدران الزنزانة؛ لكي يجف من الماء، فقال الحارس: أنزل الفانيلة من على الجدار، وضعها على الشباك، قلت له: حسن، لكن هذا الشباك هو الشباك الوحيد في الغرفة الذي يدخل منه الهواء أو النور، والجو حار والمعتقل بحاجة ماسة إلى هذا الشباك، والقانون قبل مدة كان يمنع تعليق أي ملابس على الشباك ويسمح لك بوضع الملابس على جدران الغرفة من الداخل.

أما المرتان الأخريان اللتان عوقبت فيهما، فإن في مغسلة الزنزانة الموجودة في الغرفة ثقب ينزل منها الماء، ويمر على السجين أوقات ينقطع فيها الماء عن السجناء، فمن أجل ألا نطلب الماء من الحراس، يقوم الحراس بإخبارنا بأن الماء سينقطع اليوم، مدة خمس ساعات أو أكثر أو أقل فاملؤوا المغاسل بالماء، فنقوم بإغلاق المغسلة بشيء ونملؤها بالماء الذي نستعمله عند الحاجة، فكان السجناء يقطعون أسفل كوب الماء البلاستيكي ويفلقون به ثقب المغسلة، فتحفظ المغسلة بالماء وقتاً طويلاً.

هذا الكوب يقدم للسجناء فيه شاي أو حليب، وسيلقى بعد استعماله في سلة المهملات، إنه لا يستعمل إلا مرة واحدة فقط، جاء الحارس ودخل غرفتي لتفتيشها بعد خروجي إلى المشي والحمام، فوجد حوض الماء مليئاً بالماء بسبب أسفل هذا الكوب البلاستيكي، فسجل علي عقوبة في مثل هذه المناسبة مرتين، فقلت للحارس: أنتم تقولون لنا: احفظوا الماء داخل المغسلة؛ لأن الماء سينقطع اليوم، ثم تقومون بتسجيل عقوبة علينا كيف يحدث هذا؟

لكن اعتراضي هذا لا فائدة فيه، حدث هذا مرتين معي في عنبرين مختلفين، فيسحبون منك الأغراض التي توجد معك في الدرجة الأولى كاملة تقريباً، مدة ثلاثة أيام يبقون معك قطعة الإسفنج التي تنام وتصلي عليها ومنشفة واحدة وبطانية واحدة.

قبل خروجي من كويا بثلاثة أشهر تقريباً وبعد مرور عشرة أشهر علي دون أي تحقيق معي، جاء الحراس بعد صلاة الفجر، وقالوا: عليك تحقيق، قلت لهم: جاهز، وصلت إلى غرفة التحقيق، وجلست وتم فك اليدين ثم ربطوا القدمين بحلقة في أرض الغرفة، وجدت الصور موجودة على جهات الغرفة الثلاثة، أمامي وعن يميني وعن يساري، صورة مسجد وصورة أطفال وصور مهاجرين أفغان وبيوت مهدمة وصور للجيش الأفغاني وصور نساء وصور أفغان بعمائم ولحي وعن يميني شباك زجاجي أسود ومثله عن يساري، لا يرى أحد من خلالهما شيئاً، وفي زاوية الغرفة يظهر شيء مثل المصباح (كاميرا) ينزل من سقف الغرفة يمكن أن يكون هذا المصباح (كاميرا).

هكذا كان الأمر يبدو لي، بعد عشر دقائق حضر رجل يلبس اللباس العسكري ومعه مترجم يظهر من لونه ولهجته أنه سوداني وفي زاوية الغرفة تجلس سيدة تكتب كل ما تسمعه من المحقق أو المترجم، كانت هذه المقابلة هي آخر مقابلة ذات قيمة جلست فيها للتحقيق وكأن المحقق يريد أن يراجع معي جميع أو أكثر ما سبق من أسئلة واستفسارات وقعت لي مع المحققين السابقين، لم يسألني في هذه الجلسة عن سيرتي الذاتية أو عن نوع العمل ومكانه أو الدراسة، لم يسألني عن عائلتي ولا عن أشخاص آخرين.

لقد كانت هذه الجلسة كما شعرت آخر جلسة، فهي بمنزلة جس نبض واختبار لي، إن كنت قد غيرت في معلوماتي وإفادتي السابقة أو هي لمعرفة ما إذا كنت قد تأثرت بأناس أو من أناس آخرين في السجن طيلة عشرة الشهور الماضية التي لم أذهب فيها إلى التحقيق، وبعد انتهاء الجلسة قال المحقق لي: لقد أنهيت ما عليك وأجبت عن جميع الأسئلة التي وجهت إليك، ولم يبقَ عليك شيء إلا اختبار جهاز كشف الكذب وتسجيل صوتك، وبعدها سوف نرسلك إلى المعسكر الرابع (Camp 4) وهو المعسكر الذي يوجد فيه كثير من الامتيازات والتسهيلات التي لا توجد في بقية العنابر.

ثم قال: أتحب هذا المعسكر الجديد؟ قلت: إن أرسلتني أذهب وإلا مكثت في مكاني، وهذا الجواب مني بهذا الشكل؛ لأن رغبتني ومحبتني في الذهاب لهذا المعسكر أو عدم رغبتني لن يقدم أو يؤخر شيئاً في قراره، فالمحقق هو الذي يقرر أن يرسلك أو لا يرسلك وليس رغبتك هي التي تقرر، ثم أخرج جهاز تسجيل صغيراً جداً بطول إصبع اليد وقال لي: تكلم، قلت: فيم أتكلم؟

قال: بأي شيء تريده، تكلمت عن سيرتي الذاتية قليلاً، ثم قرأت سورة من القرآن وتوقفت، فلما رأى حيرتي أخرج كتاباً من حقيبته يتعلق بالمذهب المالكي وأعطاني الكتاب وبدأت أقرأ منه مدة عشر دقائق، ثم قال لي: قف كفى، انتهت الجلسة قال لي:

شكراً على إجاباتك وسوف نطلبك عندما نحتاج إليك، وانصرف مع المترجم، وعدت إلى غرفتي.

بعد أسبوع جاء الحراس وقالوا لي: تحقيق، قلت: جاهز، كان الوقت بعد صلاة الفجر مباشرة لم تكن الشمس قد طلعت بعد، تم التقييد بالسلاسل ثم التفتيش، سرنا وصلنا إلى غرفة التحقيق، مرت دقائق جاء المحقق الذي كان في الجلسة الماضية ومعه شخص آخر عسكري ومترجم جديد، قال: هذه الجلسة للتعرف عليك من هذا الشخص أي العسكري الجديد، وسوف يتعاون هذا الشخص معي في العمل في ملفك والانتهاء مما تبقى فيه من أمور، كيف رسائلك هل تصل إليك بانتظام، كيف عنبر السجن وكيف غرفه، هل تطلب منا شيئاً هل لك شكاوى؟

قلت: أصابني شيء من الروماتيزم وأجد الماء في رجلي، لو تعطيني (جرابات) تحميني من البرد، قال: نظام السجن لا يسمح بصرف الجرابات للسجين، لكن سنعطيك بطانية إضافية، مضى نحو عشرة أيام دون أن يرسل إلي أي شيء، بعد أيام قليلة زارني هذا المحقق في غرفتي، وقال: كيف صحتك؟ قلت: البرد، قال: سيصلك هذه الليلة بطانية. بعد العشاء جاء الحراس بالبطانية، لكنها كانت ممزقة من الداخل قلت للحارس: انظر إليها لا أستطيع استعمالها، أعطني غيرها ذهب وأحضر واحدة غيرها، لكن البطانية تستطيع

أن تتغطى بها عند النوم أو الجلوس، لكن عند المشي أو الصلاة أو الوقوف تحتاج إلى الجرابات، لكن لا حياة لمن تنادي، ممنوع صرف الجرابات للسجين.

كانت هذه الجلسات ما بين عيد الفطر وعيد الأضحى، وأواخر عام ٢٠٠٣م وقبل عيد الأضحى بعشرة أيام، تم نقلي إلى العنبر الانفرادي عقوبة لي، هذه العقوبة ليس لي فيها ناقة ولا جمل، لكن الذي حدث أن أحد الحراس كان يتناقش مع جاري الموجود في السجن عن محمد علي كلاي، الملاكم الأمريكي الذي قيل: إنه أسلم ثم، انتقل الحديث بينهما إلى النبي محمد ﷺ ورسالته للناس أجمعين وأن المسلم لا بد أن يكون قوياً مثل محمد علي كلاي.

فالحارس أراد أن يكون الناس مثل محمد علي كلاي أقوياء كما قال أحد الحراس الذين سمعوا المناقشة، والحارس أراد أن يعبر عن القوة فما استطاع، فقال له: إن محمداً كان مصارعاً (ملاكماً) أراد (بمحمد) (محمد علي كلاي) وليس (محمد) النبي (محمد) ﷺ، فالأخ السجين رأى كلام هذا الحارس عن (محمد) بأنه مصارع إهانة واستهزاء ولا بد أن يعاقب هذا الحارس ويرد عليه؛ لأنه اعتدى على مقام النبي ﷺ، فكان هذا النقاش في مكان المشي خارج غرفة النوم، لما رجع هذا الأخ إلى غرفته - وكان جاري الملاصق - قام هذا الأخ واتفق مع بعض جيرانه الآخرين، أن يقوموا بعدم تناول وجبة الطعام (العشاء)

وأن يقوموا برش هذا الحارس بالماء والبول والحليب والبصق عليه،
لكن أنا جاره أعيش بجانبه لا أعلم بما يخطط له.

ولما علمت بما يريد القيام به قلت له: يا أيها الأخ، هذا الحارس
غير مسلم نصراني لا يعرف معنى ما قاله، وكثير من الناس وحتى
المسلمين ربما يريد أن يعبر لك عن قوة الرسول ﷺ فيقول لك
مثل هذا الكلام وعندها نحن لا نقوم بشتيم أو سب أو معاقبة
هؤلاء المسلمين، إنما نقوم بتعليمهم وتوضيح المسألة لهم، فكيف
بهذا الجندي، إنك لو استدعيت هذا الجندي ووضحت له المسألة
وناقشته، لتراجع واعترف أنه ما قصد الذي فهمته أنت منه، لأن
أحد الحراس الذي كان يسمع ما يتناقشون فيه قال لنا: أنتم فعلتم
خطأ، إن هذا الحارس ما قصد إهانة نبيكم، وما قصد بقوله:
«محمد مصارع» - أنه يقصد النبي - إنما قصد محمد علي كلاي.

أقول: لكن قدر الله وما شاء فعل، بعد انتهاء وجبة العشاء بدأ
هذا الحارس مع الحراس الآخرين يجمع أطباق الطعام الفارغة، فلما
وصل الحارس (صاحب المشكلة) إلى القرب من جاري قام هذا الجار
وألقى الماء والبول المخلوط بالحليب، وبدأ السجناء الآخرون يلقون الماء
وغيره مع البصاق على هذا الحارس، ومن معه من على جانبي العنبر،
ليس كل السجناء إنما بعضهم شارك بالبصق ورش الماء وغيره...



العنبر الانفرادي

بعد ساعة نُقل بعض السجناء إلى العنابر الانفرادية عقوبة لهم، وفي اليوم الثاني نُقل جميع من تبقى من سكان العنبر إلى عنابر أخرى انفرادية وغير انفرادية، وجاءت نوبتي بعد العصر، وقال لي الحارس: أنت ستُنقل، قلت له: أين؟ قال: إلى عنبر نوفمبر الانفرادي، قلت له: أنا ما فعلت شيئاً، قال: لقد نزلت عليك العقوبة، لا بد من تنفيذها حتى لو كنت بريئاً، وهكذا كان حال الكثيرين نزلت عليهم العقوبة دون أن يشاركوا في أي عمل ضد الحراس، لكن الجنود عندما يسجلون أرقام الغرف التي قامت بعمل مشكلات، يقومون بتسجيل الأرقام التي يريدونها دون أن يتحققوا أو يتأكدوا فيما إن كان أصحاب هذه الغرفة اشتركوا في مثل هذه الأعمال أم لم يشتركوا، وصلت إلى عنبر نوفمبر الانفرادي.

وقد تقدم الكلام عن هذا العنبر وأنه مغلق، الغرفة مغلقة من كل الجهات، إلا فتحة صغيرة على باب الزنزانة، لإدخال الطعام أو

الدواء أو لتقييد وفك سلاسل السجن من هذه النافذة، من يرسل إلى مثل هذه العنابر يكون هذا الإرسال عقوبة له، سحبوا مني كل الأغراض، وتركوا معي قطعة الإسفنج ننام ونصلي ونجلس عليها، وبطانية واحدة ومنشفة واحدة، ما عدا ذلك لا شيء معك، الخروج من هذا العنبر مرتين فقط في الأسبوع، بينما كان الخروج في عنبر الدرجة الأولى يومياً، هذا العنبر لا ترى فيه أحداً، لآعن يمينك ولا عن يسارك إلا من الفتحة الموجودة في الباب، عليها شبك حديد ومغطاة بالزجاج إن أردت الكلام ترفع صوتك كثيراً وتقترب من الباب؛ حتى تستطيع أن تسمع الآخرين.

لكن سكان هذا العنبر مع كل هذه القيود والتضييقات يصلون الصلوات الخمس جماعة ويتناقلون الأحاديث والأخبار بينهم كبقية العنابر، كانت عنابر الدرجة الأولى فيها امتيازات وتسهيلات، وهذا العنبر وما شابهه فيه عقوبات.

بقيت في هذا العنبر خمسة أيام، ثم نُقلت إلى عنبر آخر مفتوح وغير مغلق، لكن الناس فيه تسمع منهم ويسمعون منك، الأمور هنا أفضل بكثير من العنابر المغلقة، بقيت في هذا العنبر شهرين تقريباً، لكن هذا العنبر لم يكن مستقراً، بل كانت فيه مشكلات وعقوبات كثيرة على السجناء، بعد وصولي لهذا العنبر بعدة أيام حدثت بين بعض السجناء والحراس مشكلات وقاموا برش الحارس

بالماء وبعضهم بصق عليه، على أن بعض جيرانني قام وشارك في هذا العمل ضد الحارس.

ذهب الحارس وسجل أرقام الغرف التي خرج منها الماء والبصاق، لكنه سجل أيضاً أرقام غرف لم ترش الماء أو البصاق، ومنها رقم غرفتي، قلت للحارس: إن غرفتي لم يخرج منها شيء لكنه لم يلتفت لكلامي، لقد سجل علي العقوبة، هذه العقوبة الجديدة تعني أنني سأجلس شهراً آخر زيادة على الشهر الأول، الذي كان سببه العقوبة التي نقلتني من عنابر الدرجة الأولى إلى السجن الانفرادي، ثم إلى هذا العنبر.

انتظرت حتى الليل مرّ ضابط على عنبرنا، فأخبرته أن الحارس سجل علي عقوبة دون عمل أي مخالفة، وشرحت له ما حدث، ومن ثم قام الضابط وسجل ما قلته له وقال: سأبحث الأمر، ظهر لي أنه بحث الأمر وساعدني وألغى العقوبة، بقيت في هذا العنبر لكن ازدادت مشكلاته، وذلك احتجاجاً على معاملة الحراس للعنبر المجاور لنا، العنبر المجاور لنا سكانه (السجناء) فيه يعيشون من دون سراويل طويلة، من دون (بناطيل).

فد

عنبر اللباس الرياضي

إن سكان العنبر المجاور لنا يعيشون طيلة الوقت باللباس الرياضي يأكلون، ويشربون يجلسون وينامون، حتى إنهم يصلون بهذا اللباس، يذهبون للتحقيق، يخرجون للاغتسال والمشي والرياضة بهذا اللباس، كل سجين في هذا العنبر - عنبر اللباس الرياضي - لا يملك في غرفته إلا هذا اللباس وفانيلة حمراء نصف كم وشبشبًا، بالإضافة إلى قطعة الإسفنج التي يصلي ويجلس وينام عليها، هذا الذي يملكه كل واحد منهم، إنهم أقل الدرجات حتى الآن في جميع السجن، لا يوجد أقل منهم منزلة في جميع أهل هذا المعتقل الكبير (معتقل جوانتنامو) لا يوجد معهم منشفة ولا بطانية.

إن البطانية يسلمها الحراس لهم الساعة العاشرة ليلاً، وتسحب منهم قبل صلاة الفجر، أما المنشفة فتعطى لهم عند الخروج للحمام، وبعد انتهاء الحمام تؤخذ منهم، أما الغرف التي

يعيشون فيها فجدرانها مغلقة، والشباك الوحيد والخلفي للغرفة يفتح عليهم في النهار فقط، أما في الليل فيغلقونه، وجدران الغرفة عن اليمين والشمال شبك وفوق الشبك لوح من أعلى الجدار إلى أسفله يمنع الرؤية بين الغرف، ويمنع الهواء ويمنع توصيل أي غرض بين السجناء.

أما من الأمام، حيث واجهة الغرفة التي يمر من أمامها الحراس في العنبر فهي لوح زجاج فوق الشبك، هذا اللوح الزجاجي يمنع السجن من رش الماء أو البصاق أو... على الحراس، لكنه يمكن الحراس من رؤية ما بداخل الغرفة، هذه الحالة التي يعيشها سجناء هذا العنبر (عنبر اللباس الرياضي) جعلت كثيراً من العنابر تتضامن معهم وتقوم بعمل إضرابات عن الطعام أو تقوم برش الماء والشاي والحليب أو البصق عليهم، وعدم الخروج للتحقيق أو للمشي والاعتقال وحتى الخروج للعيادة والطبيب، كان بعضهم لا يذهب إليها.

هذه الأعمال والاحتجاجات كانت بسبب الحالة التي يعيشها أهل عنبر اللباس الرياضي، زيادة على هذه الاحتجاجات أضافت بعض العنابر احتجاجاً آخر وهو تقطيع أطباق الطعام وكاسات الشاي والحليب وتقطيع بقايا الفواكه بعد كل وجبة من وجبات الطعام الثلاثة، الصبح والظهر والمغرب، وتقطيع هذه الأطباق كان يحدث

أحياناً مرتين بعد كل وجبة من الوجبات الثلاثة، وذلك لإتباع الحراس ومضايقتهم بهذا التقطيع؛ حتى يرفعوا ما يلاقونه من مشكلات في هذه العنابر إلى المسؤولين عنهم؛ لعل المسؤولين يغيرون أو يبدلون في نظام وحياة عنبر اللباس الرياضي، بحيث يرجع إلى حالته الأصلية.

كان السجناء يتسلمون الطعام والشراب في أطباق وكاسات وبعد الانتهاء من الأكل يقومون بتقطيع نصف هذه الأطباق والكاسات قطعاً صغيرة جداً وإلقائها في أرض العنبر متناثرة هنا وهناك، فيقوم الحراس بتنظيف أرض العنبر بالمكانس ثم بالماء؛ ظناً منهم أن السجناء ألقوا كل الأطباق والكاسات ولم يبقَ عندهم منها شيء ليقطعوه.

وفي نهاية وقت هذه المجموعة المناوبة وقبل خمس دقائق من نهاية وقتها يقوم السجناء بتقطيع النصف الثاني المتبقي معهم من الأطباق قطعاً صغيرة، وحتى بقايا الفواكه أو قشور البرتقال يقطعونها قطعاً صغيرة جداً ويلقونها على أرض العنبر متناثرة من أوله إلى آخره، مما يجعل الحراس أكثر غضباً وغيظاً من المرة الأولى؛ لأن هذا يعني أن يبقى الحراس وقتاً أطول من وقتهم الأصلي من أجل تنظيف العنبر ولا يستطيعون ترك العنبر دون تنظيف؛ لأنه يجب على الوردية والمجموعة أن يتركوا العنبر عند نهاية الوقت

نظيفاً كما تسلموه نظيفاً.

هذه المخالفات التي يقوم بها السجناء تجعل العقوبات تتجدد عليهم عند عمل كل مخالفة وتضاف العقوبة الجديدة إلى المدة الأصلية التي سيقضيها السجين في هذا العنبر، وهذا يعني زيادة الشهور والأيام التي يقضونها في هذا العنبر^(١).

ازدادت المشكلات في هذا العنبر، الذي أسكن فيه وفي غيره من العنابر؛ احتجاجاً على ما يجري لإخوانهم في عنبر اللباس الرياضي، بدأ السجناء باحتجاج آخر وبعصيان آخر، وهو من أخطر أنواع الإضراب والعصيان في السجن، هذا الإضراب والعصيان هو رفض الخروج إلى التحقيق، أو إلى المشي والرياضة والاعتزال، وحتى رفض الخروج من الغرفة من أجل تفتيشها من قبل الحراس، هذا الإضراب والاحتجاج مهم وخطير لما إذا؛ لأنه يعني أن الهدف الذي من أجله جمعت الولايات المتحدة هؤلاء السجناء قد توقف، وهو التحقيق وجمع المعلومات منهم، المعلومات عن تنظيم القاعدة وحركة طالبان، وعن التدريب والمسكرات، والمعلومات عن أمور كثيرة.

لكن هذا لا يمكن أن تتساهل فيه إدارة السجن، أو الجهة التي أنشأت هذا المعتقل الكبير وأنيطت بها مسؤولية كل كبيرة وصغيرة فيه، إذاً لا بد من إخراج هؤلاء المضربين من غرفهم إلى

غرف التحقيق بالقوة، كان الحراس يأتون إلى السجن الذي عليه التحقيق، فيقولون له: عندك الآن تحقيق، فيجيبهم السجن: لَنْ أخرج إلى التحقيق، فيأتي مسؤول أكبر من الحارس الأول لإقناع السجن أن يخرج إلى التحقيق وأن هذا الخروج إلى التحقيق هو الطريق الأسرع والأنجح لخروجك من السجن، ورفض خروجك للتحقيق يعني أنك ستمكث وقتاً أطول في السجن، لا بد لك من الإجابة عن أسئلة المحقق، لا بد لك من إنهاء كافة المشكلات والأمور الموجودة في ملفك أو قضيتك.

فد

فرقة مكافحة الشغب

إن السجين الآن إما أن يقتنع بالخروج أو يصر على عدم الخروج، فإن أصر على موقفه، وهو عدم الخروج إلى التحقيق، جاءه ضابط ليقنعه بالخروج، وإذا رفض الخروج، يخبره هذا الضابط بأنه سيضطر إلى أن يرشه بالغاز المسيل للدموع أو غاز آخر لتدويخه، وسوف تحضر قوات مكافحة الشغب، وتدخل على هذا السجين عنوة، يحضر الضابط المسؤول عن رش هذا الغاز، ومعه مجموعة طبية (٣-٤) أشخاص، طبيب ومساعد و... ليشرفوا على عملية رش الغاز، فهي ليست قاتلة، وإنما هي لتدويخ السجين وإجباره على الخروج، ولمساعدة قوات مكافحة الشغب في الدخول عليه وتقييده؛ حتى لا تحدث من السجين مقاومة أو مضاربة مع قوات مكافحة الشغب.

يقوم الضابط برش الغاز على السجين، ويطلب منه النوم على بطنه على الأرض، ووضع يديه خلف ظهره، يفتح الحارس باب

الزنزانية وتدخل عليه قوات مكافحة الشغب، يطلب من السجناء ألا يقوم بأي حركة أو مقاومة؛ حتى لا يتعرض لأذى من قوات مكافحة الشغب في أثناء اقتحام الغرفة أو في أثناء تقييده.

شاهدت هذا الاقتحام مرة، بل عشرات المرات، تدخل جماعة من قوات مكافحة الشغب إلى الغرفة المكونة من خمسة أشخاص، جميع بدن الشخص منهم محصن من رأسه إلى قدمه، مجهز ضد أي اعتداء خارجي يتعرض له، يدخلون بسرعة على السجناء بعد رشه بالغاز، ويقيّدونه في يديه ورجليه، ثم يحملونه على أكتافهم، إما يحملونه بالنقالة كنقالة الجرحى، والمرضى، وإما يحملونه على أكتافهم دون أي شيء، وتكون السيارة، خارج العنبر تنتظرهم، يطلبون من المعتقل أن يمشي على قدميه إلى غرفة التحقيق، فإن أبى حملته السيارة وإذا جلس على الكرسي أمام المحقق في غرفة التحقيق، وطلب منه المحقق أن يتكلم ويجيب عن الأسئلة امتنع عن الكلام، حتى لو سأله عن اسمه واسم بلده وعمره لا يتكلم.

عدم الكلام مع المحقق، وكما سمعت من كثير من السجناء أنه محقق في عدم الكلام والإجابة عن أي سؤال من المحقق؛ لأنه أجاب عن مثل هذه الأسئلة مرة، بل مرات، فلماذا إذاً هذا التكرار، إنه يقول للمحقق حينما يسأله عن سؤال تكرر: إن الإجابة عن هذا السؤال قد سبق أن أجبتك عنها، فلماذا تعيد علي هذا السؤال لقد

سمعت أن بعض المعتقلين لم يتكلم في التحقيق منذ شهور، وبعضهم منذ سنة، إنهم يأخذونه إلى التحقيق، ثم يرجع إلى غرفته دون أن يتكلم أي كلمة لكن بعد أن يتركه المحقق يجلس على كرسي التحقيق ساعات طوال ربما تمتد إلى عشر ساعات أحياناً؛ ليكون نوعاً من العقوبة له.

إن العقاب بدأ يتغير ويتشدد على هؤلاء المعتقلين، لقد بدأ العقاب يمس جوانب الدين ويتحدى مشاعر المعتقلين الإسلامية، ولما رأت إدارة السجن أن العقوبات التي تنزلها بالمعتقلين لا تؤثر فيهم بدأت تزيد في هذه العقوبات؛ لعلها تخيفهم وتوقفهم عند حدهم من أجل أن يلتزموا بقوانين السجن ويطبقوا أوامر المحققين ومتطلباتهم، إن خروج المعتقل من غرفته برغم أنفه عن طريق رشه بالغاز، ثم دخول فرق الشغب عليه وإخراجه عنوة من غرفته مقيداً ومحمولاً على ظهور رجال فرقة مكافحة الشغب قد ظهر أنه لا يكفي عقاباً للمعتقل.

ومن ثم بدأت إدارة السجن بزيادة عقاب آخر على هذا العقاب وهو حلق لحية المعتقل وشاربه ورأسه دون إرادته، بل برغم أنفه، فبعد إخراجه من غرفته بواسطة فرقة مكافحة الشغب إلى مكان الرياضة والمشي يتقدم إليه الحلاق ويحلق له لحيته وشاربه ورأسه، ثم يرجعونه إلى غرفته وقد تغير شكله وتبدل حاله وهذا مما يضايق

الكثيرين ويزعجهم، بل يضايق الجميع؛ لأن اللحية في الإسلام لها معنى خاص، ولها حكم الوجوب من حيث الحل والحرمة، كما أن لها معنى كمال الرجولة، وعدم التشبه بالنساء أو الكفار، حتى عند المسلمين غير الملتزمين وإن لحى الكثيرين من المعتقلين لم يمسه موسى الحلاقة ولا شفرة الحلاق منذ عشرات السنين، بل منذ أن نبتت لحيته في وجهه لم يحلقها حتى ولو مرة واحدة.

لكن كان عزاء الكثيرين منهم أنها حلقت برغم أنوفهم، وحلقت في سبيل نصرة إخوانه، ومن أجل الوقوف بجانب معتقلين يعدونهم مظلومين من قبل إدارة السجن، وهناك نوع من العقوبة، وهو أن يفتح المحقق جهاز التكييف بقوة على المعتقل طوال هذه المدة، وهناك عقوبة أخرى لمن يرفض الكلام مع المحقق، وهي أن يؤخذ السجين إلى غرفة التحقيق يومياً، أو يوماً بعد يوم أو بين حين وآخر ويترك في غرفة التحقيق على الكرسي ساعات طوالاً، دون أن يحضر المحقق إلى غرفة التحقيق، وبعد مرور الساعات الطوال يقوم الحراس بإرجاع المعتقل إلى زنزانته.

٥٢

غرفة الحب

إن حمل السجين من غرفته إلى غرفة التحقيق عنوة، عملية لم تستفد منها إدارة السجن؛ لأنها كانت تبغي إخراج السجين من غرفته إلى غرفة التحقيق من أجل أن يتكلم ويجيب عن أسئلة المحقق، فما دام إذا لم يتكلم، فهذه الطريقة لم تعد ذات فائدة، وعليه فلا بد من الضغط أكثر على السجين؛ حتى يتكلم، كما أنه يجب استعمال طرق أخرى، لا بد من كسر هذا الصمت أو لا بد من إفشال هذا الإضراب، بدأت تحدث في غرف التحقيق حوادث غريبة، كما نقل ذلك بعض السجناء، مثلاً بعض السجناء رفض الكلام مع المحقق، فتقدمت نحوه فتاة شبه عارية لتثير غرائزه الجنسية، رفض الكلام معها، أو حتى النظر إليها، تقدمت نحوه أكثر حتى كادت شفاتها تمس شفتيه، إنها تريد تقبيله لزيادة إثارتها، إنه لا يستطيع الهرب منها؛ لأنه لا يستطيع دفعها عنه بيديه؛ لأنه مقيد اليدين والرجلين، ورجلاه مقيدتان بحلقة مثبتة في الأرض.

يبدو أن الكاميرا تصور ما يحدث، حتى تخرج له الصورة، أو حتى تخرج لأصحابه، ويقولون لهم: انظروا ماذا يفعل صاحبكم، لم يجد هذا المعتقل المقيّد طريقة ليصرفها عنه، فماذا يفعل، فما كان منه إلا أن قام وتنفخ وبصق عليها، عندئذ انصرفت عنه وخرج المعتقل ناجحاً في الاختبار.

نشرت جريدة الواشنطن بوست تقريراً من وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون- وهذا الخبر نشرته وسائل الإعلام، بأن مجندات في الجيش الأمريكي يستخدمن جنسياً؛ لانتزاع الاعترافات والأقوال من المسجونين المسلمين في معتقل جوانتانامو- كوبا- وكل من في المعتقل المذكور هم من المسلمين الذين اعتقلتهم أمريكا أو أحد أصدقائها (كما تسمهم) بتهمة أو بحجة محاربة الإرهاب.

وقد قام محامون غربيون موكلون بالدفاع عن بعض المعتقلين من بلاد عربية (في جوانتانامو) بالمرافعة في هذا والاعتراض على هذه الممارسات التي تقوم بها المجندات بتوجيه وأمر من وزارة الدفاع، وأن هذا يتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي، وأن هذه الممارسات التي تستخدم وسيلة ضغط على المعتقلين لانتزاع الاعترافات منهم، تتنافى مع الحرية التي يجب أن تُمنح للسجين للإدلاء بأقواله، وتتعارض مع الطريقة التي يجب أن يكون عليها سير التحقيق مع هؤلاء المعتقلين، وغرف التحقيق التي تجري فيها مثل هذه التحرشات تعرف بين المعتقلين باسم غرفة الحب.

لقد قامت إحدى المحققات بعمل مشين، طلبت من المعتقل أن يتكلم، لكن السجين ليس عنده ما يقوله، لا جديد لديه، فقامت هذه المحققة وأخذت شيئاً من دم حيضها على إصبعها وهو ينظر ما عساه أن تفعله، لكنها أخذت دم الحيض من عورتها ووضعتة على رقبته، ولما جاء سجين آخر قالت له: أتكلم أم أضع عليك الدم كما وضعتة على صاحبك؟ سجين آخر دخل على المحقق وأمام المحقق مسجل كبير وأشرطة كثيرة، قال المحقق: أتحب الغناء والموسيقى، هيا وفتح له أغنية عربية وليست عربية فقط بل أغنية من بلده، السجين لا يريد ذلك، وما عساه أن يفعله إلا أن ينكر هذا الفعل بقلبه ولسانه.

وسمعت أن أحد المعتقلين لما اقتربت منه الفتاة وحاولت أن يمس وجهها وجهه وهو مقيّد بالأرض، ضربها برأسه؛ لأنه لم يجد إلا الضرب وسيلة لدفعها عنه، وحدث مرة ما هو أكثر من ذلك وتناقله السجناء من عنبر لآخر وحدثت له ردود فعل في كافة أرجاء المعتقل؛ احتجاجاً على ما حدث، وهو ما يأتي:

إن أحد السجناء رفض الكلام مع المحقق، وحاول المحقق أن يكسر صمت السجين بكل محاولة، فلم يستطع مما أغاظ المحقق وأغضبه بدرجة كبيرة، عندها قال المحقق للسجين: إن هذا القرآن هو أقدس شيء عندكم، إذا لم تتكلم فسوف أضعه تحت قدمي

وأدوس عليه الآن أمام عينيك لم يهتم السجين المقيّد اليدين والرجلين بالأرض لهذا التهديد، فلم يتكلم، أراد المحقق أن ينفذ ما هدد به، فحمل المحقق المصحف الشريف ووضعهُ على الأرض، وداس عليه بقدمه، حصلت مشادة كلامية ومشاتمة بين السجين والمحقق على هذه الفعلة الشنيعة.

إن حكم الشريعة الإسلامية على من فعل هذا الفعل هو: الكفر والخروج من دين الله، لكن المحقق أصلاً ليس مسلماً ولا يحتاج أن تطلق عليه هذا الحكم ولا ينتظر أن تحكم عليه بهذا الحكم ولا يهمله من قريب أو بعيد أن تسمعه هذا الحكم، ولم يكتفِ المحقق بما فعل وأغاضه موقف السجين الصلب الذي ربما لم يعهده من قبل على سجين، فما كان من المحقق إلا أن قام وأحضر العلم الإسرائيلي، وقام بلف جسم هذا السجين وتغطيته من جميع الجهات بالعلم الإسرائيلي، طبعاً السجين لا يستطيع منع المحقق مما فعل؛ لأنه مقيّد الجسم، والجسم مقيّد في الأرض، هذا الفعل الذي فعله المحقق كانت له ردود في كافة أنحاء السجن.

من هذه الردود إضرابات عن الطعام بين السجناء مددًا متفاوتة، استمر بعضها شهوراً، وسباب وشتائم بين السجناء والحراس، ورش الحراس بالماء والشاي والحليب وربما بالبول والغائط، والبصق على الحراس، والإضراب عن الخروج إلى التحقيق والغتسال

والمشي والرياضة، شعرت إدارة السجن بهذه الردود والاحتجاجات وأوقعتها في حرج، خاصة أنها تريد أن تظهر بأنها تحافظ على احترام معتقدات السجناء ومشاعرهم، وأن التحقيق يجري بطريقة ديمقراطية وأن السجن حرٌّ في كلامه في التحقيق.

الآن إدارة السجن لا بد أن تنهي هذا الحدث وردود الفعل عليه فأرسلت مسؤولاً كبيراً للتفاوض مع المضربين، قال لهم: إن هذا المحقق قام بهذا العمل - إهانة المصحف - ولف العلم الإسرائيلي على جسم السجن دون قصد، وكان في حالة عصبية شديدة وأنه فعل هذا الفعل من نفسه دون أن يأمره أحد، إنه هو المسؤول عن هذا الفعل وهذا الفعل ليس مخططاً له من قبل إدارة السجن، وسوف تقوم إدارة السجن بالتحقيق مع هذا المحقق وإعفائه من التحقيق.

هناك سجين آخر رفض الكلام في التحقيق، فأحضر له المحقق جهاز تسجيل كبيراً مرتفع الصوت، يخرج أصواتاً شديدة مزعجة حيناً، ويسكت حيناً آخر، وبعد الهدوء والسكون يفاجئك على حين غرة بصوت صاخب، ومحقق آخر أحضر لسجين لا يتكلم جهازاً يحدث إضاءات شديدة وبرقاً يخطف الأبصار.

محقق آخر يعرف أن هذا السجن لا يحب الموسيقى، فيفتح له المسجل على الموسيقى أو الأغاني العربية أو غير العربية، ومحقق

آخر يقول لأحد السجناء الذي امتنع عن الكلام: لو كان الأمر بيدي لأطعمت كل سجين منكم كل يوم ساندويتش لحم خنزير.

لقد سمعت أن إدارة السجن قد استعانت بالسحرة والمشعوذين في غرف التحقيق ضد بعض المعتقلين، قال: لما جلس المعتقل على الكرسي أمام المحقق في غرفة التحقيق بدأ هذا الشخص يتمتم بكلام ويحرك شفثيه وعينييه نحو المعتقل المقيّد ويشير بحركات يديه يميناً وشمالاً وأعلى وأسفل ويعمل بيده دوائر في الهواء، ويقوم بعملية نفخ ونفث نحو هذا المعتقل المقيّد الجالس، فأدرك المعتقل ما يريد هذا الساحر، فبدأ يقرأ آيات من القرآن الكريم وأدعية من كلام الرسول ﷺ ويستعيذ بالله العظيم من كيد هذا الساحر وشعوذته.

وهناك محققون من نوع آخر، يقومون بإحضار ساندويتشات بيتزا وأنواع كثيرة من الأطعمة والعصيرات؛ حتى تكون هذه المائدة فاتحة للشهية، ومشهية للكلام مع السجنين، أو حتى تكون طريقاً لدخول المحقق لقلب السجنين ونفسه من جهة الطعام، فيحضر له ما يطلبه من المطاعم والمشارب.

وسمعت من بعض السجناء أنه كان يشترط على المحقق أنه لن يتكلم في التحقيق؛ حتى يحضر له أنواعاً معينة من الطعام

والشراب، وفعلاً يقوم المحقق بإحضار ما يطلبه السجين، وبعد أن يأكل السجين الطعام الذي طلبه ربما يتكلم، وربما لا يتكلم.

ويعود السجين إلى غرفته بسلام.

إن الكلام عن السجن ومشكلاته متشعب، وكلما حاولت حصر الكلام في اتجاه واحد وزاوية واحدة، خرجت عليك الأفكار والقصص والحوادث من هنا وهناك، فتضطر أن نسجلها قبل أن تفلت من أذهانتنا.

مضت الأيام ومشكلات هذا العنبر تزداد يوماً بعد يوم، وأنا شخصياً لا أحب عمل المشكلات مع الحراس ومع المحققين، أنا لا يوجد عندي ذنب أو تهمة أخاف منها، لقد اعتقلوني ظلماً وزوراً، تركت خلفي عائلة مكونة من تسعة أفراد ليس لهم بعدي عائل إلا الله، ليس لي علاقة لا مع تنظيم القاعدة ولا مع حركة طالبان ولا حتى مع الأمريكان، وحتى الذين لهم علاقة مع القاعدة أو مع طالبان، ليست هذه هي الطريقة الصحيحة التي تفتح لهم أبواب السجن أو تعيدهم إلى أهاليهم وبيوتهم، كنت لا أرى ما يفعله الكثير من السجناء صحيحاً، ولا يخدم قضيتهم وينهي مشكلتهم، وينظف ملفاتهم في التحقيق.

كنت حريصاً على الخروج من هذا العنبر؛ لأن العقوبات تزداد يوماً بعد يوم عليك، وتنزل على اسمك، سواء شاركت في المخالفات

أم لم تشارك، صحيح أن بعض احتجاجات السجناء، وردود أفعالهم على ما يجري لهم صحيحة، لكن لهم أيضاً احتجاجات أخرى غير صحيحة، ولا تسير في طريقها الصحيح، أو أن أسلوبها ليس بالأسلوب المناسب لهم، إذ إنهم سجناء لا يملكون من أدوات التغيير شيئاً، إنهم سجناء أولاً وإنهم سجناء عند قوم يقولون عنهم: إنهم أعداء لهم لا يحبونهم، إن كثيراً من طرق العلاج التي كان يسلكها السجناء لتصحيح أوضاعهم أو تخفيف العقوبات عنهم أو الاستعجال في إنهاء محنتهم في السجن، لم تكن صحيحة، بدليل أن كثيراً ممن كان يقوم بهذه الاحتجاجات وردود الأفعال أدرك أنها احتجاجات تسير في مسار غير صحيح.

ولم يكتفِ هذا الشخص بأن يترك هو هذه الاحتجاجات أو بالسكوت عما يفعلها، بل بدأ ينكر على من يفعلها؛ لأن كل سجين يحلم أو ينظر إلى اليوم الذي تفتح له أبواب السجن ويعود إلى أهله، لا يوجد أحد من السجناء يريد أو يحب أن يبقى يوماً واحداً في السجن، لذلك أدرك الكثير من السجناء أن سير التحقيق عنده قد توقف وأن كثيراً من القضايا التي لا بد أن ينهيها أو يجيب عنها في التحقيق ما زالت عالقة وباقية، أدرك أنه لا بد أن يتجاوب مع المحققين، خاصة وأن قضاياها التي سيجيب عن أسئلتها ليست ذات أهمية.

فد

الحاجة أم الاختراع

إن المعاقبين في عنابر الدرجتين الثالثة والرابعة، لا يحق لهم أن يستلموا معجوناً وفرشاة للأسنان والصابون، ولا يسمح لهم باستعمال كأس أو كوب الماء، لكن يوجد عادة في العنبر أناس في الدرجتين الثالثة والرابعة غير معاقبين، إنهم في مراحل تؤهلهم للخروج من حالة العقاب التي يعيشون فيها، وهؤلاء عادة يمكنهم أن يزودوا ببقية السجناء بما يحتاجونه من المعجون وفرشاة الأسنان والصابون؛ لأنهم غير معاقبين، لكن كيف سيوصلون هذه الأغراض إلى غيرهم من المعاقبين، إن الحارس لا يوافق على حملها وإرسالها إليهم؛ لذلك لا بد من استعمال طريقة أخرى لتوصيلها، إنهم يوصلونها بطريق الخيط، ما هذا الخيط ومن أين يحصلون عليه؟ يحصلون عليه من المنشفة التي توجد مع كل واحد منهم، إنها عبارة عن نسيج خيوط كثيفة مع بعضها بعضاً، فيقومون بأخذ

خيطة طويل منها، فإذا كانت الغرفة التي يريدون إرسال إليها في الجهة نفسها التي توجد فيها هذه المواد فهذا سهل، فيكون الإرسال والتوصيل عبر الشبك من سجين لآخر، حتى تصل إلى الغرفة المطلوبة، وإذا كانت الغرفة المطلوبة في الطرف الآخر، الذي يفصل بينهم وبينها الممر، الذي عرضه متران تقريباً، فلا بد من استعمال الخيط، حيث يربطون المواد التي يريدون إرسالها إلى الغرفة المعاكبة بطرف الخيط الموجود معهم من داخل الغرفة، وطرف الخيط الآخر يجمعونه حتى يكون شكله مثل حبة الحمص، ثم يحاولون قذفه عبر شبك غرفتهم، قد يرتطم ويصطدم بشبك غرفتهم أول مرة أو التي بعدها فيسحبونه، ثم يحاولون قذفه من جديد المرة، تلو المرة حتى يخرج من شبك غرفتهم، بقي الآن أن ينفذ من شبك الغرفة المقابلة، قد يصطدم الخيط (الكرة) بشبك هذه الغرفة بعد أن يقذف من الغرفة التي فيها المواد.

يحاول الشخص قذفه عدة مرات حتى يمر الخيط من شبك غرفته، ومن شبك الغرفة المقابلة التي نريد إرسال المواد إليها، إذا وصل الخيط (الكرة) إلى الغرفة المقابلة ودخل إليها قام الشخص الموجود في الغرفة وسحب الخيط (الكرة) الذي طرفه بيده وطرفه الآخر في الغرفة المقابلة التي يوجد فيها المواد، يبدأ بسحب الخيط إليه مع المواد المربوطة بطرفه - فرشاة أسنان أو معجون أسنان

وصابون - تصل إليه المواد، فيفكها ويأخذها، وهكذا يفعل المعتقل كلما أراد إرسال مواد عبر شبك الغرف بهذا الخيط هو أو غيره؛ لأن الخيط متوافر مع كل واحد.

تمر الأيام وأنا موجود في هذا العنبر، وهو أكثر عنبر سكنت فيه وحفل بعقوبات ومشكلات مع الحراس، وفي صبيحة يوم من الأيام جاء الحراس وقالوا لي: [عليك تحقيق، لكن بعد ساعتين هذا اليوم] عادة الحراس لا يخبرون أحداً بموعد تحقيقه، إنما يأتون إليه فجأة ويطلبون منه أن يذهب معهم إلى التحقيق فوراً، لكن حالة العنبر التي كان يرفض فيها السجناء الذهاب للتحقيق، ثم الدخول على الغرف بواسطة فرق مكافحة الشغب، جعلتهم يخبرون الأشخاص الذين عليهم تحقيق قبل موعد تحقيقهم بساعتين، حتى إذا رفض السجناء الذهاب إلى التحقيق يرتبون ويحضرون له فرقة قوات مكافحة الشغب؛ حتى تقتحم عليه غرفته، جاء الحراس وخرجت معهم إلى التحقيق، ودخلت إلى غرفة التحقيق فإذا بها جهاز كمبيوتر، وجهاز آخر لا أعرفه، ولم أره من قبل.

٥٢

جهاز كشف الكذب

علاوة على جهاز الكمبيوتر والجهاز الذي لا أعرفه هناك مجموعة أسلاك، وقد ظهر لي أن شكل هذه الغرفة ليس شبيهاً لشكل غرف التحقيق التي عهدناها من قبل، جلست أو أجلسني الحراس على الكرسي، جاء المترجم قبل المحقق على غير العادة، وقال: سوف نعرضك على جهاز كشف الكذب في هذه الجلسة، بدأ يشرح لي المترجم طريقة عمل هذا الجهاز، وأخبرني بالأسئلة التي سيسألني عنها حتى أحضر لها الأجوبة، وقال: إن هذا الجهاز يعمل بنبضات القلب وعلى الحالة النفسية والعصبية للمسجون، ويجب عليك ألا تحرك أي جزء من أجزاء جسدك في أثناء الاختبار، وطرح الأسئلة التي سوف تجيب عنها إنما تكون الإجابة عنها مختصرة، بكلمة واحدة نعم أو لا، تكون الإجابة عنها ليس بشرح مطول أو بتفصيل أو تعليل، هذا كان كلام المترجم لي، ويبدو من لهجته أنه

من بلاد المغرب العربي. بعد قليل جاء شخص آخر وجلس مقابلي، وقريب مني، وبدأ يشرح طريقة عمل هذا الجهاز، وأنه أدخل إلى المحاكم وبدأ العمل به للكشف عن المجرمين وعن الحالات الغامضة التي لا يعترف أصحابها بجرائمهم، ويعمل به الآن في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل رسمي، وأنا متخصص في هذا الجهاز، ولا يستطيع أحد أن يعمل عليه، وجئت من أمريكا من أجل العمل عليه هنا في معتقل (جوانتنامو) وأنا قد قرأت ملفك وسير التحقيق معك، وعرفت أنك إنسان متعلم ومثقف؛ لذلك سوف نستريح معك وبدأ يشرح لي عمل هذا الجهاز وأنه يعمل على النبض ودقات القلب والحالة النفسية والعصبية والمزاجية لمن يجري عليه الاختبار، وبدأ يذكر لي الأسئلة التي سوف يسألني عنها، وأجرى لي تمريناً وتدريباً على هذه الأسئلة - قبل أن يصل أسلاك الجهاز بجسمي.

وبعد أن أعطاني تدريباً على الأسئلة، قام وأوصل اليد اليمين، ثبت الأسلاك في إصبعين الإصبع الأول السبابة (إصبع التشهد في الصلاة) والإصبع الثاني الخنصر، الإصبع الذي يلي الوسطى، واليد اليسرى ثبت الأسلاك في الإصبعين نفسيهما كما ثبت أسلاكاً أخرى في عضدي - عضدي الأيسر وثبتها أيضاً في مكان ثالث على الصدر فوق القلب وقال: اجلس جيداً واتكئ على الكرسي وارفع رأسك وانظر إلى نقطة معينة على الجدار أمامك، ولا تنظر إلى

غيرها ولا تتحرك أي حركة. إن عمل أي حركة تفشل الاختبار وتغير في النتيجة الصحيحة التي نريد أن نصل إليها، وقال: هل أنت جاهز؟ وبدأ يسأل الأسئلة الآتية:

- ١- هل عملت عملاً مشيناً يسبب العار لك أو لأهلك؟
- ٢- هل تطيع أوامر القرآن الكريم إن أمرك بأي أمر من الأمور؟
- ٣- هل سبق وشاركت في عمل ضد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، أو ضد حلفائها؟
- ٤- هل تنوي القيام بعمل ضد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، أو ضد حلفائها بعد خروجك من السجن؟
- ٥- هل سبق أن خالفت أمراً من أوامر القرآن الكريم؟
- ٦- هل ستقوم بتحريض وعداء لمصالح أمريكا، أو مصالح حلفائها في أفغانستان؟
- ٧- هل أنت جالس على الكرسي؟
- ٨- هل الكهرياء مضاعة؟
- ٩- هل أنت عضو في الجماعات الإرهابية الآتية: تنظيم القاعدة، حركة طالبان، الحزب الإسلامي الأفغاني، الجماعة الإسلامية،

جماعة الجهاد، جماعة الزرقاوي، وذكر لي أسماء أكثر من عشر جماعات، نسيته، فيما إذا كنت عضواً فيها أو في أحدها والأسئلة التي سألتني عنها أكثر من هذه، لكنني نسيته ما تبقى من أسئلة، أجرى الاختبار وكرره وأعاده علي ثلاث مرات.

بعد الانتهاء من الاختبار قلت للمسؤول عن هذا الجهاز (والذي أجرى لي الاختبار): ما هي النتيجة لو سمحت؟ قال: أنا لا أعرف، الاختبار هذا سيرسل إلى واشنطن وهم الذين يقررون ويعرفون النتيجة، أنا لم أكرث كثيراً بكلامه؛ لأنهم قد يخبرون بالنتيجة بعد الانتهاء من الاختبار، كما سمعت من بعض السجناء وقد لا يخبرون، كما حدث معي ومع غيري.

والأسئلة التي طلب مني الإجابة عنها، ليست هي الأسئلة التي يسألها لكل سجين، الأسئلة التي توجه لكل سجين تختلف عن الأسئلة التي توجه لسجين آخر، الأسئلة تكون حسب الثقافة، وحسب العمل والمهنة وحسب سير التحقيق مع الشخص، وحسب المشكلات التي كانت تحصل في غرف التحقيق بين السجين والمحقق حسب التهم الموجهة لكل شخص تتسجم مع عمره وتطلعاته وأهدافه، تتوافق مع التزامه وسلوكه مع شخصيته وسيرة حياته، ونظافة معاملته، ومع أمور كثيرة أخرى قد لا نعلمها نحن، هكذا يبدو ويظهر من مجمل الأسئلة التي وجهوها وسألوها إلى كثير من السجناء ممن جربوا

هذا الجهاز، وممن سمعتهم يتكلمون عن هذا الجهاز وأسئلته. إن الأسئلة التي أجبت عنها مبشرة من حيث نوعيتها، ومن حيث نتيجتها، حقيقة أنا استبشرت خيراً بالأسئلة والأجوبة، لقد كانت أعصابي كأنها في ثلاثة، كنت مطمئناً إلى قدر الله - عز وجل - واثقاً أن فرج الله قريب.

سمعت من الكثيرين من السجناء أنهم رفضوا الجلوس والاختبار على هذا الجهاز، وقالوا: إنه جهاز غير معمول به قانونياً في محاكم الولايات المتحدة الأمريكية، لقد عملت به الحكومة مدة، ثم ثبت لديها أنه جهاز يتهم البريء ويبرئ المتهم؛ لأن كثيراً من الناس لهم قدرة كبيرة وناجحة على ضبط انفعالاتهم النفسية ويستطيعون أن يتجاوبوا بهدوء تام مع الأسئلة التي توجه إليهم.

لكن بعض السجناء بل أكثرهم جلسوا على هذا الجهاز وخرجت نتائج اختباراتهم إيجابية، لقد نجحوا في الاختبار كما قال لهم المسؤول عن الجهاز، وبعض السجناء يدركون أنه جهاز لا يقدم ولا يؤخر في سير التحقيق، ولا يفيدهم شيئاً في التعجيل بخروجهم من السجن، لكن يقبلون الجلوس عليه؛ لأن رفض الجلوس على هذا الجهاز يعني أن لديهم تهماً أو قضايا لا يريدون أن يكشفها الجهاز، ولو كانت قضاياهم ظاهرة وتهمهم بسيطة لوافقوا على الجلوس على هذا الجهاز، هذا هو التفسير الذي سيوجه إليهم من قبل المسؤولين.

لكن هذا الجهاز ليس هو الفيصل في قضية كل سجين، هذا الجهاز ليس هو الحاكم الأخير على كل متهم، هذا الجهاز لا يملك أن يقول لك: إنك بريء ويقول للسجان: افتح الباب لهذا السجين، وأطلق سراحه إنه بريء، لقد سمعت عن الكثيرين من السجناء قبل خروجنا بشهور كثيرة، أنهم وافقوا على الجلوس على هذا الجهاز، ووجهت لهم الأسئلة العادية غير الخطيرة التي لا علاقة لها بالجهاد ولا بالإرهاب، (كما يسمونه) لا علاقة لها بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ولا علاقة لها بأي أحداث عنف وقتل وقتال سابقة وقعت ضد الولايات المتحدة الأمريكية وخرجت نتائج جهاز كشف الكذب عنهم إيجابية.

وقال لهم المسؤول عن هذا الجهاز: لقد تم اختباركم بنجاح، لم يبق لكم أي شيء، لقد انتهت ملفاتكم وسوف يفرج عنكم قريباً، وسترجعون إلى بلادكم، هذا الذي سمعته عن الكثيرين من السجناء، لكن مازالوا داخل السجن، ولم يفرج عنهم حتى الآن، إن الجلوس على هذا الجهاز صحيح، إنه هو آخر فصل في التحقيق، وهو آخر فقرة في تهمة وملف كل سجين، لكنه ليس هو آخر فصل، وآخر فقرة في بقاء هذا السجين في السجن، وأنه على أعتاب الخروج من أبواب هذا المعتقل.

إن الجلوس على هذا الجهاز يعني أن التحقيق مع المتهم قد

أوشك على الانتهاء أو انتهى، لكنه إلى أين انتهى؟ إما انتهاء إلى البراءة والخروج من السجن وإما انتهاء إلى انتظار المحكمة وصدور الحكم، والحكم يكون إما بالبراءة والخروج من السجن وإما بالبقاء في السجن وانقضاء مدة الحكم الذي تقدره المحكمة، لكن متى ستشكل هذه المحكمة ومتى ستعقد حتى تصدر أحكامها على هؤلاء الناس؟ الله أعلم.

إن السجن بلاء وامتحان بلا شك، والإنسان ما كان يتصور أو يظن أنه سيتحمل السجن، يتحمل حره وبرده، عذابه الجسدي والعصبي والنفسي، الانفراد والوحدة، البعد عن الأهل والخلان والأصحاب والجيران، ما كان يظن أنه يتحمل البعد عن شهواته.

س

درس من السجن

ما كان الإنسان يظن أنه يتحمل السجن في هذه الحياة الدنيا التي تعود عليها رخيَّة هنيئة، خاصة إن كان هذا الإنسان من أصحاب الشهادات والمتاصب العليا أو كان من أهل الثراء والمال. إن الدنيا كانت قد فتحت له ذراعيها وتمرغ في أحضانها ظهراً لبطن، ثم ما يفتح عينيه إلا وهو في زنزانة انفرادية لا يرى فيها الشمس، لا يكلم أحداً ولا يكلمه أحد، تمضي عليه الأيام، بل الأسابيع، بل الشهور وهو في هذه الحالة، فجأة وفي لحظة واحدة، نزل عليه البلاء وضاق عليه الفضاء وتذكر له الأخلاء.

مَا بَيْنَ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا يَغْيَرُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

إن الدنيا لا تدوم على حال ومن المحال دوام الحال، والدنيا دول، وكما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

هِيَ الْأَيَّامُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دَوْلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

إن السجن صبر، صبر واحتساب على ما يصيب الإنسان، وما لم يكن عند الإنسان صبر، فسيواجه متاعب كثيرة جداً، وكل من لم يخض معركة الصبر في الحياة الدنيا ولم يذق مرارة التحمل ولأواء البعد والحرمان، فسوف يصطدم بأبسط عقبات السجن، وإذا لم يتحمل أقل هذه العقبات، فسيسقط في أول مراحل هذه الرحلة، وسيتحطم عند أول مشكلة تواجهه في أول عتبة يتخطاها عند دخوله لهذا القبر الكبير، ولقد أوصى بعض من كان معنا وصية لإخوانه أن يكثروا من قول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧)، دعاء سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام في بطن الحوت، فقال له صاحبه وهو يحاوره: هل نحن في بطن الحوت؟ فأجابه: وهل هذه الزنازين إلا كبطون الحيتان.

إن القلب في نعيم الدنيا والتوسع في مباحاتها الحلال، من أكبر الأمور الضاغطة على الإنسان في السجن، ومن القضايا التي تكون عائقاً له على الثبات في هذه المحنة، ومن الجوانب التي تجذبه وتشده وتحببه للرجوع إليها والفرق في بحرها، ولو كان على حساب مبدئه ودينه، وما لم يكن معك زاد الطريق من القرآن الكريم والذكر من سنة سيد المرسلين ﷺ والافتداء بالسلف الصالحين، والاحتساب أولاً وآخرًا لله رب العالمين فسيصيبك الوهن وستضعف عزيمتك، وستدركك السامة والملل، وتتتابك الأوهام، وتفزوك

الأسقام وتعشعش في فؤادك الوسوس وتلبسك الآلام، ويكسوك
اليأس والقنوط من رحمة رب العالمين.

إن السجن قدر الله - عز وجل - على عبده المؤمن بلا شك ولا
مرية، والإنسان الذي لديه قوة وقدرة وعنده صبر وتحمل، لم يكن
ليكتشف هذه القوة وما كان ليعرف هذا التحمل والصبر من دون أن
يدخل في فرن الابتلاء، ومن دون أن يلج محك الامتحان والاختبار،
لقد كان قدر الله علينا في هذا السجن سهلاً وبسيطاً بالنسبة إلى
الابتلاءات التي أصابت غيرنا.

صحيح أن الذي أصابنا سجن، وبعد حسي، وبعد معنوي،
وتفسي، بعد عن الأهل والوطن، لكن لما كنا نقارن أنفسنا بالآخرين
كان الأمر يهون علينا، كنا نقرأ عن سيدنا يوسف عليه الصلاة
والسلام، وكيف أنه لبث في السجن بضع سنين، وهو الكريم ابن
الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم
وعلى نبينا الصلاة والسلام، ما هو ذنب سيدنا يوسف عليه الصلاة
والسلام، وما هي الخطيئة التي ارتكبها حتى يدخل السجن، ذنبه
أنه طاهر، ذنبه أنه نظيف، هذا حكم أهل الدنيا على الطاهر
والنظيف، لقد أصبح الطهر وأصبحت النظافة المعنوية جريمة يزج
بصاحبها في السجن، هذا منطق أهل الدنيا تجاه كل طاهر وعفيف
﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زَادَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ
لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ (يوسف: ٣٢).

أي منطق هذا إن هذا المنطق يقول: إذا لم يتلخخ يوسف عليه الصلاة والسلام بهذه الفعلة الشنيعة، ويوافق هذه المرأة في هواها فمصيره السجن، لماذا؟ لأنه عفيف وطاهر، فما دام أنه عفيف وطاهر، فلا بد أن يكون مصيره السجن، وصدق الله العظيم ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهُرُونَ﴾ (النمل: ٥٦).

إن لوطاً ومن معه من المؤمنين لا بد أن يطردوا ويخرجوا من بلدكم؛ لأنهم في عرفهم ومعتقدهم أناس مذنبون ومخطئون هل تعرفون ما ذنبهم؟ إنهم يتخرجون من فعل ما تفعلونه، إنهم يتزهدون ويتطهرون عن أفعالكم وعن إقراركم على صنيعكم - اللواط - فأخرجوهم من بين أظهركم، فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم، قال قتادة: عابوهم بغير عيب وقال مجاهد: إنهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء وروي مثله عن ابن عباس.

يأليت الظلمة وأعوانهم اليوم يطردون الدعاة ويخرجونهم من بلادهم، بدلاً من زجهم في غياهب السجون والمعتقلات! لقد كان قوم لوط أحسن حالاً منهم، لو أن شخصاً أو مؤسسة اليوم قامت بعمل مسح للسجون في العالم الثالث، فإنها سوف تخرج نتيجة أكيدة، مضمونها: إن هذه السجون لا يوجد فيها إلا المتطهرون، لا يوجد فيها إلا الدعاة الصالحون، لا يوجد فيها إلا من يقول للناس:

أيها الناس، هذه طريقكم الصحيحة هذه هي الطريقة التي فيها حل مشكلاتكم وخروجكم من جميع هذه المشكلات، الطريقة التي فيها العزة والغلبة في الدنيا والفوز العظيم في الآخرة.

كنّا نستصغر أنفسنا إذا اشتكى أحدنا، أو تذمر أو تضايق أو تضجر من غرفته أو من طعامه ولباسه أو... كم كان يمسح على جراحنا ويخفف عن آلامنا ما لاقاه كبار الدعاة إلى الله - عز وجل - ، منذ آدم عليه السلام، وحتى آخرهم محمد ﷺ، فقد لاقوا أذى وشتماً وعذاباً من أجل الله - عز وجل -، فها هو سيدنا رسول الله ﷺ حاصره المشركون في شعب أبي طالب ثلاث سنين.

إنه سجن كبير وإن لم يكن فيه غرف وزنازين صغيرة، قاطعوهم فلم يبيعوهم ولم يشتروا منهم ولم يزوجوهم ولم يتزوجوا منهم، لم يجد الصحابة في هذا السجن طعاماً يأكلونه، لقد صور سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله ومن العشرة المبشرين بالجنة الجوع الذي نزل بهم، فقال: خرجت ذات ليلة أبول، فإذا بصوت تحت بولي فإذا هو جلدة فأخذتها وغسلتها وأكلت ما استطعت منها، والله أعلم جلدة أي حيوان تكون هذه الجلدة!

لقد كان بعض السجناء - جزاهم الله خيراً - يخففون عنا ضيق السجن، وبعد الأهل، ووحشة الأيام، بكلمات تقع كأنها الماء الزلال الذي ينهل منه العطشان، كلمات عن دعاة في كل بقاع الأرض، قام

الظلمة وأعوانهم بزجهم في غياهب السجون سنين طويلة، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، منهم من قضى نحبه في سجنه، ومنهم من ينتظر فرج الله.

لقد كنا نسمع عن زينب الغزالي، امرأة سجنّت سنين طويلة بلا ذنب، فما كان لها من ذنب إلا أن قالت: ربي الله، اقرأ قصتها في كتاب «أيام من حياتي»، وستعرف من هي زينب الغزالي، أما الرجال الذين سجنوا في هذه المحنة نفسها، فقصاصهم لا تخفى على أحد، وحياتهم في السجن نشرت ويعرفها القاصي والداني.

إن السجن أداة من الأدوات التي يلجأ إليها العجزة عندما يجبنون عن مواجهة الحق، إنه الوسيلة التي يسلكها الجبناء عندما يفقدون الحجة الواضحة، والدليل البين في إدانته خصومهم، إنه الطريق الذي يسير فيه الجلاد عندما تعتريه الكبرياء، ويلبسه الفرور ويعشعش في قلبه الظلم والبطش، ها هو فرعون قائد الظلمة والجبارين، وكبير العتاة والمجرمين في كل زمان ومكان، لا يجد أداة لتهديد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام إلا السجن ﴿قَالَ لِيْنِ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩).

إنه منطق الضعفاء والمهزومين، الذين غابت حجتهم وضعفت إرادتهم، ووهن منطقهم عن مواجهة الحقيقة، بل تمادى فرعون

في غيه واستمر في ضلاله إلى تهديد موسى عليه الصلاة والسلام بالقتل، عندما لم يكثرث سيدنا موسى بتهديده بالسجن ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦).

الطاغية أصبح واعظاً، والمتكبر والمتفطرس أصبح مذكراً مشفقاً، والمجرم الأول أصبح أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وموسى عليه الصلاة والسلام، المرسل من رب العالمين، والذي هو من أولي العزم من الرسل، أصبح في نظر فرعون مفسداً، يريد تبديل دين الناس، إنها المفارقات، يا للعجب من حكم أهل الدنيا على أهل الدين!

قبل خروجي من كوبا بشهر تقريباً وبعد تناول طعام الإفطار، جاء الحراس وقالوا: عليك عيادة، قلت لهم: لا أستطيع اليوم الذهاب إلى العيادة، أنا لست مريضاً أولاً، وثانياً جاء حلاق الشعر ولا بد أن أحلق شعر رأسي اليوم، وإلا فلا بد من الانتظار ثلاثة أشهر أخرى؛ لأن الحلاق لا يمر على عنابر السجناء إلا بعد مدة طويلة، انصرف الحراس دون أن أذهب معهم.

وخرجت للحلاقة، وفي اليوم اللاحق عاد الحراس، وقالوا: العيادة، قلت لهم: أما الآن فلا بأس.

دخلت العيادة، جاء الطبيب، أجرى لي بعض الفحوص السريعة على جسدي، العينين، الحلق، الأذن، وأخذ وزني وطولي وقياس اليدين والرجلين والعنق كأنه قياس خياط يريد خياطة بنطال أو قميص، ثم أرجعني الحراس إلى غرفتي، لكن بعد تناول طعام الغداء جاء الحراس، وقالوا: عليك تحقيق، قلت: حاضر تم التقييد بالسلاسل ثم التفتيش، سرنا ووصلنا إلى غرفة التحقيق، جلست على الكرسي، فك الحراس اليدين، ثم قيدوا الرجلين بحلقة مثبتة في الأرض، وجاء المحقق، وكانت سيدة والمترجم يبدو من لهجته أنه عراقي، قالت المحققة: هذه الجلسة قد تكون آخر جلسة لك في التحقيق.

وبعد هذه الجلسة سنرفع ملفك إلى واشنطن، وخلال ثلاثة أسابيع سيأتي الرد عليه من واشنطن، بدأت تسألني عن عملي في باكستان قبل اعتقالي منذ وصلت إليها ١٩٨٥م إلى وقت اعتقالي ٢٠٠٢م، قلت لها: كل عملي طيلة وجودي في باكستان كان في مجال التعليم في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات، قالت: لماذا لم تكمل دراستك؟ قلت لها: لم يتيسر لي ذلك بسبب العائلة، وبسبب قلة الموارد المالية عندي، قالت: لورجعت إلى الأردن وأتيحت لك فرصة إكمال الدراسة، هل ستواصل دراستك، قلت: نعم بلا شك، ولقد انتابني إحساس جلي وراودني شعور قوي من خلال مدة وجودي في السجن.

وفي ثانياً جلسات التحقيق أن الأمريكان يحبون (يفضلون) شخص المتعلم، رجلاً كان أو امرأة، إنهم يميلون (يحبذون) إلى شخص المتفتح الذي يتصل بالدنيا ويعرف ما يدور فيها، وما جد عليها، كنت أشعر أنهم يرتاحون للرجل الذي أمضى حقبة من عمره في التعليم، حقبة المدرسة والجامعة وما بعد الجامعة؛ لأنهم ربطون كما شعرت وأحسست بين المتعلم أو المثقف وما يجري من أعمال قتل وتدمير، المتعلم تعليمًا وثقافة عصرية أو ثقافة حكومية حديثة، وليس المثقف ثقافة دينية، ثقافة المسجد والشيخ أو ثقافة حلقة والزاوية، أو حلقة الموجه الروحي والمربي الحركي.

ف

الثقافة والتربية

وعلى ذكر المربي الحرّكي، فإنهم يتذكرون مثلاً حركة طالبان التي كانت تحتضن تنظيم القاعدة وما يجري في داخل أفغانستان أو خارجها من وأعمال عدائية للغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وأعمال ظاهرة العداء والكراهية معنويًا ونفسيًا، وإن كان بعض أفراد حركة طالبان قد نال قسطاً من التعليم إلا أنه تعليم ديني (حسب رأيهم) علمهم التطرف والقتل، إنهم لم يحصلوا على التعليم العصري والثقافة الحديثة، إنهم متوقعون (حسب الرأي الأمريكي) في مساجدهم، أو زواياهم أو مع مشايخهم المتحجرين القدامى، لا يعرفون ما يجري في الدنيا، حتى اللغة الإنجليزية يعدون تعلمها وتعليمها إثماً وحراماً، يقولون: إنها بدعة ويقولون: إنها لغة الكفار.

لذلك فإنك تلمح مما تسمعه من الأمريكي أنهم لا يحبون التعليم الديني المحض، لا يحبون المآهد الدينية؛ لأنها تركز على

المواد الدينية والعربية كثيراً، حتى ولو كان في هذه المعاهد مواد
عصرية علمية، كالرياضيات والعلوم، حتى ولو كان فيها المواد
الاجتماعية المختلفة أو الثقافية الحديثة أو حتى لو كانت هذه المعاهد
تعلم اللغات المختلفة؛ لأنهم يعدّون هذا الكم من التعليم الديني كافياً
لتوجيه الطالب نحو الهدف الذي يريده بقوة، فهذا الكم من العلم
الشرعي قادر على تكوين شخصية الطالب بسرعة، شخصية متميزة
قوية يبرزها ويجعلها قادرة على معرفة الإسلام والكفر، قادرة على
تحديد معنى الولاء والبراء بدقة، بحيث يتحدّد اتجاه جميع الناس،
وتجهله يعيش في أرض الواقع ويتواضع مع غيره، يطبق وينفذ ويعمل
بهذه المبادئ التي تعلمها، إنك تلمح أنهم يفضلون المدارس العصرية؛
لأن الاهتمامات في هذه المدارس بمواد بعيدة عن حس المسلم، ليس
للدين فيها نصيب، الدين فيها ضعيف جداً إن وجد.

المدارس العصرية لا تهتم ببناء شخصية الطالب الذي يعتز
بدينه ووطنه أو لغته وتراثه، إنها تهتم بثوبه وشكله ولا تهتم بقلبه
وروحه تخرجه ذكياً ولا تجعله ذكياً تخرجه يحمل شهادة وثقافة ولا
يحمل تربية وعفة وطهارة هذا على العموم والغالب إلا ما قل وندر
وقليل ما هم.

هذه هي النتيجة التي وصل إليها الأمريكان عن المتعلمين وغير
المتعلمين، بوصفها تطبيقاً عملياً لما وصلوا إليه، وربما لمسوه وأدركوه

من مجموع المعتقلين الموجودين في معتقل جوانتنامو (كوبا) حيث إن عدداً لا بأس به ربما دخل الصفوف الأولى، ثم انقطع عن الدراسة لفقر أو لعدم اهتمام بالمدرسة، وبعضهم لم يذهب إلى مدارس الحكومة أصلاً، لكنه اكتفى بحلقات المساجد والمشايخ إنك تلمح وتحس أن الأمريكيان تنفرج أسارير وجوههم ويفرحون ليس فقط لأنك متعلم في المدارس الحكومية أو الجامعات الحكومية، بل لأنك تؤمن بهذا المبدأ أنت أولاً وتطبقه على أولادك.

فإن علموا أن أولادك وخاصة البنات في المدارس والجامعات يقول لك المحقق: هذا جيد، أين يدرسون؟ ماذا يدرسون؟ ويبدأ يسمعك كلمات الثناء والمدح والتشجيع، كما يفرحون أكثر إذا علموا أنك لست منغلقاً أو منطوياً على نفسك، بل وسائل الإعلام والاتصال المختلفة عندك، تلفزيون أو قنوات فضائية، كمبيوتر، إنترنت، وأنك تتابع ما يجري في الدنيا أو تتأثر بما يجد ويحدث في عالم الفن والثقافة، أو في عالم السياسة والزعامات، أو عالم المخترعات والصناعات.

Sp

حركة طالبان

إن حكومة طالبان كان لها إيجابيات وحسنات في أفغانستان، منها نشر الأمن في البلاد وتطبيق بعض الحدود الشرعية ومحاربة البدع، وإن كانت بطريقة شديدة، ربما نفرت أو كرهت بعض الناس في هذا النموذج من الحكم الذي تدعو إليه حركة طالبان.

لكن في الوقت نفسه كان لها أيضاً بعض السلبيات، فهي تسير في اتجاه واحد، إذ لا تقبل المفاوضات ولا المناقشات، ولا تقبل الالتقاء مع الآخرين، خذ مثلاً: الأصنام التي حطموها في أفغانستان وأثارت عليهم العالم، أثارت عليهم كثيراً من المسلمين، ومنهم مشايخ، وربما زارهم بعض مشايخ المسلمين لينصحوهم بالألا يقوموا بتدميرها الآن؛ لما له من الآثار السلبية على حكومتهم الجديدة الضعيفة الفقيرة، لكن لم يسمعوا كلام أحد وخطمت التماثيل والأصنام، مع أن أفغانستان قد فتحتها الصحابة وعاشوا

فيها وعاش فيها التابعون وتابعوا التابعين والصالحون، إلى يومنا هذا، وتركوا هذه الأصنام والتماثيل التي هي كالجبال، ولم يتعرضوا لها ولم يذكروها حتى في كتبهم ولا في تاريخهم.

إن سياسة الطالبان التي لا تستطيع مسابقة الأحداث ولا التعامل مع المشكلات بالطرق الدبلوماسية السلسة ولا تستطيع النزول عن التشدد في القرارات وتتعامل مع الأحداث من زاوية واحدة أثار حفيظة العالم عليهم، وجعلهم نموذجا لأنصاف المتعلمين الذين فشلوا في حكمهم وحكومتهم، وفشلوا في تقديم الرخاء وإقامة الاقتصاد القوي أو حتى المقبول للبلاد، وفشلوا في استقطاب الناس حولهم وفي سياسة وقيادة فئات كثيرة من الشعب بالطريقة الصحيحة، وفشلوا في الالتقاء مع قادة الجهاد القدامى وزعمائهم، أو الالتقاء مع أهل الرأي والمشورة في كافة أنحاء البلاد، مما جعل الكثير من الناس في حالة غليان وضغط واحتقان عليهم، حتى إذا كانت الظروف مواتية، انقضوا عليهم أو انقلبوا عليهم وعجلوا برحيلهم.

سألتني هذه المحققة: ما رأيك في حركة طالبان؟ قلت لها: إن حركة طالبان حركة أفغانية، طلاب علم كانوا يدرسون في المدارس الدينية في باكستان، فالحركة انطلقت من باكستان وتعتمد على باكستان في كثير من الأمور الاقتصادية والتوجيهية والسياسية

والعسكرية، قامت هذه الحركة واستولت على الحكم في كابل من الحكومة الأفغانية التي كانت موجودة، وحكومة طالبان كالحكومة التي سبقتها لا تحظى بتأييد جميع أو أغلب فئات الشعب الأفغاني، صحيح أن لها بعض الحسنات التي لم توجد عند الحكومات السابقة التي حكمت أفغانستان، منذ سقوط حكومة نجيب ١٩٩١-١٩٩٢ م.

ولكن حكومة الطالبان لم تستطع أن تتعاون مع جميع فئات الشعب الأفغاني، وخاصة قادة الأحزاب الجهادية السابقين الذين كان لهم دور كبير في طرد الاتحاد السوفيتي من أفغانستان، لقد رفضت حركة طالبان أن تتعاون مع أي معارض لها، فقد كان شعارها الذي ترفعه للمعارضين أو لقادة المعارضين: أنا الحاكم والحاكم أنا، أنا وحدي الذي يوجه البلاد، غيري ليس له في الحكم شيء، ضع سلاحك واستسلم، وسوف نبحث في شأنك، وربما نحاكمك على تاريخك الماضي، لقد قطعت حركة طالبان صلاتها وعلاقاتها بكل معارض وبكل من لا يوافقها، حتى ولو كان محقاً.

إن الكثيرين ممن انضم إلى حركة طالبان لا يعرف الكتابة ولا القراءة، أميون، إن نسبة الأمية في الشعب الأفغاني عالية جداً، وهي من النسب العالية في العالم، إن لم تكن أعلاها.

ربما يكون التحليل والتفسير الأمريكي للمثقف أو المتعلم، أن الثقافة والعلم يقودانه إلى حياة آمنة هادئة، التعليم ربما يقنعه بأن

حياة القتل والتدمير وسفك الدماء غير صحيحة، غير ناجحة، غير صالحة للتفاهم والالتقاء مع الآخرين، غير المتعلم ربما يكون عقله وتفكيره يسيران في اتجاه واحد، عقله لا يقبل التحليل ولا التفسير أو لا يقبل الموازنة بين المصالح والمفاسد فيما يقوم به، أمامه هدف وعنده قضية لا بد أن يصل إليها مهما كانت التكاليف، حتى لو كانت السلبات أكثر من الإيجابيات، حتى لو كانت الخسائر أكثر من الأرباح، مع أن معظم الشباب الذين نفذوا عملية ١١ سبتمبر، وربما كلهم (والله أعلم) متعلمون ومثقفون، وبعضهم في الجامعات الغربية أو العربية، وكثير من الناس الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة -ومنهم شباب- لا يمكن أن يفعلوا مثل هذه الأفعال، بل لا يؤيدون غيرهم للقيام بها ويستنكرون ويشجبون من ينفذها.

إن حركة طالبان حركة طلابية دينية، لكنها باكستانية التخطيط أفغانية التنفيذ، نشأت في المحضن الدافئ باكستان تحت سمع وبصر الأمريكان، والأمريكان يعرفون حركة طالبان كما يعرفون أبناءهم، سألتني هذه المحققة عن الجهاد والقتال في الإسلام، فقلت لها: إن الإسلام لا يحمل السيف على من يريد البقاء على دينه ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، اعتناق الإسلام لا يكون إلا عن قناعة، وليس بالضغط والإكراه، الذي لا يريد الإسلام لا يكون عدواً للمسلم، من ليس صديقي لا

يعني بالضرورة أن يكون عدوي، لكن من لم يسلم لا يقف حجر عثرة ولا حاجزاً أمام من يريد أن يسلم، المسلم لا يعدّ غير المسلم- يهودياً أو نصرانياً أو غيرهما- عدواً له إلا أن يقع منه تجاوز أو اعتداء.

إن بلاد المسلمين، بها كثير من النصارى واليهود لهم كنائسهم ودور عبادتهم يعيشون بلا مشكلات، يمارسون ديانتهم وطقوسهم الدينية بحرية تامة، لهم مناصب ووظائف في الدولة، في حياتهم الاقتصادية والصناعية والسياسية وغيرها كبقية الناس، كما أن الدول الأوروبية وأمريكا بها بعض المسلمين، يعدون في بعضها بعشرات الألوف، وبعضها بمئات الألوف، وبعضها بالملايين، صحيح أن حقوقهم في هذه البلاد ليست حقوق أصحابها أهل البلاد الأصليين ١٠٠٪ لكن لهم حقوق دينية واقتصادية، تجعلهم يعيشون في البلاد حياة جيدة.

قالت: ما رأيك في الأحداث الأخيرة ضد الأهداف الأمريكية التي تعرضت للضرب، مثل المدمرة كول في بحر العرب، قرب اليمن، ضرب السفارة الأمريكية في كل من تنزانيا وكينيا- دار السلام ونيروبي- أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م في نيويورك وواشنطن؟

قلت لها: إنكم تحكمون على الإسلام وأهله من خلال اجتهاد أفراد من المسلمين، يقومون بعمل عسكري ما ضد أهداف أمريكية

لكم أو لغيركم، وما جرى في ١١ سبتمبر لم يلقَ موافقة وتأيداً من جميع الشعوب الإسلامية ومن جميع علمائها وشيوخها، لقد عارض هذه الأحداث كثير من المسلمين ومن علمائهم، لكن أنتم تسمعون للمؤيدين لهذه الأحداث، ولا تسمعون للمعارضين لها؛ لأن هذا يروق لكم ويتناسب مع سياستكم التي تنتهجونها، وتبرر لكم وتشجعكم على الكثير من مخططاتكم وأهدافكم عند هذه الشعوب، وتشجعكم على الاستمرار فيها، قالت: أليس من حق الولايات المتحدة الأمريكية أن يكون عندها جيش؛ حتى تدافع عن نفسها بهذا الجيش؟

قلت: الحق لها ولغيرها أيضاً أن يكون عنده جيش يدافع عن نفسه، لكن الاعتداء على غيركم لا يوافق عليه أحد، واستطردت هنا لأقول: وكما سمعت من بعض السجناء أن أحد المحققين سأل سجيناً عن أحداث نيويورك وواشنطن وأحضر له صوراً لمبنى التجارة العالمي بشقيه، صوراً مفزعة، يظهر فيها التدمير للبرجين والفزع والرعب والهلع الذي يصيب الناس، والخسارة البشرية والمادية التي لحقت بالبلاد بسبب هذا التدمير، قال له: من المسؤول عن هذا كله؟ أليس تنظيم القاعدة وحركة طالبان التي كانت تحتضن وتأوي هذا التنظيم الذي نفذ هذا الهجوم؟

فأجابه السجين: كل ما تقوله صحيح، أنا أوافقك الرأي على كل ما تقوله في تنظيم القاعدة وحركة طالبان، لكن لماذا لا تسأل

نفسك وأنت محقق تجمع المعلومات والأخبار من المعتقلين، وتريد أن تصل إلى الصواب والحقيقة أو لماذا لا تسأل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها سؤالاً مهماً ودقيقاً؟ لماذا وقعت هذه الأحداث المدمرة لها ولم تقع لغيرها من الدول الكبرى كبريطانيا وفرنسا والصين، أو لأي دولة أخرى؟

إن المثل العربي يقول وأظن أن هذا المثل في بلادكم: (من كان بيته من زجاج، فلا يقذف الناس بالحجارة) أظن أن كثيراً من الشعب الأمريكي أو معظمه لا يحب الإرهاب (كما تسمونه) أو قتل الأبرياء، ولا يحب تدمير المباني، ولا نسف العمارات والجسور ولا مهاجمة السفارات، ولا يرغب في مهاجمة السفن ولا إسقاط الطائرات، ولا يحب أعمال العنف ولا إراقة الدماء؛ لذلك يعارض الحرب وترتفع أصواتهم التي تطالب بسحب الجيش الأمريكي من الخارج ورجوعه إلى بلده.

أصوات من أناس عاديين من الشعب، وأصوات من جمعيات حكومية وغير حكومية، وأصوات من وزراء ومسؤولين كما سمعنا من الكونجرس أو من مجلس الشيوخ أو في غير مجلس الشيوخ، أنتم تتشرونها، ووسائل الاعلام تتكلم عنها، لكنها أصوات لا يلتفت إليها، يرمى بها في سلة المهملات أو يضرب بها عرض الحائط، وتلتفتون إلى الأصوات التي تطالب بالتوسع خارج أمريكا والمحافظة

على الاقتصاد القوي والتحكم في القرار العالمي وإخضاع الشعوب
الفقيرة والمغلوبة على أمرها، وإيجاد أرض تعطي المواد الخام
لمصانعكم وتكون سوقاً لمنتجاتكم، أليس كل ما أقوله لك صحيحاً
أيها المحقق؟

أين الضغط الذي قام به الشعب الأمريكي أو المسؤولون
الأمريكيون، أو الجمعيات والهيئات الأمريكية التي ضغطت بكل ما
تستطيعه من قوة، حتى أجبرت حكومة بلدها على سحب جيوشها
من فيتنام؟ أما كان ذاك الضغط وذاك القرار قراراً صائباً وعملاً
أيده كل الشعب الأمريكي أو معظمه؛ لأنه كان في مصلحة الشعب
الأمريكي وفائدته؟

ولقد تناقلت الأخبار -وكنت ممن سمع هذا الخبر- خبراً يقول:
إن أستاذاً يعمل في جامعة أمريكية (أظنها جامعة كولورادو) قال:
إن ما جرى للناس في برج التجارة في نيويورك، من هلاك ودمار
إنما سببه سياسة بلادهم، أو بسبب سياسة حكومتهم الخارجية،
فقامت عليه الدنيا في أمريكا تطالب بفصله من الجامعة، وتوالت
عليه التليفونات من جميع أمريكا تشجب هذا الأستاذ وتنتقده
وتهاجمه؛ لأن ما يقوله فيه تشجيع للإرهابيين للعمل ضد مصالح
الولايات المتحدة الأمريكية في الداخل والخارج، وقام بعض الناس
في أمريكا يحللون كلام هذا الأستاذ بين مؤيد ومعارض.

ومما سمعته من بعض هؤلاء أن عمليات ١١ سبتمبر سوف تكون
بداية النهاية للديمقراطية في أمريكا؛ لأنها (أي الأحداث) ستكتم
الأفواه وتسكت الألسنة التي ستتقد وتعارض الحكومة الأمريكية،
وتبين أخطاءها السياسية والعسكرية وهذا التكميم والكبت سيلحق
الإضرار بالوطن الأمريكي وسيلحق الضرر بالبلاد والعباد.

٥٤

الانتحار

إن عملية الانتحار عن طريق الشنق (تعليق السجين نفسه بالشيت) والشيت قطعة قماش كبيرة وطويلة يثبتها في أحد جدران الغرفة المشبك، ويضع الشيت في عنقه، لقد شاهدتها مرات كثيرة، وهذا التعليق إما أن يكون احتجاجاً على شيء يحدث في السجن لا يريده السجناء، كما حدث عندما قام أحد المحققين وداس على القرآن الكريم، أو عندما يتعرض السجين إلى ضغط وتعب في التحقيق يجعله في حالة نفسية متوترة، وهذا التعليق قد يقوم به السجين هزلاً، إذ يعلق نفسه، فيعلو صراخ المساجين وصياحهم، يطلبون الحراس ليفتحوا باب الزنزانة على السجين.

يقوم الحراس بمنعه من إتمام انتحاره، وقد شهدت بعض السجناء المصابين بحالة نفسية متدنية، تجعلهم لا يسكنون في غرفة إلا ويكسرون ما يستطيعون تكسيره فيها، المفصلة، حنفية

الماء، وقد حاول بعضهم الانتحار مرتين في عنبر واحد، عملية الانتحار الأولى وقعت عندما كان يسكن في غرفة رقم (٢٥)، ليكون دائماً تحت مراقبة الحراس، لكن الحراس لا يمكن أن يكونوا طيلة الوقت (٢٤) ساعة يراقبون كل السجناء في العنبر، إنهم يتحركون وينتقلون، يقدمون الخدمات للسجناء أو يخرجونهم للمشى والرياضة والاغتسال، حاول الانتحار، في هذه الغرفة لكن جيرانه شاهدوه وهو يحاول الانتحار فصرخوا على الحراس الذين هرعوا ودخلوا الغرفة عليه ومنعوه من إتمام عملية الانتحار، ونقلوه بعد ذلك إلى غرفة رقم (١) الملتصقة بغرفة الحراس، لكن الحراس انشغلوا عنه بخدمات تقدم في العنبر.

وفي غيبة عيون الحراس عنه علق الشيت وحاول الانتحار، فصرخ جيرانه على الحراس الذين جاؤوا مسرعين ودخلوا الغرفة عليه وخلصوه من التعليق، إن الحراس يصيبهم الذعر والخوف الشديد عندما تكون في العنبر الذي يحرسونه عملية تعليق وشنق؛ لذلك يحاولون ألا تكون هناك أي عملية من هذا النوع عندهم؛ لأنه لو حدث أن تمت عملية الانتحار والشنق في العنبر الذي يحرسونه، فإن هذا يعني وقوعهم تحت المسؤولية والحساب والعقاب وأنهم قصرُوا في حراسة المساجين ومراقبتهم.

حدث مرة أن أحد السجناء كان يقيم في السجن الانفرادي، فحاول الانتحار، ووصل إلى حافة الموت، لكن الحراس أنقذوه في

آخر الأمر، سمعت ممن يعرفه، أن هذا السجين كان في حالة نفسية سيئة، عملية الشنق أو الانتحار لم تتم، لكن كان لها مضاعفات عليه، حيث أصيب عنقه بكسر وساءت صحته، نقلوه إلى المستشفى وبعد مدة تحسنت حالته الصحية والنفسية.

هناك نوع آخر من الانتحار، لكن لا ندري هل يقوم به السجين جاداً أم هازلاً، وهل سببه الضغط النفسي وجلسات التحقيق، أم سببه الاحتجاج على أعمال يقوم بها المحققون أو الحراس، أعمال يتحرشون أو يتحدون بها مشاعر السجناء، مثل تفتيش القرآن الكريم في غرف السجناء في أثناء خروجهم من الغرف للتحقيق أو الرياضة والاعتسال، أو إلقاء أغراض السجناء على الأرض غير النظيفة بطريقة استفزازية، لكن الانتحار لا بد أن يكون له سبب، وهذا النوع من الانتحار هو قطع الشرايين والأوردة الدموية لليدين أو للرجلين أو للبطن... أو لأي مكان في الجسم، لكن من أين يحصل السجناء على الآلة الحادة التي يقطعون بها شرايينهم؟

إن السجين يحصل كل أسبوع على آلة حلاقة، وعندما يدخل حمام الاعتسال، تكون معه آلة الحلاقة التي فيها شفرة (موسى صفير)، والحمام له باب مشبك؛ حتى يبقى السجين تحت مراقبة الحارس، لكن السجين قد يضع منشفة أو ملابس على شبك الباب؛ ليستر نفسه عند الاعتسال، مع أنه يلبس لباساً رياضياً في أثناء

الاغتسال، وإذا تسلم السجين آله الحلاقة من الحارس كسر القطعة البلاستيكية التي تغطيها، وأخرج الشفرة الصغيرة التي بداخلها وقام بتقطيع شرايين يديه أو رجليه.

وقد حدث هذا أكثر من مرة، والذي يقوم بهذا العمل قد يكون في كامل عقله، وقد يكون مصاباً بشيء، لكن عندما تحدث مثل هذه العملية تقوم إدارة السجن بمنع آلات الحلاقة عن جميع المساجين مدة طويلة، وذلك عقاب للجميع، وحتى يضغط جميع السجناء على من يقومون بهذا العمل، وحتى لا يتكرر هذا الفعل مرة أخرى، وحتى يعرف السجين الذي يقوم بهذا الأمر.

أن هذا الانتحار قد سبب التعب والحرمان ليس له وحده فقط، بل لجميع زملائه في السجن، فلا يقوم بتكرار هذا الأمر مرة أخرى، ربما يكون العقاب منع آلات الحلاقة شهراً أو شهوراً، حتى تطول الشعور التي يجب إزالتها وحلقها عند السجناء.

لكن أذكر مرة أن المنع استمر شهوراً على الجميع مع أن الجميع، لا ذنب لهم فيما حدث، مع العلم أن آلات الحلاقة هذه لا توجد في عنابر الدرجتين الثالثة والرابعة أو العنابر الانفرادية؛ لأن المعاقبين لا يسمح لهم باستعمال هذه الآلات.

لقد كان معنا في بجرام بعد رجوعنا من كوبا وقبل إطلاق

سراحنا بأربعة أشهر معتقل إيراني الجنسية، كانت حالته النفسية متدنية، تصرفاته غير طبيعية أحياناً، وكثير التفكير شارد الذهن، حاول الانتحار مرة. فلم يجد شيئاً ينتحر به إلا أقراص الدواء التي كانت معه، كان معه كمية كبيرة من الأقراص المختلفة الأشكال والألوان، ابتلع منها ما يقرب من خمسين حبة، وكان يريد أن يبتلع أكثر، لولا أن هرع إليه الحراس وهرعنا نحن مع الحراس، حتى استطعنا بالقوة أن نمنعه من إكمال ابتلاع بقية الأقراص، ولو قدر له أن يبتلعها جميعاً لفقد حياته، اتصل الحراس بالطبيب، وتم نقله إلى مستشفى في القاعدة، وتم علاجه هناك.

٥٥

من مخالفات المعتقلين

إن كثيراً من السجناء يقومون بعمل مخالفات لأبسط الأسباب ولأقل الأشياء، ثم يريد أن يحمل هذه المخالفة لجميع أصحابه، إنه يريد من أصحابه أو من السجناء، أن يقفوا معه لأمر بسيط، ربما كان هذا السجين نفسه هو السبب في هذه المخالفة. أنت سجين وعليك تهم، أو عندك قضايا في التحقيق، ودائماً تصنع المخالفات وترفض الالتزام بقوانين السجن، مثلاً أحد السجناء سبب مشكلة لجميع سكان العنبر الذي يسكنه، العنبر يتسع لثمان وأربعين (٤٨) سجيناً، فقام الحارس ووزع الطعام على كل السجناء وقت الطعام (٣٠) دقيقة، مع أن كثيراً من الحراس ربما أعطاك أكثر من ثلاثين دقيقة.

لما انتهى وقت الطعام المحدد بدأ الحارس بجمع أطباق الطعام والكاسات الفارغة وبقايا الفاكهة، لكن بعض السجناء لم ينته من طعامه ورفض تسليم بقايا الطعام، يبدو أن السجين كان مشغولاً في

أثناء تناول الطعام؛ أو تأخر ولم يأكل منذ بداية الوقت، أو لسبب آخر، طلب الحارس من السجين أن يسلم بقايا الطعام؛ لأن الوقت قد انتهى، رفض السجين تسليم الطبق، لكن الحارس لا يستطيع أبداً أن يترك بقايا الطعام عند السجين؛ لأن هذا يعني تسجيل عقوبة شديدة عليه من مسؤوليه، بعد مشادة كلامية اضطر الحارس بمساعدة من معه من الحراس، أن يفتح غرفة السجين ويأخذ الصحن عنوة من السجين النحيل القصير الصغير العمر.

هذه المشادة تعني أن تحدث بين السجين والحراس، مدافعة ومشادة بالأيدي، لكن السجناء في داخل الغرف لا يملكون إلا الصراخ، أو البصق أو رش الماء على الحراس، استعمل السجناء كل ما في أيديهم؛ احتجاجاً على ما جرى لصاحبهم من قبل الحراس، خرج الحراس من غرفة السجين بعد أن أخذوا طبق الطعام، إن القانون في السجن لا يسمح للحارس أن يقتحم أو يدخل غرفة السجين مهما كان السبب، فالذي يستطيع أن يدخل غرفة السجن فقط هم قوات مكافحة الشغب؛ لكن بعد إذن المسؤول الكبير، فكان فعل الحراس هؤلاء فيه مخالفة لقانون السجن، مما عرض بعض هؤلاء الحراس للعقوبة، كما سمعنا، لكن هذا الأمر وما فعله هذا السجين أيضاً من رفض تسليم بقايا الطعام للحراس سبب مشكلات وعقوبات لزملائه في العنبر.

قصة أخرى تبين كيف أن السجين ربما يقوم بفعل يتعب بسببه أصحابه، ويجرّ عليهم العقوبة، وذلك أن الورقة والقلم داخل عنابر سجن الدرجتين الثالثة والرابعة ممنوعان دائماً إلا عند كتابة الرسائل فقط، فهذا هو أحد السجناء في طرف العنبر يريد أن يكتب رسالة إلى صاحبه في طرف العنبر الآخر، يبت له فيها همومه وأحزانه، فهو لا يستطيع أن يتكلم أو يرفع صوته لصاحبه؛ حتى لا يستمع الناس إلى كلامه، إذا فما أحسن طريقة لكتابة رسالة إذا استطاع أن يحصل على قلم وورقة؟ وإذا تيسر تبقى مشكلة من يحمل الرسالة إلى صاحبه في طرف العنبر الآخر، فهو لا يستطيع أن يسلمها للحارس لتوصيلها إلى صاحبها، أي أنه لا بد أن تمر الرسالة عبر جميع الغرف، من شباك الغرف من سجين إلى سجين يستلمها السجين بيده ويسلمها لمن بعده وهكذا.

لكن وقع ما لم يكن في الحساب في منتصف الطريق، إذ رأى الحارس شيئاً ملفوفاً يتحرك من سجين إلى آخر، فقام الحارس وطلب من السجين الذي وصلت عنده الورقة والقلم أن يسلمه الرسالة التي وصلت إليه من جاره، طبعاً رفض السجين، وسلمها لجاره والجار الآخر لمن بعده؛ حتى يشوش على الحارس، وحتى لا يستطيع مراقبة الوضع، لكن الحارس تابع انتقال الورقة والقلم، وتوقفت الورقة والقلم عند أحد الغرف، ولم يستطع السجين أن

يتصرف في الورقة والقلم، مما اضطره إلى أن يلقي الرسالة في
دورة المياه، ويصب فوقها الماء، فذهبت وتلاشت، وقام بتسليم
القلم إلى الحارس.

النتيجة أن الحارس -وكانت امرأة- كتبت تقريراً عن القصة،
جاء الحراس وفتشوا جميع الغرف التي مرَّ فيها القلم والورقة
وصادروا ما فيها، من المنوعات التي كانت فيها، كان فيها
ممنوعات مخفية، كان عندهم طعام وفاكهة وكاسات بلاستيكية
ومعجون وفرش أسنان وحاجات أخرى ضرورية لكل سجين ولكن
هذه المنوعات لا يسمح بتخزينها، ويمنع أن تكون مع السجنين،
فصادروها ثم أنزلوا عقوبة على أصحاب هذه الغرف.

انظر كيف سبَّب هذا السجن التعب والعقوبات له، ولأصحابه
دون أن يكون لهم أي ذنب، وهذه قصة واحدة من كثير من المشكلات
التي تحدث في السجن، ربما كان السجن فيها هو السبب، لكن يجب
ألا ننسى أن كثيراً من المشكلات التي تحدث في السجن ربما كان
الحراس هم أنفسهم السبب فيها.

Sp

من مشكلات الحراس

وهناك قصة أخرى شاهدتها بعيني حدثت لأحد السجناء في عنبري، إنه جار لي بيني وبينه بضعة أمتار، إنه في الغرفة التي تجاور غرفتي، جاء الحارس، وكانت امرأة فقامت بتفتيش غرفتنا، لما خرجنا إلى المشي والاختسال، وعندما رجعنا بعد الاختسال والرياضة إلى غرفتنا، وجدنا أن هذه المرأة قد قامت بتفتيش كل شيء من أغراضنا، كان التفتيش بطريقة استفزازية، إذ بعض الأغراض أنزلته على الأرض، فقد كانت الأغراض على السرير المرتفع عن الأرض، لم ينته الأمر إلى هنا.

فقد أنزلت عليه عقوبة، تمثلت في أن سحبوا منه معظم الأغراض مدة ثلاثة أيام، وكتبت هذه المرأة في الكمبيوتر أن سبب العقوبة هو أن صاحب هذه الغرفة شتمها وقال لها: أنت سيئة وقبيحة (You are bad and agly) عادة العقوبة لا تنزل ولا تطبق

عليك وقت (الوردية) أو النوبة التي كتبت فيها عليك العقوبة، إنما تأتي العقوبة في وقت النوبة و(الوردية) القادمة، (فالوردية) الأولى مثلاً تكتب عليك العقوبة، و(الوردية) القادمة تطبقها عليك، جاء الحارس وقال للسجين: عليك عقوبة، أعطني أغراضك، فهي ممنوع استعمالها مدة ثلاثة أيام، قال له السجين: لماذا؟ قال له: أنت شتمت الحارس في (الوردية) السابقة.

قال السجين: أنا لم أقل شيئاً لها، أنا لم أتكلم معها أبداً، أنا لست خائفاً من العقوبة، لو قلت لها شيئاً: (أنت سيئة وقييحة) لما أنكرت ذلك، لكن الحارس لم يلتفت إلى اعتراض صاحب الغرفة، وسحب منه الأغراض مدة ثلاثة أيام، ومثل هذه القصة قصص أخرى كثيرة، وكما يقول المثل: (يا ما في السجن مظلوم) أي كثير من السجناء سجنوا ظلماً. إدارة السجن تقول: يجب تطبيق القانون، حتى عند الأمن من وقوع أي مخالفة أو أي مشكلة، ربما يكون المعتقل مريضاً جداً، لا يستطيع المشي أو القيام، لكن لا بد من تقييده بالسلاسل، مثله.

ف

نطبيق القانون

المعتقل الصحيح مثل المريض، ربما تقول: إنه قد يتظاهر بالمرض والضعف، وإذا أخذوه إلى التحقيق أو إلى الطبيب من دون تقييد، فربما يقوم بعمل مشكلة لهم، أو يقوم بضرب الحارس مثلاً، لكن المعتقل الذي ساقه مبتورة، واستبدلت بها ساق اصطناعية، ولا يستطيع المشي البطيء إلا بعكازتين، كيف سيسرع في المشي، أو يهرب، أو يقوم بضرب الحارس مثلاً.

إن القانون شيء مقدس عندهم، ومقدم على كل شيء، إنك تشاهد السجناء يلقون (يقذفون) الماء والشاي والحليب، وربما البول والغائط، أو ييصقون على الجنود، أو يشتمونهم بأبشع الشتائم، سواء أكانوا جنوداً أم مجندات، لكن الجندي لا يستطيع أن يرد على السجناء الرد نفسه، إن أقصى ما يفعله الجندي أو المجندة هو تسجيل رقم الغرفة التي قام صاحبها بهذا العمل، أو

المخالفة، وتسجيل نوع المخالفة، إنه يكتب تقريراً عن الحادث، ثم يرفعه إلى من هو فوقه، لم أرَ حادثة واحدة يرد فيها الجندي على السجين، حتى الشتم والسب، إن الجندي يرى ويسمع ما يقوله أو يفعله السجين معه، ثم يكتب ما حدث للمسؤول؛ ليقرر العقوبة.

لا يوجد شيء يضيع أو يفقد وينتهي هكذا، لا بد من العد والحساب والضبط لكل ممتلكات السجين أو أغراضه، حتى الملعقة الصغيرة أو قلم الحبر إذا انتهى لا تتلفه أو تلقيه، لا بد من إرجاعه، حتى بعد انتهاء حبره، كل شيء محسوب ومعدود، التالف أو الذي انتهى مفعوله أو عمله، لا بد من تسليمه وإرجاعه، ربما يفقد قلم حبر واحد في العنبر، وهو من أبسط الأقلام وأرخصها التي رأيتها في حياتي، ولا يستعمله أفقر عباد الله، إذا فقد هذا القلم تقوم إدارة السجن بإجراء تفتيش لجميع غرف العنبر، ولجميع المعتقلين، يقيدون كل سجين كما هو معروف بالترتيب، ثم يخرجونه من غرفته، يفتشون جسمه ولباسه، شعر رأسه وشعر لحيته، يفتشون حذاءه، ثم يقومون بتفتيش غرفته وجميع أغراضه بالدقة؛ بحثاً عن قلم؛ لأن القلم أداة حادة يمكن أن يستعملها السجين لضرب الجندي أو جرحه أو إيذائه.

لقد حدث في العنبر الذي كنت فيه أن ملعقة واحدة فقدت من الجنود، ولا أدري أكان هذا الفقدان حقيقة أم تمثيلاً؛ لأن بعض

الجنود - وهذا يحدث في السجن - قد يتظاهر بفقدان شيء سلمه للسجين، ويتهم السجين بعد ذلك أنه أخفاه؛ تحرشاً أو لاصطناع مشكلة لإيقاع عقوبة على السجين من دون ذنب، مع أن كثيراً من الحراس قد يصدقك لو قلت له أن الوجبة من دون ملعقة، ويحضر لك ملعقة أخرى.

والقصة كما يأتي: إن كل وجبة عسكرية أو غير عسكرية يسلمها الحراس للسجين فيها ملعقة، لكن ملعقة الوجبة العسكرية أطول وأقوى من غيرها من الملاعق، عندما تسلم السجين الوجبة فتحها وتفقدوها، فلم يجد فيها الملعقة، فقال للحارس: لو سمحت أيها الحارس، إن الوجبة من دون ملعقة، قال له الحارس: أعطني الوجبة فتشها الحارس فلم يجد فيها الملعقة؟ قال الحارس للسجين: أنت أخفيت الملعقة، قال له السجين: لم يكن في الوجبة ملعقة حتى أخفيها، لقد تسلمت منك الوجبة الآن قبل ثوانٍ، متى وكيف سأخفي الملعقة.

احتدم النقاش بينهما، الحارس يريد إثبات أن كيس الوجبة فيه ملعقة والسجين يريد أن ينفي ذلك، لم يكثرث الحارس بكلام السجين، كان الوقت سحراً يتناول فيه السجناء الذين سيصومون غداً طعام السحور، ليست المشكلة أن تأكل بملعقة أو بغير ملعقة، سهل أن تأكل من دون ملعقة، لكن المشكلة أن عدم وجود ملعقة يعني أنك تنوي أن تتخذها أداة لتهديد الجنود أو ضربهم بها، السجين

المتهم بإخفاء الملعقة طيب ومسكين، لا يحب المشكلات، ولا يمكن أن يخفي الملعقة لو كانت موجودة، أكل السجين وجبته من دون ملعقة.

وبعد ثلاثين دقيقة عند تسليم بقايا الطعام تسلّم الحارس الأكياس الفارغة (بقايا الطعام) من جميع السجناء، وعادة الحارس يفتش عن الملعقة قبل أي شيء، وقد تسلّم الحارس بقايا الطعام من جميع السجناء بالتمام، لكن هذا السجين لا توجد ملعقة في بقايا الطعام التي أرجعها، تسلّم منه بقايا الطعام، وبعد ذلك قام الحراس بتفتيش الغرف الموجودة عن يمين صاحب المشكلة وشماله، تفتيشاً جسمانياً لجميع سكان هذه الغرف، وتفتيش الغرف والأغراض، سواء الغرف التي تسلّم أصحابها الوجبات أم لم يتسلموا؛ لأن بعض الغرف التي لا يريد أصحابها الصيام لم يتسلموا وجبة سحور.

حدث معي ومع جاري ذات مرة مثل هذه القصة، قام الحارس وسلم لنا وجبة الفطور من دون ملعقة.

لم أنتبه أن طبق الطعام من دون ملعقة، إلا بعد أن تجاوز الحارس غرفتي بضعة أمتار، قلت: أيها الحارس، لا توجد ملعقة على طبق الطعام، انتبه جاري للأمر، وقال: أنا أيضاً لا يوجد عندي ملعقة، قال الحارس: أعطيتكما ملعقتين، قلت: لا، سلمتني الطبق من دون ملعقة، وأنا صادق ولو أردت أن أكذب عليك، فجاري

أيضاً ليس عنده ملعقة، لم يكثرث بكلامنا، قلت له: أنا لم أعمل أي مخالفة مع أي حارس طيلة وجودي في السجن، إن ملفي في السجن أبيض كالثلج، ارجع إليه إن شئت وجاري رجل طيب، مسكين، لا يحب المشكلات، ليست المشكلة في الأكل بالملعقة أو من دونها، الطعام أصلاً لا يحتاج إلى ملعقة إنه قطعتان (توست) من الخبز الصغير، وقليل من البيض المقلي.

لكن فقدان الملعقة يسبب لك مشكلة، قال الحارس: سأقوم بتفتيشكما، قلت: لا بأس قام الحارس بتقييدنا والتفتيش الجسماني الدقيق لنا، وللغرفة وللأغراض، لم يجد عندنا شيئاً، لكنه سبب لنا مشكلة، ألقى الأغراض على الأرض وعلى الماء، وألقى بعضها على النجاسة على فتحة الحمام وانصرف.

هناك نوع من العقاب تقوم به إدارة السجن للمسجون، العقاب ليس ضرباً ولا سحباً للأغراض، ولا جلوساً في غرف التحقيق ساعات طويلة تحت المكيف، أو فتح سماعات مسجل كبير على السجين في غرفة التحقيق أو غير ذلك، إنه عقاب من نوع آخر، وهو نقل السجين إلى عنبر دلتا، وما أدراك ما عنبر دلتا!

إنه عنبر المرضى جسدياً أو نفسياً، أصحاب الحالات الطارئة، كل من يحاول الانتحار عن طريق المشنقة أو عن طريق جرح نفسه أو

تقطع شرايين جسمه وأوردته بآلة الحلاقة، فهذا العنبر عنبر غير طبيعي، إنه مكان لعقاب أصحاب الحالات الشاذة غير الطبيعية، وهو أيضاً يستعمل لعقاب الأصحاء؛ ليعيشوا بين المرضى، لأن الإنسان الطبيعي إذا دخل هذا العنبر فسيتعب نفسياً؛ لأنه يعيش بين أناس غير عاديين، لذلك من يدخله لا بد أن يعيش فيه شهوراً دون أن يعمل أي مخالفة أو مشكلة، وإذا فعل أي مخالفة تضاف له مدة أخرى في العنبر فوق المدة الأصلية المقررة له، بحيث تتناسب هذه المدة مع المخالفة التي ارتكبها.

وكل من يعيش في هذا العنبر يتمنى أن يخرج منه بسرعة وينتظر اليوم الذي سيغادر فيه هذا العنبر، لذلك عليه أن يلتزم بقوانين السجن ولوائحه؛ حتى يخرج من هذا العنبر إلى عنبر آخر.

بعد إطلاق سراحنا من (جوانتنامو) ووصولنا إلى قاعدة بجرام في أفغانستان تظهر هناك ملاحظات ومشاهدات.

٥٢

القانون

إنك تقف حائراً أمام التزام جميع الجنود والضباط بالقانون والنظام، لا يستطيع أحد منهم أن يخالف القانون، إن القانون بالنسبة لهم مقدس كالإله أو الدين بالنسبة لنا، إن عند المسلمين شيئاً يسمى هذا حلال وهذا حرام، هذا يجوز وهذا لا يجوز، هذا فيه أجر وثواب وهذا فيه إثم وعقوبة، هذا يؤدي إلى الجنة وهذا يؤدي إلى النار، وهكذا... عندهم، لا يوجد مثل هذه الأحكام والتقسيمات إن القانون هو كل شيء عندهم، إن كان القانون يمنع، فهو لا يستطيع أن يفعله لا بد أن يلتزم بالقانون؛ حتى لا يقع تحت طائلة العقاب؛ حتى لا تصل إليه يد القانون، لقد كنا في هذه القاعدة بعد رجوعنا من (جوانتنامو) نعيش مختلطين تقريباً مع الجنود، يعيش معنا في الغرفة منهم حارسان على مدار الأربع والعشرين ساعة وربما ثلاثة، نذهب إلى حمام الاغتسال، يكون واحد منهم معنا، نذهب إلى مكان قضاء الحاجة، يذهب واحد منهم معنا.

إن قسماً منهم كان يلعب معنا الورق، وكان بعضهم يجلس ويأكل معنا طعامنا، أما الحديث والنقاش بيننا وبينهم في موضوعات مختلفة فكثير جداً، لا يمرُّ يوم إلا ويجري فيه نقاش بيننا وبينهم، إن قسماً كبيراً منهم رجالاً ونساءً يدخلون السجائر، لكن لا يستطيع أحد منهم أن يدخل في داخل الغرفة التي نعيش فيها، إن القانون يمنع أن يدخل داخل الغرفة، كان يذهب خارج الغرفة ويدخن سيجارته، سواء كان الجو حاراً أم بارداً، لم أشاهد واحداً منهم ولو مرة واحدة يدخل داخل الغرفة، حتى إن مكان التدخين في خارج الغرفة له مكان خاص.

ويستحيل أن تجد جندياً أو ضابطاً يدخل في غير هذا المكان، إن الأرض التي يدخل عليها المدخنون ليست إسمنتية أو ذات رخام أو.... إنها حصباء حجارة صغيرة، لكن أعقاب السجائر لها مكان خاص، سلة حديدية صغيرة توضع فيها أعقاب السجائر، لا يمكن أن ترى شيئاً من أعقاب السجائر على الأرض، الأوراق أو أي بقايا أخرى تعجز أن تجد شيئاً من هذه البقايا في الساحة، إن هذه البقايا لها مكان خاص، وسلات مهملات خاصة.

حتى في دخول المبنى الذي يعملون فيه، وكان يواجه غرفتنا مثلاً يمنع دخول هذا المبنى بالسلاح لجميع من في القاعدة، الجندي أو من فوقه، تجد الجندي أو الضابط، الجميع ينظفون أسلحتهم من

الرصاص أولاً قبل تسليمه لمسؤول المخزن أو المستودع، ثم يدخل المبنى، إنك تعجز أن ترى واحداً منهم يسلم سلاحه للمخزن قبل تنظيفه والتأكد من خلوه من الرصاص، أو يتسلمه من المخزن بعد خروجه من المبنى ويحمله قبل تنظيفه وخلوه من الرصاص، لقد كان بعض الضباط يقومون بزيارات عمل إلى غرفتنا، فتظن لأنهم ضباط ربما يتجاوزون بعض القوانين، لكن عندما تشاهدهم في الساحة لا بد أن ينفذوا ويطبقوا القوانين كغيرهم من الجنود، سواء بسواء.

وقت طابور الصباح والمساء يندر أن يتخلف أحد عن حضور الطابور في موعده، الحضور إلى الطابور قبل موعده بربع ساعة مثلاً، بداية (شفت) أو (وردية) الحراسة طيلة مدة وجودنا في معتقل (جوانتنامو) أو وجودنا في (بجرام) لا يمكن لحارس أن يترك حراسته قبل أن يسلمها لغيره، لمن بعده، حتى لو تأخر الحارس الذي بعده، وهكذا.

ف

ملاحظة

في الحقيقة إن بعض الجنود لا يحب عمل المشكلات، يريد أداء عمله ثم ينصرف، تشعر أن لديه الرغبة في مساعدتك، وربما يتألم لحالك ولقصتك وقضية اعتقالك، إن السجين في ذهنه ومخيلته أمر مرعب ومخيف، ووحش، إن السجين في ذهن هذا الحارس إرهابي (كما يسمونه) قتال يحب سفك الدماء، يعتدي على الآخرين، لا يحب الآخرين، عنده بعض صفات الجن والشیاطین، والأرواح الشريرة التي يمكنها أن تخترق شبك السجن الحديدي، وتطير وتنتقل من مكان إلى آخر، هذا ما يقوله المسؤولون في إدارة السجن عن السجين لهذا الجندي الجديد الذي جاء يقضي خدمة في معتقل (جوانتنامو).

إن بعض الجنود ربما يبوح لك بكثير من الكلام، وكثير من التعليمات التي يتلقونها من مسؤوليهم في طابور الصباح، قبل أن

يتم توزيعهم على عنابر السجن لأداء مهماتهم، إن المجموعات التي تتناوب على حراسة السجناء وخدمتهم تتغير كل ستة أشهر تقريباً، هذا ما كنا نلاحظه نحن في المجموعات الذاهبة والقادمة إلى هذا المعتقل، وهذا ما كان يقوله بعض الجنود، إن كثيراً من المجموعات لا تحب أن تخدم في هذه الجزيرة (كوبا) ولا في هذا المعتقل (جوانتنامو) إنهم لا يحبون رؤية هؤلاء السجناء، الإرهابيين، إنهم يحسبون ويعدون مدة خدمتهم في هذه الجزيرة، ليس بالشهور أو الأسابيع، إنهم يعدونها بالأيام ولا أبالغ إن قلت: إنهم يعدونها بالساعات، هكذا كان يظهر منهم.

إن المجموعة الجديدة من الجنود عندما تصل هذه الجزيرة يعطونها تعليمات جديدة في كيفية التعامل مع السجناء، يملؤون رؤوسهم وقلوبهم عن هؤلاء الوحوش كما يقولون هم، وهذا ليس كلامي، بل من كلام بعض الجنود، يقولون لهم: إن هؤلاء الإرهابيين الذين يعيشون في هذه الأقفاص اعتقلناهم وأخرجناهم من الجحور والمغاور في أفغانستان، لقد قيدناهم وأحضرناهم هنا، إنهم خطيرون، لهم القدرة الكبيرة على الهرب، إنهم كالجن والأرواح الشريرة، احذر منهم عندما تقيدهم بالسلاسل أو عند تقتيشهم، كن حذراً جداً منهم، لا تتكلم معهم إلا في الضرورة القصوى، لا تلمس جسدك ولا أي شيء من أغراضهم بيديك، إنهم مصابون

بالأوبئة والأمراض المعدية؛ لذلك لا يمكن أن يأخذ الحارس منك شيئاً أو يعطيك شيئاً إلا وهو يلبس القفاز (gloves) وإذا أردت أن تعطيه شيئاً، أو يستبدل لك معجوناً أو فرشاة أسنان، ولم يكن يلبس القفاز على يديه يقول لك: انتظر، يذهب ويلبس القفاز، ثم يتسلم منك ما تريد.

إنك تشعر بالفرق الكبير بين معاملة هؤلاء الجنود عندما يأتون لأول مرة في بداية دورتهم، وبين معاملتهم بعد مرور شهر أو شهرين من وصولهم، السبب أن هؤلاء الجنود بعد مرور مدة من الزمن ومن خلال تعاملهم مع السجناء، تتغير فكرتهم كثيراً عن السجناء، ويشعرون أن إدارة السجن قد ضخمت الأمر، وكبرت لهم القضية عن السجناء، كثيراً جداً، إنها خدعتهم أو بصراحة كذبت عليهم، إنهم يكتشفون أن السجناء شيء آخر غير الذي سمعوه وتعلموه من مسؤوليهم.

إن هؤلاء السجناء أو أكثرهم أناس لا يحبون عمل المشكلات، إنهم بريئون من التهم التي توجه إليهم، ليسوا جميعاً من تنظيم القاعدة أو حركة طالبان، لقد قال أحد المحققين لأحد السجناء: لم يثبت حتى الآن على جميع من يوجد بهذه القاعدة من المعتقلين أنه من تنظيم القاعدة أو حركة طالبان إلا على مجموعة قليلة منهم فقط، إنهم أناس نظيفون، مرتبون يؤدون عبادتهم وصلاتهم على

أحسن وجهه، لا يوجد سجين إن أقيمت الصلاة لا يصلي جماعة مع بقية السجناء، إنهم يقرؤون القرآن أو ينصرفون إلى قراءة الكتب الأخرى المفيدة، إنهم أعفة لا ينظرون إلى النساء، كثير منهم لا يقبلون السلام أو اللمس لأي امرأة، كثير منهم لا يقبلون الخروج إلى التحقيق أو المشي والرياضة والاغتسال إن رافقته امرأة، لا يخرجون إلا مضطرين.

إنهم يفضلون ألا تقوم النساء بخدمتهم وحراستهم في العنابر، إنهم يطالبون إدارة السجن بأن يستبدل رجال بهؤلاء النساء، لقد شعر هؤلاء الجنود، ومن خلال المعاملة والاحتكاك، أو الكلام مع بعض السجناء، بحقيقة الأمر، أحسوا بالوضع الصحيح لهؤلاء السجناء، شعروا أن هؤلاء السجناء أقسام، القسم الأكبر والأكثر كان في أفغانستان مع حركة طالبان، وعندما قامت الحرب هرب قسم كبير منهم إلى باكستان يريد الفرار، يريد ألا يدخل هذه الحرب، لكن باكستان قامت باعتقالهم عن طريق القبائل الحدودية وسلمتهم للأمريكان وأحضرهم الأمريكان إلى كوبا.

وقسم منهم فرّ إلى الجبال والمدن والقرى الأفغانية، وقسم بقي في موقعه يقاوم ويدافع، فقتل قسم من هؤلاء، وجرح قسم آخر، واستسلم للقوات الأفغانية وتحالف الشمال قسم من هؤلاء، وجميع هؤلاء أصبحوا في قبضة القوات الأمريكية، سمعت أن بعضهم فرّ

إلى إيران، لكن إيران لم تسلم للأمريكان أحداً منهم، إنما سلمت
قسماً منهم إلى بلدانهم، وقسماً آخر سلمته إيران إلى الحكومة
الأفغانية، التي سلمتهم بدورها للأمريكان.

بدأت عقدة الحذر من هؤلاء السجناء تتفك عن الجنود
الجدد شيئاً فشيئاً، عندما سمعوا أن قسماً من هؤلاء المسجونين
أصحاب شهادات عالية، وتخصصات محترمة أو نادرة يتعجبون،
عندما يسمعون أن قسماً من هؤلاء السجناء لم يدخل طيلة عمره
أفغانستان، ولم يدخل معسكراً في حياته، لا يعرف التدريب ولا
استعمال السلاح أو المتفجرات، إنه كان يعيش في باكستان في أعمال
دراسة وتدريس في العلم والتعليم، إنه يعيش في باكستان مهاجراً
فاراً بدينه من بلاده، إنهم كانوا يعيشون في باكستان، يعملون في
مؤسسات إغاثة تساعد المهاجرين الذين فروا من أفغانستان
في أثناء الغزو الروسي لأفغانستان، يعملون في مدارس وكيانات
وجامعات، يدرس فيها الطلاب الأفغان المهاجرون من بلادهم
فراراً من الغزو الروسي لبلادهم.

هذه المؤسسات كانت تقيم المدارس والمعاهد والمستشفيات وملاجئ
الأيتام لهؤلاء المهاجرين، إنهم يعيشون في باكستان بأوراق وجوازات
رسمية وتصاريح وإقامات صحيحة من الحكومة الباكستانية، كانوا
يسكنون في بيوتهم ويعيشون مع عائلاتهم، عندما اعتقلتهم القوات

الباكستانية، كانوا يعيشون في مدن تسيطر عليها الحكومة الباكستانية، ما كانوا يعيشون في الجبال والمغاور، ولا في مناطق القبائل المستقلة التي لا تخضع للحكومة الباكستانية، هذه المعلومات التي سمعها الجنود من السجناء ورأوها بأم أعينهم، ولمسوها بأيديهم، ليس يوماً واحداً، أو مرة واحدة بل أياماً، ومراراً وتكراراً مدة شهور متتالية، تغاير تماماً الصورة التي كانت في أذهانهم.

٥٤

مشاهدة

إن الجندي يطبق النظام، ينفذ الأوامر التي تأتي من فوقه، بعض الجنود لا يحب التخريب أو القتل والتدمير، والجنود كبقية الناس العاديين في بلادهم تحب الحياة وتريد التمتع بزينة الحياة الدنيا، وتلبية شهوات النفس، ليس لها هدف آخر، ولا يهتمها، حققت بلادهم أهدافها وطموحاتها أم لا، الجندي عنده وظيفة أو واجب، يريد إنهاء ساعات دوامه دون أن يلحق به أي نقص أو خصم في مخصصاته ولا ينال العقاب، لا يحب أن يحدث في أثناء عمله أو ساعات دوامه أي مخالفة، حتى لا تطوله يد القانون بسببها، أما بعد إنهاء عمله أو خارج ساعات دوامه فلتتقلب الدنيا رأساً على عقب، فلا يهتمه شيء.

كان تخزين الطعام في أحد العنابر ممنوعاً، وكان السجناء بحاجة إلى المحافظة على هذا الطعام حتى المغرب؛ لأنهم كانوا

صائمين، فلما جاء الحارس الجديد قال أحد السجناء لرئيس الحراس: إن عند بعض السجناء طعامًا، ويطلب منك أن تسمح لهم بتخزينه من الظهر (الآن) إلى وقت المغرب، وعند المغرب سيأكلون هذا الطعام، فقال رئيس الحراس: لا بأس، ليس هناك مشكلة في تخزين هذا الطعام إلى المغرب، أنا موافق، لكن بشرط ألا تعملوا لنا مشكلات تتعبنا، قال السجناء: اتفقنا.

في أحد الأيام كانت حراسة العنبر لجنود من البيض، فلما قاربت حراستهم على الانتهاء وحضرت مجموعة الحراس الجديدة، وكانوا من السود، قال أحد الحراس البيض الذين أنهوا عملهم للسجناء: إن هؤلاء الحراس الجدد ليسوا جيدين، ضايقوهم، وسببوا لهم المتاعب والمشكلات والمشاغبات، واكسروا لهم أطباق الطعام وكاسات الماء.

ف

معاملة نفيث

إدارة السجن، كما سمعت من السابقين الأوائل الذين وصلوا إلى (جوانتنامو) كانت تقدم وجبات الطعام - العسكرية - لهم كاملة غير ناقصة، لكن بعد مدة بدأت تفتح هذه الوجبات وتأخذ منها الكثير ثم تقدمها للمعتقلين ناقصة وغير كاملة، كانت تقدم لهم فرشاة الأسنان، الجيدة التي يدها طويلة، مما يسهل عملية تنظيف الأسنان، فأصبحت تقدم فرشاة بسيطة جداً ومن دون يد تمسكها فيدخلها المعتقل برأس إصبعه؛ حتى يستطيع أن ينظف ما يستطيع تنظيفه، التنظيف بهذه الفرشاة غير جيد، بعد مدة أصبحت الفرشاة أحسن حالاً من هذه، لكن ليست مثل الفرشاة الأولى، ولعل سبب هذا التغيير أن إدارة السجن خافت أن يستعمل السجناء الفرشاة ذات اليد الطويلة أداة حادة لتهديد الحراس أو ضربهم بها.

الصابون كان يصرف لكل سجين صابونة كبيرة، ومعجون الأسنان، كان أيضا يصرف لكل سجين معجون كبير، تغير الحال فأصبح الصابون صغيراً جداً وأصبح معجون الأسنان أصغر من سابقه؛ لأن بعض السجناء بدؤوا يستعملون المعجون أو الصابون لغسل أرض الزنزانة وتنظيفها، مع أن أرض الزنزانة لها (شامبو) خاص لتنظيفها يعطيه الحراس للمعتقل عند ما يطلبه، لقد شاهد الحراس مثل هذه الأفعال، فرفعوا تقارير إلى المسؤولين عما يجري، فتم تبديل الفرشاة أو الصابون أو معجون الأسنان.

د. فهد

اختيار

اختيار لباسٍ للمعتقلين في (جوانتنامو) ولكن لماذا اللون البرتقالي؟
ربما يظن بعض الناس أن هذا الاختيار لهذا اللون عفويا،
ومن دون قصد، وكنت أنا ممن يظن هذا الظن، حتى سمعت أن
هذا اللون من الألوان المكروهة في الإسلام، وقد نهى النبي ﷺ عن
اللون الأحمر، وفي الحديث أحب الألوان إلى الشيطان الأحمر. حتى
السلم الذي يستعمله الجنود في التسلق والصعود في أعمالهم داخل
السجن أحمر، وحتى الطائفة المروحية التي كانت تحلق وتطير فوق
المعتقل لونها أحمر، مصبوغة بصباغ اللباس الذي نلبسه، قد يكون
هذا التحليل والتفسير داخلا في اختيار هذا اللون للباس المعتقلين،
وقد يكون هنالك تفسير أو تحليل آخر، والله أعلم بالصواب.

ف

قصة النظارات

بعض المعتقلين معتاد على لبس النظارات لضعف بصره، لما تم ترحيلنا من بجرام إلى كويا، أخذوا منا جميعاً هذه النظارات، ولما وصلنا إلى كويا وبعد مطالبات كثيرة من المسؤولين، وبعد مضي شهر ونصف تقريباً تم صرف نظارة لمن يريد، لكن قوة النظارة ليست هي القوة والمقاس المطلوب لكل معتقل، إنها نصف المقاس ونصف القوة المطلوبة لكل شخص، إنك لا تكاد ترى بها، لكنها أفضل من العدم، ولما اشتكيننا إلى إدارة السجن ما نعانيه من ضعف في الرؤية وتعب في القراءة، قالوا: إن إدارة السجن لا تستطيع صرف نظارة حسب المقاس المطلوب لكل سجين قلنا: لماذا؟ قالوا: إن القانون في هذه القاعدة العسكرية (جوانتنامو) لا يسمح بصرف نظارة للمعتقل كاملة المقاس، كما يريد المعتقل لنواح أمنية في القاعدة، لا يسمح إلا بصرف نظارة نصف المقاس ونصف المطلوب لكل معتقل،

إن هذا القانون يعني أن تبقى تعاني من ضعف في الرؤية، وهذا يعني أن رؤيتك ستبقى تضعف شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت، إن النظارة الطبيعية ذات المقاس المطلوب ممنوعة لنواح أمنية.

فما عساك أن تؤثر بهذه النظارة عليهم، وماذا عساك أن تكتشف أو ترى فيها؟ هل هي تلسكوب أو منظار ستكشف به الأسرار، أو تخترق به الحواجز، إنها نظارة، نظارة فقط.

ف

تسليم المصحف

لقد كان يحدث أن يقوم بعض الجنود بتفتيش المصحف، وهذا التفتيش يحدث غضباً، وربما إضراباً ومشكلات مع الحراس بسبب هذا التفتيش، وحتى لا يتكرر هذا التفتيش من الحراس للقرآن، وحتى لا تحدث الإهانة للقرآن الكريم قرر الكثير من المعتقلين تسليم مصاحفهم إلى إدارة السجن، لكن إدارة السجن والمسؤول الديني رفضوا استلام المصاحف من المعتقلين، وحصل إصرار من المعتقلين لتسليم المصاحف، قابل هذا الإصرار رفض قاطع من إدارة السجن باستلام المصاحف.

فد

تغيير الطعام

في هذا العنبر-عنبر العقوبات-تم تغيير الطعام، أصبح الطعام نوعياً أفضل، لكن كمياً أقل، الكمية لا تكفي أغلب السجناء، الفواكه زادت، بعض الأيام يعطون السجناء في الصباح نوعين من الفاكهة، وربما في الظهر، لكن ليس في كل الأيام بل في بعضها، هناك يومان في الصباح يقدمون فيهما علبة (صن فلكس) لكل سجين، والشاي والحليب صباحاً بقي كما هو، لكن الحليب بعض الأيام يأتي غير طبيعي، عندئذ لا يشربه معظم السجناء؛ لأنه مغشوش بالماء، أو يكون حليباً جافاً مذاًباً في الماء.

كمية اللحم أو الدجاج زادت، لكن كمية الأرز والخبز نقصت، كمية الخضراوات بقيت كما هي تقريباً.

فد

نوجس وحذر

مضت الأيام، وشعر السجناء أن هذه الإجراءات التي تعملها إدارة السجن معنا، إنما هي إشارات وعلامات الخروج من السجن، وأن الفرج قريب بإذن الله تعالى، لكن في أحد الأيام، الرياضة، والخروج والمشي والاختسال تركني الحراس في الحمام - مكان الاختسال - أكثر من الوقت المعتاد، وهو خمس دقائق، تركني أكثر من عشرين دقيقة، قلت للحارس: ماذا حدث انتهى وقت الاختسال، أريد الرجوع إلى غرفتي، قال: انتظر، قلت: انتظرت طويلاً مضى الآن نصف ساعة، هذا وقت طويل جداً، أخيراً أرجعوني، وصلت الغرفة، قلت للجيران: ما الأمر؟

لقد أخرجني الحراس كثيراً في مكان الاختسال، قالوا: ماذا يوجد من الكتابة في غرفتك؟ قلت: لا شيء، لا يوجد عندي قلم؛ لأكتب به، قالوا: لقد حضر المحقق والمصور إلى غرفتك وصور المصور

الكتابة الموجودة في الغرفة وانصرف، فعرفت السر في تأخيري في مكان الاغتسال، قلت للجيران: إن الكتابة الموجودة في الغرفة بقلم الحبر الجاف منذ شهر، لم أستطع أن أقرأها، قلت لجاري: هل تستطيع قراءتها؟ قال: نعم، الكتابة هي: إذا ضاقت عليك الأحوال، أو الدنيا فعليك بـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وكلام آخر نسيته، يحض ويأمر بالصبر وتحمل الأذى، قلت: كل هذا التأخير وحضور المحقق والمصور من أجل هذا الكلام.

إن هذا الكلام لا يشكل أي خطر على السجين والسجناء، ولا يحمل أي معنى للتحريض أو الإضراب، لا يشتم ولا ينتقد أمريكا ولا أحداً من الناس، لكن إدارة السجن أو من فوقهم لا يوجد عندهم شيء اسمه مزاح أو هزار، كل ما تقوله وكل ما تكتبه وحتى كل إشارة منك يأخذونها مأخذ الجد، ويسألون عنها، ويجرون معك تحقيقاً بشأنها، إنهم يحسبون لها ليس حساباً واحداً بل ألف حساب، ويفسرونها ويحلونها بتفسيرات وتحليلات لا تخطر على بال أحد، ولا تأتي، بمقصد إنسان ويفترضون لها افتراضات لا تتحقق حتى في المنام والأحلام.

حدث أن أحد السجناء خرج إلى مكان المشي والرياضة وبدأ يرسم على الأرض الإسمنتية، بحصى صغيرة جداً شيئاً يلعب به أو يعبت به، هكذا دون أن يكون له أي معنى أو أي قصد، رآه

الحارس وهو يلعب ويرسم، وبعد خروجه من مكان المشي ورجوعه إلى غرفته، ذهب الحارس وأخبر المسؤول بما رأى، حضر المحقق والمصور الذي صوّر هذه الرسومات الموجودة على الأرض، وقام المحقق وطلب السجين وسأله عن معنى هذا الرسم وما المقصود منه، ظن المحقق أن هذا الرسم خطة لأمر خطير- كروكة- بروفة- تدريب- لعملية ما.

قال لهم السجين: إن هذا مجرد لعب، شيء لا معنى له ولا أقصد منه أي شيء، إنك تشعر أن هؤلاء القوم لا يوجد عندهم شيء لا معنى له، أو لا قصد فيه، لا بد أن تفسر كل ما تقوله أو تكتبه أو ترسمه أو تشير به، كل شيء يصدر منك يخضع للتحقيق، للفحص، للتحليل، للبحث.

sp

النفتيش

إدارة السجن تقوم بين الحين والحين بتفتيش عام لكل عنابر السجن والسجناء، تفتيش كل ما يوجد عندك من أغراض، حتى الكتب إن كان عندك كتب، أي ورقة أي صورة، أي رسم أو إشارة، أو كتابات، يجمعون كل ما يجدونه في غرفتك يوضع في كيس، كل غرفة لها مغلف أو كيس وحده عليه رقم الغرفة، يذهب هذا المغلف للتحقيق للبحث فيه وتحليله وتفسيره، وربما يطلبونك للتحقيق؛ ليسألوك عنه إن تطلب الأمر ذلك.

التفتيش يكون في ليلة واحدة لجميع عنابر السجن، يقطعون الماء، يغلّقونه عن جميع العنابر؛ حتى لا يقوم أحد السجناء بتهريب أو إتلاف شيء وتسريبه في الحمام، - مكان قضاء الحاجة، وحتى هذا المكان يقوم الحراس بتفتيشه؛ حتى لا يقوم أحد بتسريب أو وضع شيء فيه، يبدأ التفتيش عنبراً بعد عنبر، يقيد السجنين بالسلاسل

كما ذكرنا من قبل داخل غرفته ويقف ووجهه إلى جدار الغرفة المشبك، يقوم الحراس بتفتيشه تفتيشاً دقيقاً جسده، وملابسه، وحذاءه، وشعر رأسه وشعر لحيته، والطاقية إن وجدت على رأسه، يُفتش حذاؤه، ويخرج به الحراس إلى مكان الرياضة والمشي، ثم تُفتش غرفته، أي ثقب في الغرفة، وتفتش أغراضه وفراشه وكتبه، حتى القرآن الكريم، يقوم مترجم عربي بفتح صفحات المصحف، والحارس ينظر إليه، وأي ورقة أو كتاب أو صورة أو رسم، أي شيء مكتوب يجمع في مغلف ويرسل إلى التحقيق.

والكثير من السجناء خضعوا للتحقيق بسبب كتابات أو رسومات وجدت في غرفهم، حتى إن أحد السجناء في عنبري كان يكتب شعراً باللغة الإنجليزية، كان هذا السجين لا يعرف العربية إلا قليلاً، هو من بريطانيا، هذا الشعر كان يحفظه غيباً، وكان يكتبه رموزاً وكلمات ناقصة؛ حتى لا ينتحلها أحد أو ينسبها إلى نفسه، هذا الشعر كان ينتقد فيه السجن والسجان والمعاملة القاسية التي يتعامل بها السجان مع السجين، ينتقد فيها أمريكا وسياستها في معاملة الشعوب، يقول في شعره: إن الإنسان الأمريكي مرتاح، مسرور على حساب غيره، الناس تتزف دماؤهم، فقراء بحاجة إلى المساعدة، لكن لا يلتفت إليهم أحد. وهكذا كانت معاني القصيدة كما أذكر، لما وجد الحراس هذه القصيدة ذات الرموز، ناقصة

الحروف في أثناء التفتيش، وضعت عليه عقوبة ونقل إلى السجن الانفرادي بسبب هذا الشعر، وطبعاً صودرت القصيدة ولم ترجع له، رفض تسليمهم القصيدة في البداية، وحدثت مناقشة بينه وبين الحراس ولم يسلمهم القصيدة إلا بعد تعب، لا بد أن يسلم القصيدة من أول أمر، سجين آخر يسكن في العنبر الذي أسكنه، رأى الحارس عنده صورة مسجد، قال له الحارس: يمنع رسم المساجد والاحتفاظ بها، لا بد من تسليم هذه الصورة للحراس، قال له السجين: أنتم تسلمون لنا الورق والقلم، ماذا سنفعل بالقلم والورقة، إلا الكتابة أو الرسم.

رفض السجين تسليم صورة المسجد للحارس، رفع الحارس الأمر إلى مسؤوله، والمسؤول إلى مسؤول أكبر منه، حضر المسؤول الكبير إلى العنبر وبعد مشادة في الكلام سحب الصورة من السجين، وسجلت عقوبة على السجين؛ لأنه رفض تسليم الصورة من أول مرة للحارس، فهذا يُعد عصياناً لأوامر الحراس. والورقة والقلم لا تسلمان إلا لمن كان من الدرجة الأولى.

سجين آخر كتب على الورق الذي يتسلمه من الحراس آيات وأحاديث تحض على الجهاد، وتبين أجر المجاهدين والصبر في الجهاد، ودرجات الشهادة، لما جرى تفتيش عام للعنابر صودر الورق من صاحبه، مع أن هذه الآيات في القرآن الموجود بأيدي

السجناء، وهذه الأحاديث موجودة في الكتب التي تسلمها إدارة السجن للسجناء، هذا شيء عجيب ومتناقض.

لقد رأيت أحد جيراني تصدر إدارة السجن أوراقه التي كتب عليها دروساً في اللغة العربية، النحو والإعراب وتجويد القرآن، سجين آخر في العنبر الذي أسكنه رأى معه الحارس ورقة فطلبها منه فرفض المعتقل، قام الحارس ورفع الأمر إلى مسؤوله الذي أصر على تسليم الورقة، رفض السجين الأمر وقام بتقطيع الورقة قطعاً صغيرة، وأعطاهها للمسؤول الذي عدّ هذا التقطيع عملاً يستحق عليه السجين عقوبة، وفعلاً وقعت عليه عقوبة ونقل إلى العنبر الانفرادي.

أحد جيراني الذي بينه وبينني الشبك فقط أعطاني ورقة عبر الشبك، فرآه الحارس، جاء الحارس وقال: ما هذه الورقة؟ قلت: ورقة من جاري، قام الحارس ورفع الأمر لمسؤوله، حضر المسؤول وقال: أين الورقة؟ قلت له: تريدها خذها هي رسالة والرسالة قبل أن تصل لصاحبها تمر على التحقيق ويقرأها التحقيق ويشطب ما يريد منها أو يتركها كما هي، يريد جاري أن يطلعني على بعض أخباره، وأخبار بلده، إنها أخبار عادية، ومثل هذه الحوادث يقع كثيراً.

Sp

بشارة

في اليوم نفسه الذي وجد الحراس الكتابة في غرفتي، تم نقلي إلى غرفة أخرى، ولكن في العنبر نفسه، كان النقل قبل الظهر بساعة، لكن بعد صلاة الظهر مباشرة، جاء الحراس وقالوا: عليك تحقيق، قلت لهم: جاهز، قُيدت بالسلاسل - كما هي العادة - ثم التفتيش، سرت مع الحراس، ظننت أن التحقيق سيكون حول الكتابة التي وجدوها مكتوبة في غرفتي اليوم، دخلت الغرفة، لكن وجدت مصوراً وثلاثة رجال وقوفاً، وأمامهم على الطاولة حبر وأدوات تتعلق بالبصمات، لم أجلس، قام الحارس بفك قيد يدي اليمنى فقط، وقام رجل آخر يمسك أصابعي، وأخذ بصماتها على الورق الأبيض، وعلى أوراق بلاستيكية ملساء، كانت البصمات لجميع أصابع يدي اليمنى بأشكال مختلفة، رأس الأصابع ثم جميع الأصابع، ثم الكف مرة واحدة، لا يقل عن عشرين بصمة لليد الواحدة، ومثلها لليد الأخرى.

ثم جاء دور التصوير، التصوير للوجه من الأمام، ثم عن جهة اليمين، ثم من الجهة اليسرى، ومن زوايا مختلفة، لم يكن الأمر بالنسبة لي مكلفاً أو شاقاً، ما كان يوجد عندي أي مضايقة نفسية أو بدنية مما يفعلونه، كنت أفكر فيما يفعلونه معي في هذه الجلسات الأخيرة، وأتوقع وآمل أن الأمور في السجن في لمساتها الأخيرة، وأن كل ما يجري يشير إلى أن نهاية هذه المأساة قريبة جداً، كان الأشخاص الذين يعملون البصمات لي عاديين، لم تظهر منهم شدة أو قسوة، لا في العمل ولا في القول، انتهى الأمر ورجعت إلى غرفتي، كان هذا اليوم، وما جرى معي في غرفة التحقيق من أخذ البصمات والتصوير هو آخر أيام ذهابي لغرف التحقيق، كانت هذه هي آخر مقابلة تتم بيني وبين إدارة السجن، ولما أخبرت جيراني في العنبر عما حدث معي، قالوا: هذه بشارة خير لك، والفرج قريب -إن شاء الله تعالى- هذه الإجراءات يعملونها مع الذين يتم إطلاق سراحهم.

فد

عنبر جديد

بعد يومين قامت إدارة السجن بنقل جميع هذا العنبر إلى عنبر آخر؛ لعمل ترميمات وتصليلات في العنبر، أما السبب أو العلة في هذا النقل، فإن الاحتجاجات التي يقوم بها السجناء في العنابر يصاحبها ضرب على الأسيرة، وضرب على جدران الغرفة، أو على بابها لإحداث أصوات مزعجة؛ ليضطر الحراس إلى استدعاء المسؤولين لمعرفة مشكلات السجناء، أو للبحث في تلبية مطالبهم، أو أن الاحتجاج يكون على عمل قام به الحراس، أو المحققون مع أحد السجناء، أو مع بعضهم كتفتيش المصحف الشريف أو إهانته أو الاستهزاء بالدين أو بالرسول ﷺ.

انتقلنا إلى العنبر الجديد كل شيء فيه نظيف، طلاء الجدران مريح للنظر؛ لأن الطلاء القديم كان متعباً للنظر، ومضعفاً له، الآن الطلاء الجديد من الأرض إلى ارتفاع متر ونصف تقريباً مطلي

باللون الأخضر، ومن ارتفاع متر ونصف إلى سقف الغرفة مطلي
باللون الأسود هذا الترتيب في الطلاء على الجدران الأربعة للغرفة
التي تسكنها، وهو ترتيب جميع العنبر من أوله إلى آخره، إنه مريح
للنظر وأفضل من الطلاء القديم.

ثم إن السرير أصبح قريباً من الأرض يرتفع نصف متر تقريباً
عن الأرض مغلق من كافة الجهات لا يحدث صوتاً مزعجاً عند
الضرب عليه، الإضاءة في العنبر أصبحت قوية جداً وفي داخل
كل غرفة مصباح قوي، بينما الإضاءة السابقة كانت عادية،
وكانت الإضاءة موجودة في الممر الموجود بين الغرف، ولا يوجد في
الغرف لمبات أو مصابيح للإضاءة، باب الغرفة أصبحت له فتحتان
(نافذتان)، نافذة سابقة علوية لإدخال الطعام والدواء واللباس
منها، كما أنها لتقييد يدي السجين وربطه منها وفتحة في أسفل
الباب؛ ليتم منها تقييد السجين في قدميه وهو واقف.

هو

عنبر المسافرين

لم أمكث في هذا العنبر إلا عشرة أيام تقريباً، وفي صبيحة اليوم الأخير لي في هذا العنبر، وبعد تناول طعام الإفطار، جاء الحراس وقالوا لي: سوف تنتقل إلى عنبر نوفمبر، قلت لهم: لماذا، ماذا حدث، أنا لم أفعل أي مخالفة؟ عنبر نوفمبر هذا عنبر انفرادي، وقد كان عنبراً يرسل إليه أصحاب العقوبات والمخالفات، وقد دخلته قبل ذلك مرتين، المرة الأولى عند وصولي إلى كوبا شهر ٨ / ٢٠٠٢ م والمرة الثانية لما حدثت مشكلات في العنبر الذي كنت أسكنه وقام الحراس بمعاينة كل من اشترك في أعمال الشتم والرش على الحراس ومن لم يرش، وكنت من القسم الأخير ممن لم يشترك في أعمال الرش والشتم، قال الحراس: هيا اجمع أغراضك؛ لتذهب إلى عنبر نوفمبر.

وضعت أغراضي في الكيس، تم التقييد ثم التفتيش، أما الجيران في العنبر، فقالوا: وداعاً أبا عبد الله، اللقاء في الأردن،

هذا العنبر الذي تنقل إليه نوفمبر أصبح عنبر المسافرين، يتم فيه جمع السجناء الذين ستجرى لهم ترتيبات الخروج من السجن ثم السفر، استبشرت خيراً بما سمعت، مشيت باسم الله إلى عنبر نوفمبر، وجدت فيه ثلاثة سجناء، أعرف منهم اثنين من المساكن الطيبين الذين اعتقلهم تحالف الشمال الأفغاني وسلموهم إلى الأمريكان، أو باعوهم للأمريكان، أحدهم تركي والثاني كردي من العراق، لما عرفوا أنني أنا الداخل إلى العنبر، قالوا: أبشر أبا عبد الله، هذا العنبر (نوفمبر) عنبر المسافرين.

لقد خرجت وانطلقت من هذا العنبر مجموعتان قبلنا إلى بلادهم، السجن الثالث ما سبق أن عرفته إنه دكتور طاجيكي اعتقل داخل أفغانستان، وبعد قليل جاء الحراس بسجين آخر، سمعت أنه من العراق أصبح مجموعتنا خمسة سجناء، دخلت الغرفة الانفرادية في هذا العنبر، طلبت من الحارس أن يبقى معي بعض الأغراض، قال: انتظر سأسأل، ذهب ثم رجع قال: لا بأس يمكنك أن تحتفظ بأغراضك كلها، قلت: هذه واحدة واستبشرت خيراً؛ لأن هذه الأغراض عادة كانوا يأخذونها من كل سجين يدخل هذا العنبر، قلت له: أريد الفرشة الكبيرة، قال: انتظر سأسأل، ذهب ورجع، قال: خذ هذه الفرشة الكبيرة للنوم عليها، قلت: هذه بشارة ثانية؛ لأن من عليه عقوبة لا يأخذ هذه الفرشة.

بعد ساعتين جاء الجنود من خارج العنبر، وأخذوا قياس كل سجين، البنطال والقميص، الحذاء، قلت: هذه بشارة الثالثة؛ لأنّ السجين الذي يطلق سراحه يترك اللباس الأحمر ويعطى لباساً آخر جديداً غير أحمر، بدأنا نحن الخمسة نطمئن بعضنا بعضاً بأن الفرّج قريب بإذن الله تعالى خلال يومين أو ثلاثة، بعد يومين جاء الجنود الذين قاموا بقياس الملابس والحذاء لنا ومعهم حقائب خمسة، لكل واحد منا حقيبة عليها رقمه في السجن وفيها ملابسه، قمنا بقياس الملابس والحذاء لمعرفة أنها ملائمة أو غير ملائمة، كبيرة أو صغيرة، الملابس تتكون من بنطلون جينز، وجاكيت جينز أزرقين، فانيلة بيضاء ولباس داخلي، وجرابات وحذاء رياضي أبيض اللون، بعد عملية القياس أرجعناها إلى الحقيبة، قلنا: هذه بشارة أخرى بالفرّج القريب، وفي اليوم نفسه جاء شخصان وجلسا مع كل واحد منا على انفراد في مكان المشي والرياضة، وأخبراني أنني سأخرج من هذا المكان قريباً، ستسافر، قلت: إلى أين ستسافر؟

قال أحدهما: أنا لا أعرف إلى أين ستسافر، أنا لم أقرأ ملفك أو أراجع قضيتك، لكن أنا أعرف أنك ستخرج من هذا المكان قريباً جداً، قلنا: هذه بشارة أخرى بأن فرّج الله قريب، وفي اليوم اللاحق جاء شخصان من منظمة الصليب الأحمر، وجلسا مع كل واحد منا على انفراد في مكان المشي والرياضة، وقالوا لي: أنت ستسافر إلى

بلدك غداً أو بعد غد، لكنه ربما تنزل الطائفة التي ستحملكم في محطات قبل أن تنزل في بلدك، وربما يقيدون أرجلكم في الطائفة، لكن لن يسترخوا عيونكم، لن يضعوا عليها ساتراً، قلت: الله المستعان، ماذا سنفعل؟

قلنا: هذه بشارة أخرى بأن فرج الله قد اقترب جداً بعد عصر هذا اليوم جاء الحراس ووضعوا الاسم والرقم لكل واحد منا على كلتا يديه، الذين معي في العنبر قالوا: السفر سيكون اليوم أو غداً، لكن لا يستطيع أحد أن يجزم أو يحدد موعد السفر، نمنا تلك الليلة مستبشرين على أمل أن يكون السفر هذه الليلة، وقد وقع ما تأملناه، ففي الساعة الثانية بعد منتصف الليل دق الحارس على الباب، وقال: انهض خذ هذه الوجبة من الطعام - الوجبة العسكرية المعروفة التي سبق ذكرها - قلت له: أنا لا أريد الصيام غداً، أنا لم أسجل اسمي في قائمة الصائمين غداً، لأن هذه الوجبة عادة يقدمونها سحوراً لمن أراد أن يصوم غداً.

لم يلتفت الحارس إلى كلامي، قال: خذ هذه وكلها بسرعة ووقف ينتظرني على فتحة الباب، نظرت فإذا جميع الذين معي في العنبر يقدمون لهم هذه الوجبة وأمام كل غرفة الحقيبة التي يوجد فيها ملابس كل واحد منا وكل حقيبة عليها رقم السجين، وهذه هي الحقيبة التي رأيناها قبل يومين عندما قمنا بقياس الملابس والحداء.

أكلت ما أستطيع من الوجبة بسرعة ولم يمهلني الحارس لأكل باقي الوجبة وقال: انتهى الوقت، أعطني ما تبقى منها، أخذه ثم بدأ يناولني الملابس قطعة، قطعة، حتى انتهت الملابس وقال: لا تضع أي شيء في جيوبك، حتى مناديل الورق- الفايين- قلت: هذا جيد، قال: مد يديك قيدهما ثم قيد وسطي بالحزام، واليدان إلى الأمام على البطن دون تقييد الرجلين، ثم فتح الباب، فخرجت وقام الحراس بتفتيشي جيداً على باب الزنزانة، مع أن كل ما ألبسه من ملابس كان معهم قبل دقائق، وهم الذين سلموني إياها، قال: أين القرآن؟ قلت: في داخل الغرفة، فتح لي الحقيبة وقال: ضع القرآن داخل الحقيبة، أغلقها ثم حملها أحد الحراس، وانطلقنا نحن الخمسة خلف بعضنا، شعرت العنابر المجاورة بحركتنا وأصواتنا، عرفوا أن هذه المجموعة قد أفرج عنها وهي مسافرة إلى بلادها، بدؤوا يرفعون أصواتهم في هذا الجزء من الليل، وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وأخذوا يسلمون علينا ويودعوننا ويطلبون منا المسامحة، مشيناً إلى خارج العنبر، وجدنا الحافلة ركبناها وكنا بعيدتين عن بعضنا، كل واحد منا في كرسي ويجلس عن يمينه حارس وعن يساره حارس، والحافلة مغطاة لا نرى شيئاً خارجها.

سارت الحافلة لكن لا ندري إلى أين تسير، وصلنا إلى حافة الماء - شاطئ - كما يبدو شعرنا أن الحافلة قد دخلت على ظهر سفينة،

سارت السفينة مسافة قليلة ثم توقفت، خرجت الحافلة من على ظهرها، سارت قليلا، دقائق، ثم توقفت، بدأ الحراس يفكون عنا كل القيود، نزلنا من الحافلة واحد تلو الآخر، نظرت وإذا بحافلتين أخريين يبدو أن فيهما أشخاصا مثلنا قد أفرج عنهم، بدأنا نمشي نحو الطائرة والطائرة عسكرية كبيرة ذات أصوات عالية، وفي أثناء المشي كان هناك مصورون يأخذون الصور.

٥٢

مغادرة كوبا

على باب الطائرة وقف بعض الجنود يأخذون أرقامنا الموجودة على أيدينا، وقفت على باب الطائرة من دون قيد، حراس الطائرة بدؤوا يقيدونني من جديد، وهذا القيد مثل الذي حصل لنا عندما نقلونا، من بجرام إلى كوبا لكنه أخف قليلاً، تُقَيَّد اليدين مع الوسط، وهما في الأمام على جهة البطن، ثم السلسلة تنزل وتتصل بالسلسلة التي تقيد الرجلين، العيون مغطاة بنظارة سوداء لا ترى منها شيئاً، كما أن الأذنين مغلقتان، والأنف والفم مغلقتان بقطعة قماش، جلست على مقعد الطائرة الطولي، قام الحراس بربط وسطي بسلسلة في مقعد الطائرة للتثبيت على مقعد الطائرة، وتم تقيد الرجلين بحلقة مثبتة في أرض الطائرة، لكن الجديد في هذه الرحلة أن قائد الطائرة، أعلن أن رحلته ستستغرق من ١٦-١٨ ساعة من هذه القاعدة- جوانتانامو- إلى قاعدة في تركيا، نسيت

اسمها، صفق الجنود، ورفعوا أصواتهم موافقين أو قالوا: هذا سفر بعيد أو لا أعلم بالضبط ما قالوه.

أقلعت الطائرة وكان الوقت قريباً من الفجر كنا نشعر بسرعة الطائرة الكبيرة، كان الكابتن يكلمهم بين حين وآخر، عند الأكل والشرب، يقوم الحارس بإنزال أو رفع قطعة القماش عن فمك، ويعطيك الطعام ساندوش فول سوداني يضعه بين يديك، ترفع يديك قليلاً بالطعام، ثم تتحني وتنزل رأسك قليلاً، حتى يصل فمك إلى الساندويش، وإذا احتجت إلى الماء يأتي الحارس ويرفع قارورة الماء إلى فمك ويسقيك منها، بعد انتهاء الأكل والشرب يقوم الحارس بإرجاع قطعة القماش (غطاء الفم) إلى مكانه على الفم والأنف.

عند قضاء الحاجة يقوم الحارسان بفك قيد مقعد الطائرة عن وسطك، وفك قيد الرجلين من الحلقة المثبتة في أرض الطائرة، يمسك بك الحارسان، ويقودانك إلى حمام الطائرة، أنت لا ترى شيئاً، لكن لو حاولت ربما ترى شيئاً، يجلسك الحارسان على الحمام الإفرنجي وأنت مقيد اليدين والرجلين فيقومان بخلع ملابسك، تقضي حاجتك ولا تستطيع أن تتظف نفسك، لأنك مقيد، ثم هم لا يسمحون لك أن تحمل أي منديل ورق، وهم لا يقدمون لك أي مساعدة، هذا الحمام ليس له باب تقضي حاجتك والجنود يجلسون مقابلك بينك وبينهم أمتار قليلة.

بعد انتهاء هذه العملية يقومان بإرجاع البنطال كما كان،
يلبسانك الثياب وترجع إلى مكانك على مقعد الطائرة، ويعود
لك القيد في وسطك وقدميك كما كان، كنا نصلي على حالنا دون
وضوء ودون تيمم ودون معرفة الوقت، وإن سألنا الحراس عن
الوقت لا يجيبك أحد، كنا نقدر الوقت بالتقدير والظن، بعد هذا
السير الطويل هبطت الطائرة، لكن لا ندري أين هبطت، نشعر أنها
أنزلت أناساً لا نعرف من هم، مكثت ساعة في هذا المكان.

ثم أقلعت الطائرة، لا ندري إلى أين أقلعت، بعد ساعات هبطت
مرة أخرى، وبعد أن توقفت تماماً جاء الحراس، وفكوا الرباط
الذي يربطنا بمقعد الطائرة، وفكوا القيد الذي يربطنا ويثبتنا في
الأرض، أوقفونا على باب الطائرة، أزالوا عنا غطاء العيون، وغطاء
الأذن والفم والأنف، وبقيت سلاسل الأيدي والأرجل.

Sp

الوصول إلى بجرام

كان الوقت قريباً من منتصف النهار، لكن لا أعرف اسم هذا المكان، أركبونا في سيارة صغيرة إلى مسافة قصيرة، ثم أنزلونا إلى غرفة خشبية فيها أربعة أسيرة، بعد أن فكوا القيود والسلاسل عنا، فكان هذا الوقت هو آخر عهدنا بالقيود والسلاسل والحمد لله رب العالمين، سألت من معي: ما اسم هذا المكان؟ أنا لا أعرفه، قال لي: إنه قاعدة بجرام الأفغانية.

قلت: أرجعوننا إلى المكان الذي انطلقنا منه. عندما وصلنا، قال لنا الجنود: أنتم هنا في قاعدة بجرام القريبة من كابل، وأنتم هنا ضيوف عندنا عدة أيام، وستغادرون هذا المكان إلى بلادكم، لا علاقة لكم بقوانين هذا المكان وأنظمته، لن تذهبوا إلى غرف التحقيق، لن يسألكم أحد عن أي موضوع، سياسي، أو أممي أو غيره...

كل من يطلق سراحه من جوانتنامو- كوبا- ويأتي إلى هذا المكان- بجرام- يجلس هنا أياماً، ثم يعود إلى بلده، كان أحد الأربعة الذين معي أعرفه، كنا في باكستان عدة سنوات واعتقلنا في باكستان في ليلة واحدة، وكنا في سجن واحد، ثم كنا معاً عندما نُقلنا من بيشاور إلى قاعدة بجرام، وكنا معاً عندما نقلونا من بجرام إلى كوبا، تجاوزنا في معتقل جوانتنامو مدة من الزمن، وأطلق سراحنا من معتقل جوانتنامو معاً، وعندما رأيتُه في بجرام، حين نزلنا من الطائرة القادمة من كوبا فرحت به فرحاً شديداً، وسألته عن كثير من السجناء في كوبا، فأخبرني أن الذين أطلق سراحهم في دفعتنا - وكنا في الطائرة من جوانتنامو إلى تركيا، ثم إلى بجرام- اثنا عشر معتقلاً (١٢) اثنان من السودان، وواحد أردني، وعراقيان، وطاجيكيان، وتركي.

كل هؤلاء نزلوا في تركيا، وبقينا نحن الأربعة نزلنا في بجرام وهم أردني (أنا) وسوري وإيراني وأفغاني، إن هذه القاعدة سبق أن نزلنا فيها معتقلين مقيدون بالسلاسل، عندما رحلونا من باكستان إلى بجرام، لكن مكان الاعتقال كان في داخل مبنى من الإسمنت، مكثنا فيه شهرين، ولا يزال هذا المبنى إلى الآن فيه معتقلون، ممن تعتقلهم القوات الأمريكية، أو قوات التحالف الأفغانية، أو من تعتقلهم باكستان وما جاورها، لكن نحن الآن نزلنا في غرفة

خشبية مجاورة لذلك المبنى الإسمنتي، وليس بيننا وبين السجناء
الذين في داخل هذا المبنى أي علاقة، لا نلتقي بهم ولا نراهم، ولا
نكلمهم، لكن سمعنا أن أحوالهم الآن أحسن من أحوالنا، عندما
كنا في هذا المكان قبل سنتين تقريباً، حياتنا الآن في قاعدة بجرام
ليست كالحياة في قاعدة جوانتنامو، هنا الحياة أفضل، لكنها حياة
ليس فيها حرية تامة.

Ap

الطعام في بجرام

الطعام هنا متشابه، طيلة المدة التي قضيناها في بجرام بعد خروجي من كوبا أربعة أشهر ونصف تقريباً، من ١/٤/٢٠٠٤م إلى ١٢/٨/٢٠٠٤م الفطور، والغداء والعشاء كان متشابهاً، وجبة معلبة، إما أرزاً بقطع الدجاج الصغير والقليل، أو يوجد مكان الدجاج لحم، أو معكرونة أو أرزاً بالبازيلاء السوداء بقطع الدجاج الصغير، وإما بطاطا مع الطماطم وقطع الدجاج الصغير والقليل، أربع أو خمس وجبات معلبة، كل وقت لك وجبة واحدة من هذه الوجبات، مع قطعتين من البسكويت وعلبتين صغيرتين من (الصن فلكس) نوع من البسكويت الخفيف وكيس صغير جداً من الفستق، مع كيس صغير جداً من لباب- بزر أقراص الشمس.

أما الخبز فقد نراه في كل أسبوع مرة، وقد لا نراه وهو أصلاً لا يأتي إلينا، بل يأتي للمعتقلين في داخل المبنى القريب منا، ولكن

ربما طلبنا من الحارس أن يأتينا بقليل من الخبز من الداخل، وقد يوافق وقد لا يوافق، أما الفاكهة فعندما وصلنا إلى بجرام وجدنا في الغرفة صندوق تفاح وصندوق بيبيسي كولا، وصندوقاً فيه أكياس مجففة من الموز، ثم اختفت الفاكهة بعد انتهاء هذه الصناديق، والشاي والحليب ممنوعان، رأيناها مرة أو مرتين طيلة المدة.

رفعنا شكوى للمسؤول أكثر من مرة بأن يغيروا لنا الطعام، فكان الجواب بالرفض، كان الجيش له وجبة معلبة عسكرية خاصة به، وكان له وجبة ساخنة يومياً بعد الظهر فيها دجاج أو لحم أو سمك ومشروب بيبيسي أو نحوه، قلنا لهم: تعطوننا وجبة ساخنة يومياً أو وجبة عسكرية، فرفضوا طلبنا، لكن أيضاً حتى الوجبة التي تصرف لنا هي أصلاً تأتينا كاملة مغلقة في كيس، لكنهم يفكون الكيس ويأخذون منها حاجات ويعطوننا الباقي، يأخذون منها كيساً خاصاً لتسخين الوجبة إن كان الجو بارداً، ويأخذون منها الملح، والشاي، والكاكاو، والقهوة، قلنا لهم: لو تقدمون لنا هذه الوجبة كاملة ولا تأخذون منها شيئاً، فرفضوا ذلك، حقيقة كنا نعاني من مشكلات في المعدة بسبب تكرار هذه الوجبة علينا يومياً، بل ثلاث مرات يومياً، فكنا لا نأكل في اليوم إلا مرة واحدة.

لكن هنا في بجرام لا نمنع من تخزين الطعام، فكان عندنا كراتين من هذه الوجبات التي تقدم لنا، وأحياناً نعطيها للحراس،

يأكل بعضهم منها وبعضهم لا يأكل منها يردها إلى المخزن، أو يلقوها في صناديق القمامة، وأحياناً نأكل نحن من هذه الوجبات والمتبقي بعد الأكل نلقيه في صندوق القمامة، مع أنه مقلب لا يفسد بالتخزين، والقانون عندهم أن تأكل الوجبة والمتبقي تلقى في سلة القمامة، ولا يسمح لك بتخزينه.

Sp

الحياة في جراح

الغرفة التي نعيش فيها هي في الأصل غرفة معدة للجيش، وهي غرفة مستطيلة تتسع لعشرة أفراد، تهويتها جيدة، لكنها في الشتاء باردة، ونحن وصلنا بجرام آخر الشتاء، كان هناك مدفأة كهربائية صغيرة، لكنها لا تكفي لتدفئة الغرفة، أما في الصيف فالغرفة مجهزة بجهاز تبريد جيد، لكن كان يتعبنا الجلوس الطويل وعدم الخروج للمشي والرياضة، وكنا لا نخرج لحمام الاغتسال، أو حمام قضاء الحاجة، إلا بإذن من الحراس الموجودين معنا في الغرفة، ويمرافقة أحدهم أيضاً.

والغرفة يتناوب على حراستها ثلاث مجموعات يومياً، وكان حمام الاغتسال مرتين كل أسبوع وكنا نغسل ملابسنا مرة كل أسبوع، كل واحد منا له سرير، مثل أسرة الجيش المتنقلة، مع قطعة سجاد أو قطعتين بعضهما تحت الرأس (كوسادة) وقطعة تضعها تحتك

ومعك بطانية جيدة تغطي بها ، كان في الغرفة طاولة متوسطة نأكل عليها أحياناً ، أو نلعب عليها الورق.

كانت لنا الحرية داخل الغرفة نتحرك فيها كيف نشاء ، الكلام مسموح به ، القراءة والكتابة كذلك ، القلم والورق متوافران ، القرآن الكريم موجود ، والكتب الدينية وغير الدينية كانت في البداية غير متوافرة ، ثم أصبحت متوافرة ، حيث أحضر لنا الصليب الأحمر بعضاً منها ، كما أحضر لنا سجادة صلاة ومسبحة وملابس باكستانية ، وبذلتين في البداية ثم زادهما بعد ذلك بذلتين ، أحضر لنا الملابس الداخلية وشبشباً ، وفرشاة ومعجون الأسنان ، والمياه الصحية متوافرة طيلة الوقت للشرب فقط ، أما مياه الوضوء فغير متوافرة بسبب نقص المياه ، ولذلك لم نتوضأ مرة واحدة طيلة مدة وجودنا في بجرام (١٣٢) يوماً تقريباً ، وطيلة هذه المدة كنا نتييم.

كنا في الغرفة أحراراً ، ولكننا في الواقع غير أحرار ، أحرار لأننا لا نخضع لأي عملية تحقيق أو مساءلة من قبل المحققين أو غيرهم ، لا تنطبق علينا أنظمة السجن الموجودة في بجرام ، لا يوجد عندنا نظام عقوبات وسحب أغراض ، كما هو في معتقل جوانتنامو ، أما كوننا غير أحرار ، فلأننا لا نستطيع أن نخرج من الغرفة إلا بإذن ، ويكون الحارس مرافقاً لنا ، إننا نعيش في قاعدة عسكرية مراقبين وليس لنا الحرية الموجودة للناس الآخرين خارج هذه القاعدة.

لقد قال الحراس في سجن جوانتنامو (كوبا) لبعض الإخوة المعتقلين: كل من خلع اللباس البرتقالي ولبس مكانه لباس الكابوي الأزرق، وخرج من هذه الجزيرة (كوبا)، فقد ثبتت براءته من تهمة الإرهاب (كما يسمونها)، ولم يعد له أي علاقة بالقضية التي جمعت أمريكا بسببها هؤلاء السجناء، ليس له علاقة بأحداث نيويورك وواشنطن، ليس له علاقة بقتل أو تفجير أو تخريب أو أي عدااء للولايات المتحدة الأمريكية، إنه بريء من هذه التهم كلها براءة الذئب من دم النبي يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، لذلك قال لنا الحراس منذ اليوم الأول لوصولنا إلى بگرام: أنتم عندنا ضيوف هنا عدة أيام، وستسافرون إلى بلادكم.

لكن مضت الأيام الأولى، مضى الأسبوع الأول والثاني ولم نسافر، بعد أسبوع من وصولنا من كوبا إلى بگرام حضر إلى الغرفة التي نسكنها شخص يبدو أنه مسؤول كبير، وسأل عنا وعن أحوالنا بسرعة وانصرف؟ لم نكن نعرفه، فلما انصرف قال لنا الحراس: إنه السفير الأمريكي في كابل، قد يكون اسمه خليل زي-أفغاني الأصل، يعيش في أمريكا منذ سنوات ومعه أشخاص من وزارة الخارجية الأفغانية، بعد أسبوع تقريباً عاد الشخص نفسه وسأل عن أحوالنا وقلنا له: وجودنا هنا كم سيكون ومتى سنسافر؟ فقال: نحن نجري اتصالات مع الدول التي ستذهبون إليها، ونحن

مهتمون بموضوعكم، لسنا ناسين لكم وانصرف، بعد مضي شهر تقريباً أصبنا بياس من السفر القريب أو الفرج العاجل.

فقام الشخص الإيراني الموجود معنا وأراد أن يشكل عملية ضغط وإحراج على المسؤولين في القاعدة؛ ليسرعوا في تسفيرنا، وكان رجلاً مريضاً، أعصابه قلقة، يتصرف تصرفات غير عادية، كان لديه كمية من الحبوب (أقراص دواء) مختلفة الأشكال والألوان، فبدأ يتناول كميات من هذه الأقراص، قدرت بخمسين حبة؛ حتى تؤثر عليه وتزيد في مرضه أو نقله إلى المستشفى، فزع الحراس لما رأوه يفعل ذلك، أسرعوا إليه، ثم جاء الطبيب ونقلوه إلى المستشفى القريب، مكث هناك أسبوعاً ثم عاد إلى الغرفة معنا.

لكن بعد يومين تم نقله من غرفتنا إلى مكان آخر، إذ الحياة في هذا المكان دون الحياة في الغرفة معنا، وقد كان هذا الشخص يتصرف تصرفات عجيبة، كان يدخل وكان يضع النسوار (الشمة) في الفم، وكان يحصل على كل هذه الأمور من الحراس، وهذا العمل مخالف لقوانين هذه القاعدة، كان يطلب من الحراس الإذن ليسمحوا له بالخروج خارج الغرفة؛ ليدخن، كان يتعامل مع بعض الحراس معاملة ليست لينة، هذه المخالفات وغيرها، جعلت الإدارة تنقله من غرفتنا إلى مكان آخر غير جيد، وبقينا ثلاثة أفراد في الغرفة إلى أن خرجت، لكن بعد خروجي من بجرام بنحو أربعة

أشهر رأيته على إحدى القنوات الفضائية يجري مقابلة يشكو فيها
من المعاملة السيئة التي حصلت معه في السجن.

كما سمعت أن الشخص الثالث السوري قد أطلق سراحه
أيضاً، ورجع إلى أهله الموجودين في باكستان، أما الأفغاني الرابع،
فلا أعلم عنه أي شيء.

٤٢

الرسائل

الرسائل من السجين وإليه لا بد أن تمرّ على قسم المراقبة في السجن، ويقرأ كل كلمة يكتبها المعتقل إلى أهله بأي لغة كانت، وربما تتأخر الرسالة أياماً أو أسابيع من أجل كلمة واحدة لا يستطيع قسم الرسائل معرفة معناها؛ لأنها ربما تكون مكتوبة بلغة عامية، وربما يراجع صاحب الرسالة لفك اللغز أو الكلمة الموجودة في رسالته، ويفسر ويحلل معنى هذه الكلمة.

وطريقة إرسال الرسائل إما عن طريق الجيش، الذي يقوم بإرسال رسالتك عن طريق البريد، وتصل إلى عنوانك، لكن بعد فحصها وتدقيقها، وإما عن طريق الصليب الأحمر الذي يحضر رجاله إلى عنابر السجن، ويقدم لك الأوراق الخاصة بالصليب، وبعد كتابتها يتسلمها منك موظف الصليب الأحمر، ثم يسلمها إلى إدارة السجن، حيث هناك قسم التدقيق والفحص، وبعد أن يوافق

على الرسالة من قبل هذا القسم، يستلمها الصليب الأحمر مرة أخرى، ويرسلها إلى عنوانك عن طريق تابعة للصليب الأحمر، حتى تصل إلى عنوانك.

أما وصول الرسائل إليك، فعن طريق الصليب الأحمر الموجود في منطقتك أو بلدك، وذلك بأن يكتب أهلك الرسالة ويسلمونها للصليب الأحمر الذي يوصلها إلى السجن، عن طريق تابعة للصليب الأحمر يتسلمها قسم التدقيق والفحص في السجن ويفحصها ويقرؤها، وربما يوافق عليها، وربما لا يوافق، وربما يشطب منها كلمة أو سطراً أو سطوراً وربما يحجزها ولا يرسلها، وربما تصلك الرسالة عن غير طريق الصليب الأحمر، وذلك بأن يكتب أهلك الرسالة ويرسلوها على عنوان خاص بالجيش، على أمريكا، ثم تصل إلى كوبا، إلى السجن، إلى قسم التدقيق والفحص يشطب ما يريد، كلمة أو سطراً أو سطوراً أو لا يوافق عليها وقد يحجزها ولا يسلمها لصاحبها.

والرسائل من السجن وإليه تخضع للتحقيق ويتحكم فيها، فمثلاً بعض المعتقلين وصلته رسائل كثيرة جداً وبعضهم وصله رسائل قليلة، وبعضهم وصلته كمية من الرسائل لا بأس بها، وبعضهم لم يصله أي رسالة من أهله أبداً، بالرغم من أنه كتب

لهم الكثير، وبعضهم لم يصله أي رسالة أبداً؛ لأنه لا يريد هو ذلك،
حيث لم يكتب لهم أي رسالة.

وكل رسالة تخرج من المعتقل إلى أهله، أو تصل من أهله إليه
يأخذ منها قسم الرسائل نسخة يحتفظ بها، وعادة ما تتأخر الرسائل
في الخروج من المعتقل إلى الخارج أو من وصولها من الخارج إلى
أصحابها؛ لأن الكتابة للرسائل بلغات مختلفة وكثيرة والألسنة التي
يتكلم بها السجناء كثيرة، ولأن هذه اللغات الكثيرة متفاوته بين
الوضوح والغموض وبين المفهومة وغير المفهومة وبين اللغة العامية
واللغة الفصحى، وهذا يحتاج إلى وقت كبير، وجهد كثير لإنجاز،
وإتمام المقصود من هذه الرسائل وتدقيقها وفحصها.

د. ف. م.

الصليب الأحمر

كان الصليب الأحمر في المعتقل يقدم بعض الخدمات للمعتقلين لمن أراد منهم، منها: حمل الرسائل ذهاباً وإياباً، ويقوم بحمل شكاوى المعتقلين إلى إدارة السجن، وربما يحل بعضها مما يقع في دائرة اختصاصه، وقد كان يعرض على كل معتقل أن يكتب رسائله عن طريق الصليب الأحمر، ومن يرفض كتابة الرسائل عن طريق الصليب الأحمر، يكتب عن طريق الجيش، وفي معتقل بجرام كان الصليب الأحمر هو الطريقة الوحيدة لحمل الرسائل من المعتقلين وإليهم، كان يقدم لهم أموراً لا توجد في المعتقل، مثلاً تراهم يحملون برادات الشاي، وتقديم كأس شاي لكل معتقل، هم في الظاهر يتعاطفون مع المعتقل، لكن إن رفعت لهم شكوى عن وضعك في السجن مثل: العقوبات، التحقيق، مدة السجن، يقال لك: نحن لا نستطيع أن نتدخل في سبب اعتقالك، ولا نسأل عن جلسات

التحقيق التي تكون معك، ولا عن موعد إطلاق سراحك، نحن نعمل في مجال الرسائل، والمساعدة في حالتك الصحية، ووضعك الغذائي، والطعام، واللباس، وهذه نتدخل فيها أو نساعدك فيها في حدود، وليس تدخلاً كاملاً، ندخل فيها أو نساعدك.

سمعت من بعض الأفغان أن الصليب الأحمر يقيم لهم دورات، يقول لهم: إنها دورات تثقيفية ولا يسمح لأي جنسية أخرى أن تشترك معهم لا من العرب ولا من العجم، يقدمون لكل مشترك علبة من البيبسي أو العصير أو ... بعض الأفغان رفض الاشتراك فيها، وقال: إنها دورات مشبوهة؛ لأن المعتقلين الأفغان معظمهم عوام، ليس عندهم تعليم عالٍ، ويخشون أن يدخلوا لهم بعض المفاهيم غير الصحيحة، أو يسببوا لهم نوعاً من التشويش أو...

الصليب الأحمر يظهر دائماً أنه معك أيها المعتقل، وأن السياسة الأمريكية في المعتقل لا تعجبهم، لكن ليس بيدهم تغيير الأمور، بعض موظفي الصليب الأحمر ربما يدافعون عن النظام المطبق في المعتقل، مثلاً بعد شهر من وصولنا إلى كويا، جاء الحراس وأخذوني إلى مكان جديد، غرفة فيها مقعد وكراسي، ليس زنزانة، ظننت أنه مكان تحقيق، جاء شخص وبدأ يتكلم معي لغة عربية غير واضحة، لكنها مفهومة على كل حال، وعليه إشارة الصليب الأحمر، شكوت له ما يتعرض له المعتقلون في بگرام من تعذيب

وتضييق، وما نعانيه في كوبا من فقر في الوجبات الغذائية وقتلتها، فقال لي: ما هي وجبة الفطور؟

فقلت له: بيضة واحدة وقطعتان من الخبز وقليل من الأرز المطحون... إلخ، فقال: هكذا يأكل الجنود، قلت: هل يعقل، هذا؟ هل تصدق أنت هذا؟ لا يمكن هذا، إننا نسأل الجنود الذين تعودنا الكلام معهم عن وجباتهم الغذائية فيخبروننا بوجباتهم الغذائية، هناك فرق كبير جداً بيننا وبينهم، أنا لا أطلب أن نأكل مثلهم، هذا لا يمكن أن يحدث، لكن نطالب بشيء معقول، بشيء يكفي المعتقل.

إن كثيراً من المعتقلين بعد تعاملهم مع الصليب مدة طويلة وكما سمعت قرروا مقاطعة الصليب الأحمر في كافة المجالات، مثل الرسائل، عرض المشكلات أو الشكوى له، عدم طلب أي مساعدة منه؛ لأنهم وجدوا أن الصليب الأحمر عبارة عن معين ومساعد للأمريكان، وإن ما لا يستطيع الأمريكان الحصول عليه أو معرفته فإن الصليب الأحمر قد يحصل عليه أو يعرفه من المعتقل، إن كثيراً من هؤلاء المقاطعين للصليب الأحمر، أدرك أن كثيراً من المعلومات التي رفض تقديمها للأمريكان استطاع الصليب الأحمر بذكائه ودهائه، أو بوصفه طرفاً لا علاقة له بالتحقيق، كما كان يظن بعض المعتقلين الحصول عليها بسهولة، وهذا سر زيارات الصليب الأحمر المتكررة للمعتقلات والسجون، وهذا سر إلحاح الصليب الأحمر

وإصراره على مقابلات الكثيرين، وعلى طلبه المتكرر المرة بعد المرة من المعتقلين كتابة الرسائل عن طريقه، وهذا سر تفقد الصليب الأحمر بعض الراضين للتعاون معه وزياراتهم وعرض خدماته عليهم، والله أعلم بما يضمرون في قلوبهم.

ثم إن المعتقلين الراضين للتعاون مع الصليب الأحمر أسمعوا رجال الصليب الأحمر كلاماً شديداً وقاسياً، مثلاً قالوا لهم: إن الصليب الأحمر والأمريكان شيء واحد، إنهم يعملون في صف واحد، وخذق واحد، ولولا استفادة الأمريكان من الصليب الأحمر لم يسمحوا له بزيارة معتقلاتهم وسجونهم، والصليب الأحمر لا يتحرك قيد أنملة، ولا يستطيع تقديم أي شيء لك، ولو كان بسيطاً وعادياً، إلا بعد موافقة الأمريكان عليه.

sp

الدعوة في كوبا

لقد رأيت أن بعض المعتقلين ممن يجيدون اللغة الإنجليزية، قد أثر إيجابياً على بعض الحراس والجنود، حيث إن كثيراً من الحراس قد داخله شيء من الإنسانية كما يسمونها، وشعر أن هذا المعسكر -جوانتانامو- فيه كثير من المظلومين الطيبين العاديين، لقد كان الكثير من الحراس يتعامل معك ونسي أنه جندي في الجيش الأمريكي، وأنت سجين معتقل، لقد كان بعضهم يقف الساعات الطوال على نوافذ جدران غرف بعض المعتقلين ممن يجيدون اللغة الإنجليزية، هذا الجندي يحدثهم عن آلامه وعن مشكلاته، يحدثهم عن عائلته، عن فقره وقلة حيلته، يحدثهم عن ظلم المجتمع الذي يعيش فيه، وأنه لا يرحم أحداً لا بد أن تكون جيوبك أو محفظتك مليئة بالنقود؛ حتى تستطيع أن تعيش مستور الحال، إن الفقير لا يعرفه أحد في هذا المجتمع، كم هو ظالم هذا المجتمع الذي يطحن الفقير ويسحقه، ويرفع الغني ويعليه!

وقد كانت هناك مجندة تأنس، بل تحب مناقشة أحد المعتقلين، كان يكلمها عن الإسلام وعن احترام الإسلام للمرأة وقال لها: لو كنت أنت مسلمة لكنت الآن في بيتك معززة مكرمة، بدل أن تكوني في هذا الجو الذي لا يتناسب أبداً مع أنوثتك، لا يمكن لأبيك أو لزوجك أن يرضى أيُّ منهما أن تكوني بين هؤلاء الرجال تسمعين منهم الكلام البذيء وتجدين منهم الضيق والتحرش، إن هذا العمل - الجيش - لا يناسبك، ومن المؤكد أنك تكرهين هذا العمل، وتودين التخلص منه بأسرع وقت.

فجلست على الأرض تود أن تسمع أكثر وتحب أن يزول عنها ما تكنه في قلبها من الآلام والتعب، ومن الغربة والبعد عن أهلها، قالت: إني أود الخلاص مما أنا فيه، ولقد غرر بنا مسؤولو الجيش وخدعونا، لقد أعلن هؤلاء المسؤولون، عندما بدأت الحرب على ما يسمى (بالإرهاب) وقالوا: إن الجيش بيت من لا بيت له ومأوى من لا مأوى له، إنه بيت الجميع فخدعنا بهذه الإعلانات ولما دخلنا الجيش وجدنا غابة وحوش يفترس فيها الكبير الصغير، ويظلم فيها القوي الضعيف، خاصة أصحاب الرتب القليلة والسيدات.

لقد كان جميع المعتقلين - إلا القليل - كباراً ومثاليين ونماذج للتضحية في عيون الحراس والجنود، بل في عيون المترجمين والمحققين بسبب الصبر واليقين والرضا والتسليم لما هم فيه من

البلاء، لقد عبر بعض الحراس عن هذا الموقف، فقال: لو كان هذا السجن في أمريكا ومرت عليه هذه المدة من الزمن، وكان بهذا الوصف والشكل لقتل السجناء أنفسهم وأقدموا على الانتحار؛ خلاصاً من هذا الضيق، وقال أحد الحراس: لو كنت أنا مكانكم لم أتحمل هذا الوضع إلا عدة شهور.

ولقد دخل بعض الحراس مازحاً على غرفة أحد المعتقلين الفارغة؛ لأن المعتقل كان في الاغتسال وأغلق على نفسه باب الزنزانة، فقال: يا إلهي، إنه شيء مفرع، إنه مكان ضيق لا احتمله! ولقد رأيت بعض الحراس يريدون أن يمزحوا مع بعضهم بعضاً بإدخال أحدهم عنوة إلى غرفة أحد المعتقلين الفارغة، هم يصرون على إدخاله إلى الغرفة، وهو يحاول منعهم من ذلك واشتد الأمر بينهم، ولم يقبل الحارس الدخول إلى الغرفة الفارغة، مع أن الأمر لا يعدو أن يكون مزاحاً، إنه يرفض الدخول إلى الغرفة، ولو كان عن طريق المزاح.

لقد تأثر بعض الجنود، خاصة الذين أصولهم وأجدادهم مسلمون، كالأسيبان أو الأفارقة من النقاش الذي كان يجري بينهم وبين المعتقلين، ووعد بعضهم بأنه سوف يسلم عندما ينهي مدة تعاقدته مع الجيش، وعندما كان يسأل: لماذا لا تسلم الآن؛ لأن الموت ربما لا يهلكك حتى تخرج من الجيش، بعد سنة أو سنوات؟ فكان

يجيب: إن التدين في الجيش غير مسموح به، لك أن تعتقد ما تريد بأي دين وبأي ملة لكن السلوك والعمل، التطبيق لما تحمله من دين لا يسمح به داخل الجيش، إنه جيش علماني لا يجوز أن يظهر فيه الجندي صلاته أو عبادته، وإلا سيعرض نفسه للعقاب، إنك تسأل الجندي عن دينه، فيقول لك: إنه مسيحي، لكنه لا يعرف أي شيء عن دينه، حتى المبادئ الرئيسة والخطوط العريضة في دينه لا يعرفها، يقول لك: إن أبي أو أمي على هذا الدين، حتى الكنيسة لا يعرف طريقها، إن في الإسلام فرائض كالصلاة والصوم، ومحرمات كالزنا والخمر، هذه أمور معلومة من الدين بالضرورة، لا أحد يجهلها حتى المسلم العامي الذي لا يقرأ ولا يكتب يعرفها.

لقد كان بعض الحراس يريد أن يدخل إلى قلبك، ويريد أن يجاملك، فيقول لك: لقد كان أبي مسلماً أو أذكر أن جدي قد ذهب إلى الحج قبل عشرات السنين، مثال آخر أحد الجنود كان يسمع المعتقلين، يتكلمون عن الإسلام فقال: أنا مسلم لكنه لا يعرف عن الإسلام شيئاً ولا يمارس أي نوع من الشعائر ولا يطبق أي حكم من أحكام الدين، لكنه يقول: إنني مسلم وبعد مناقشات بينه وبين المعتقلين، نشأت علاقة طيبة بينهم، وحدث مزاح ومجاملات بينهم دخل رمضان فصامه، وكنت تشاهد آثار الصوم وعلامات الجوع والتعب والعطش ظاهرة عليه، قال: هذا أول رمضان أصومه في

حياتي، لكن بقدر ما تكلم الحراس عن الإسلام بقدر ما يوجد في قلبه من جهل وتشويه، وحقاً على الإسلام، وبقدر ما يزرع في رأسه ويفرس في قلبه من مطاعن وشبهات حول الإسلام، وما يتلقاه من ثقافة مسمومة عن الإسلام والمسلمين وأنهم خطر عظيم ووباء جسيم ضد الإنسانية، وضد كل تقدم وتطور، إنهم يزرعون في قلبه باستمرار صورة الإسلام الهمجي، الذي يقطر سيفه من دماء الأبرياء، صورة الإسلام المتخلف الفقير الجاهل.

ولا أدل على ذلك من بلاد العرب والمسلمين الفقيرة والمتخلفة، والمتفككة، إنهم يرون صورة الإسلام في أهله وفي بلاده، وفي رجاله الذين يشاهدونهم في أثناء زياراتهم للغرب، وما يمارسونه من أعمال وما يقومون به من أفعال، يكفي أن تحكم على الإسلام والمسلمين من خلال هؤلاء الأشخاص.

إن التأثير على هؤلاء الحراس يكون بتنظيف عقولهم أولاً، ثم إفراغ تعاليم الإسلام الصحيح في عقولهم ثانياً أي التخلية أولاً ثم التخلية ثانياً، جندي كان يناقش ويتكلم مع المعتقلين كثيراً كان يمازحهم استطاع الاندماج والدخول مع المعتقلين في موضوعات كثيرة، قال له أحد المعتقلين مرة، وأنا أسمع: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال له أتشهد أن محمداً رسول الله؟ تبسم وانصرف، لقد كان بعض الجنود يأتي في أثناء صلاة

الجماعة الجهرية، صلاة المغرب والعشاء والفجر، ويقف بجانب
غرفة الإمام الذي يرتل القرآن ويضع أذنه على جدار غرفة الإمام؛
ليسمع القرآن الكريم، شاهده المعتقلون أكثر من مرة، وكان تعليق
الجندي بعد انتهاء الصلاة: هذا شيء رائع، جميل.

٥٢

الجهاد والإرهاب

إن بعض الجنود كان يقوم بالدعوة لما يعتقدونه، يدعوا للنصرانية، خاصة للمعتقلين الذين يعرفون الإنجليزية، كنت ترى بعض الجنود يقف طويلاً في مناقشة بعض الجوانب في دين الإسلام، أو النصرانية، وربما يقوم هذا الجندي بتقديم الإنجيل للمعتقلين، وقد حدث هذا أكثر من مرة، إن كثيراً من المحققين كان يشغل بالهم في التحقيق مع المعتقلين مدى تعمق معنى الجهاد والإرهاب في الإسلام، وهل انتقلت هذه المعاني إلى عقول هؤلاء الشباب؛ لينفذوها على أرض الواقع، لقد سمعت من بعض السجناء مدى التعب الذي يجدونه من المحققين حول معنى الجهاد وما يسمونه بالإرهاب، وهل معنى الجهاد استباحة دماء الكفار وأعراضهم، وهل هذا دين أو عقيدة؟ إن هؤلاء الشباب إزاء أمر خطير، لا بد من تغيير مفاهيمهم وتصحيح سلوكهم وأعمالهم.

ولقد سمعت من المعتدلين ومن المتشددین من هؤلاء الشباب عن الجهاد، وعن الدعوة وعن قتال من يقف في طريق الدعوة الإسلامية، وعن أهداف الجهاد في سبيل الله، ومتى يكون الجهاد فرض عين، ومتى يكون الجهاد فرض كفاية، وأستطيع تلخيص ما سمعته منهم فيما يأتي:

١- الجهاد في الإسلام ليس معناه سفك دماء البشر، حتى لو كانوا غير مسلمين.

٢- الإسلام لا يحمل السيف على الناس ولا يضعهم تحت تهديد السيف، إنه لا يخيرهم بين الإسلام وبين القتل.

٣- الإسلام يعطي حرية الاختيار لغير المسلمين ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، لقد اعتنق الناس الإسلام بالاختيار، ولم يعتنقوه بالتهديد والوعيد.

٤- لن يرضى الإسلام أن تكون هناك حواجز تقف حائلاً بين الإسلام وبين الشعوب التي تريد أن تدخل فيه.

٥- الجهاد في الإسلام شرع لإزالة هذه الحواجز التي تحول دون وصول الإسلام إلى الشعوب، وحتى لا تكون هذه الحواجز ضغوطاً وموانع على كل من يريد أن يدخل في دين الله.

٦- الإرهاب مصطلح يطلقه في هذه الأيام أناس غير مسلمين على الإسلام والمسلمين؛ لتشويه الإسلام ولتتفير الناس من الدخول فيه، وهذا المصطلح لا يستعمله المسلمون فيما بينهم، ولا يتداولونه في معاملاتهم وأحكامهم.

٧- لا يحكم على الإسلام وأهله من خلال عمل شخص أو تصرف فرد، ولا حتى من عمل جماعة أو مؤسسة أو دولة مهما كانت.

٨- ما قام به الشباب في واشنطن ونيويورك في ١١ سبتمبر ٢٠٠٢ م لا يصح أن يحاكم عليه جميع المسلمين، بغض النظر عن صحة ما قام به هؤلاء الشباب أو عدم صحته.

٩- كثير من المسلمين لم يعجبهم ولم يوافقوا على ما قام به الشباب في ١١ سبتمبر، ومنهم علماء ومشايخ لهم وزن وصيت بين شعوبهم.

١٠- تفاوتت الشعوب وتفاوت العلماء في حكمهم على ما فعله الشباب في ١١ سبتمبر، وتباينت نظراتهم إلى هذا الفعل، لكنكم سمعتم لمن أيده ورحب به ولم تسمعوا لمن عارضه وأنكره.

١١- كانت ردود الفعل من الولايات المتحدة الأمريكية أكبر بكثير من الحدث الذي وقع عليها، وأخذت الكثير من المسلمين ممن لا علاقة له بالحدث من قريب أو بعيد، بجريرة عدد قليل جداً، ممن لهم علاقة بهذا الحدث.

١٢- الردود الأمريكية على الحدث لم تكن فقط في المجال الذي وقع فيه وبسببه الحدث، بل تجاوزتها الردود الأمريكية إلى مجالات أخرى، وإلى شعوب أخرى لا تعرف عن الحدث شيئاً، ولم تسمع به إلا كما سمعه بقية الناس، وبعض الناس لم يسمع بتنظيم القاعدة ولا بزعيمها أسامة بن لادن إلا من وسائل الإعلام بعد وقوع أحداث ١١ سبتمبر، ولقد قامت أمريكا باستغلال هذا الحدث لتحقيق وتنفيذ برامج ومخططات أخرى، بعيدة عن الحدث تحت غطاء وستار ما يسمى بالحرب على الإرهاب، وظهر للناس بعد مرور شهور أو سنين أن الحرب التي تجري الآن، والردود على الحدث ليس المقصود بها حماية مصالحهم، أو بلادهم، أو تصفية هؤلاء الإرهابيين وتدميرهم، كما يسمونهم، ولا حتى زرع الخوف والرعب في نفس كل من تسول له نفسه أن يقلدهم ويسير على نهجهم، بل لقد كان الرد على ما وقع وحدث في وادٍ وكل ما يجري ويقع الآن، في وادٍ بعيد جداً عن الوادي الأول.

الأمريكان: يعجبهم، يحبون، يفضلون:

١- المتعلم في كافة المراحل المدرسية والجامعية وما بعدها، لكن أظن أنهم لا يرغبون، ولا يميلون إلى المتعلم تعليماً دينياً، خاصة في الدول أو الجامعات التي يقولون عنها: إنها متطرفة وغير

معتدلة، لكن لا بأس أن يكون التعليم الشرعي للشخص قد خرج من تحت أيديهم، ومن خلال جامعاتهم أو الجامعات الأوروبية التي تفتح أقساماً في جامعاتها، تسمى كلية الدراسات أو الديانات الشرقية، فيدرس الطالب فيها ديانات الشرق، سواء كانت سماوية كديانة موسى وعيسى -عليهما السلام- وديانة محمد خاتم النبيين ﷺ أجمعين، أو يدرسون الديانات غير السماوية التي ظهرت في اليونان ومصر والعراق والهند وغيرها، والتي لا علاقة لها بوحى السماء من قريب أو من بعيد، ولو كانت قائمة على الشرك والوثنية وتعدد الآلهة، وحتى لو كانت قائمة على الظلم والاستعباد ونشر الفواحش والموبقات، وحتى لو كانت قائمة على النهب والسرقعة والاعتداء على الآخرين.

فالإسلام يدرس في هذه الأقسام كما يدرس أي دين آخر، لكنه يدرس على أنه ثقافة وعلم نظري ولا يدرس بصفته ديناً للعمل والتطبيق أو ديناً للاعتقاد وسلوكاً للفرد والأسرة والمجتمع، ثم إن الطالب وكما سمعت لا يتخرج في هذه الأقسام، إلا بعد أن تكون رسالته أو بحثه الذي أعده للتخرج، قد احتوى على مطاعن ومثالب وسلبيات للدين، أو تهجمات على قواعده ومبادئه.

٢- العائلة المتعلمة زوجة كانت أو أولاداً -الذكور- وخاصة الإناث يعدّون عدم تدريس البنات في أي مرحلة من مراحل التعليم نقصاً وعباً وعدم مسايرة لما عليه الحياة اليوم.

٣- وسائل الاتصال والثقافة العالمية، وتلفزيون، وقنوات فضائية، وإنترنت، والمجلات والجرائد والنشرات الدورية...

٤- معرفة اللغة الإنجليزية محادثة وكتابة؛ لأنها المدخل الأول لمعرفة الثقافة المستوردة.

٥- الذي ليس له أسبقيات أمنية أو سجلات قديمة، ولو انتهت مدتها وقضى ما حكم عليه به ونظف ملفاتها.

٦- غير المتدرب على السلاح الذي لم يدخل معسكرات التدريب، وخاصة صناعة المتفجرات، كل من ليس لديه ثقافة عسكرية أو قتالية، أو جهادية (إرهابية) كما يسمونها.

٧- الذي له علاقات اجتماعية مع غير المسلمين، يهودًا أو نصاري أو غيرهم، مثل: حضور ندواتهم واجتماعاتهم ومطالعة ثقافتهم ومطبوعاتهم ومعرفة أسلوب حياتهم ونمط عيشهم، خاصة الجنس الثاني- الإنث- أو الجنس الثالث كما هو موجود في بعض الدول.

٨- من لم يدخل إيران أو سوريا أو لبنان، وغيرها من الدول التي يسمونها (الإرهابية) أو من دول صناعية أو دول كانت ولا تزال في عداء مع بلادهم.

٩- الدول التي توجد فيها أنظمة ملكية غالباً، أكثر من الدول التي تحكمها أنظمة جمهورية؛ لأن الأنظمة تعكس توجهها وسياساتها على الشعوب، والشعوب تتأثر وتقتبس كثيراً من أنظمة الحكم، وتتأثر بالقيادات التي تحكمها.

١٠- مَنْ يكون مِنْ دول غنية فيها الرفاهية ورغد العيش، ووسائل الحياة المريحة التي يجد فيها الشاب ما يشغله ويشبع طموحاته وأهواءه؛ لأن الفقر وقلة ذات اليد قد يدخله في طرق التعت والتشدد والانفعال بأمور السياسة وتغيير النظام، وقد يؤدي به هذا التفكير إلى أمور لا تحمد عقباها.

١١- المتزوج وصاحب العائلة؛ لأن هذا يشغله ويشده إلى الدنيا ويجعله أكثر حرصاً عليها من أجل أولاده، بخلاف الأعزب الذي لا تربطه عائلة، ولا تقيده نفقات أسرة، لذلك تجد أكثر الأسرى من العزاب، ومن صغار السن.

١٢- لا يعجبهم التتلمذ على شيوخ المساجد وأئمة الكتاتيب بخلاف شيوخ الحكومات ورجال الدين الرسميين الذين يتقيدون بقرار الحاكم والسلطان، ويحسبون للوظيفة والراتب والمنصب ألف حساب، ولا يرغبون في المشايخ غير الرسميين الذين لا يرتبطون بوظيفة أو عمل رسمي مع الحكومات؛ لأن

هذا يجعلهم أحراراً في فتاويهم، لا يتقيدون بقانون جامعة أو نظام دولة، لا يخشون من الفصل أو إنهاء التعاقد.

١٣- لا يحبون الشخصيات ذات المال والجاه والاستقامة، وأصحاب الغنى والمنتسبين إلى عائلات قوية وكبيرة ومعروفة بالصلاح؛ حتى لا يكون لهم نفوذ قوي، وحتى لا يقوموا باستخدام أموالهم في مشروعات تخدم الدين والبلد أو تدعم الجهاد والمجاهدين، أو تخفف معاناة المهاجرين أو الأقليات المسلمة في دول غير عربية أو إسلامية.

١٤- المؤسسات الخيرية والإغاثة الإسلامية؛ لأنها تعرقل أو تؤخر الكثير من أعمال المؤسسات الإنسانية غير المسلمة شرقية كانت أو غربية، أو لأنها ربما تسخر شيئاً من أموالها في غير الإغاثة الإنسانية لدعم العمليات الإرهابية (كما يظنون).

١٥- يرغبون العمل في مؤسسات مرتبطة بالحكومات؛ حتى يكون عمل هذه المؤسسة ضمن سياسة البلد، أما المؤسسات والجمعيات الخيرية المستقلة (غير الحكومية) فقد تجلب الاتهام والنقد في اجتهادها في العمل (على حد زعمهم).

١٦- قلة أفراد العائلة، يحبون العائلة الصغيرة ذات العدد القليل المشابهة للعائلة في الغرب، ولا يحبون صاحب العائلة الكبيرة؛

حتى يضمن صاحب العائلة القليلة بولده على الموت، وحتى يزداد حرصه عليهم وعلى الحياة من أجلهم.

١٧- اسم أبو عبد الله، لا يرغبون في هذا الاسم؛ لأن فيه ارتباطاً وتذكيراً وإشارة إلى الرجل الذي كان خلف ما جرى لهم، ليس في ١١ سبتمبر، بل ما جرى لهم في اليمن في ضرب المدمرة كول، وفي تدمير السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا (دار السلام ونيروبي) كما يظنون هم، أو كما يحللون، أو يفسرون، أو كما يعتقدون، لا يكرهون أحداً في الأرض مثل صاحب هذا الاسم، لا يحبون أن يكون هذا الرجل قدوة للآخرين، لا في عمله وتصرفه، ولا في ملبسه ومأكله ولا في كلامه وعاداته ولا في أي شيء من نواحي حياته، يتمنون أن ينسى العالم هذا الاسم، خاصة العالم الإسلامي، ولو قلت: إنني ألبس قميصاً مثل قميصه أو أرتب شعر رأسي أو شواربي ولحيتي كما يفعلها هذا الرجل، فإنهم يتضايقون من هذا التقليد وينزعجون من هذا التشبه ولو قلت: إنني معجب به وبعمله ومن حقه أن يعمل مثل هذه الأعمال، والذي فعله هو الرد الطبيعي لما يجري لكل إنسان، لكان هذا كافياً لأن تذهب إلى التحقيق عدة مرات، ولو كان قولك هذا مجرد كلام نظري واقتناع بما يقوم به، دون أن يكون لك علاقة أو مشاركة بما يفعل، أما لو قلت: إنني

سمعتة في محاضرة أو رأيته في الشارع أو في أي مكان أو قلت:
إني شربت معه القهوة أو تناولت معه الطعام أو كان في فصلي
الدراسي المدرسي أو الجامعي، فإن الشبه القوية والاتهامات
الواضحة ستتوجه إليك وتتصب فوق رأسك.

١٨- أكثر الدول كراهية عندهم الآن (الشعوب) وليس الأنظمة،
السعودية ثم اليمن، سمعت من بعضهم أن أحد المحققين قال
لأحد المعتقلين: ماذا يظن هؤلاء اليمنيون أنفسهم إنهم شعب
أمي جاهل جبلي، متأخر جداً عن ركب الحياة، فقير لا يملك
من الاقتصاد والفن شيئاً، إنهم يسمعون كلمة من شيوخهم لا
يعرفون معناها ولا يدركون مغزاها فيطبقونها دون أن يفكروا
في نتائجها أو يحللوا أو يفسروا ردود أفعالها.

إن أكثر الجنسيات العربية عدداً في معتقل جوانتناموا هم من
السعودية، ثم اليمن.

إنهم يرغبون في استمرار الأمن، واستقرار الوضع في دول
الخليج، فيحاولون ألا تكون هناك قلاقل أو احتجاجات على
أنظمة الحكم في الخليج، وفي غيره من الدول التي لهم بها
علاقات اقتصادية، والتي تقدم لهم النفط وتضخ لهم الذهب
الأسود، لا يحبون انفلات الأمن في الدول التي لهم معها

مصالح وفيها لهم مشروعات اقتصادية، إن ظهور موجة العنف والتطرف والتدمير والقتل والإرهاب (كما يسمونه) هذا الذي ظهر في دول الخليج مؤخراً قد أزعجهم مما جعلهم خائفين من المعتقلين الذين ينتسبون لهذه الدول، عندما تنتهي مدة عقوبتهم، ويتم إطلاق سراحهم فيما بعد.

لقد كانت أشرطة بعض المشايخ خاصة من دول الخليج، تصل إلى كوبا ويعرضها المحققون على المساجين، هؤلاء المشايخ الذين تراجعوا عن فتاويهم في الجهاد ووجوب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

لقد كان المحققون متضايقين مما يجري من تفجيرات في جزيرة العرب حتى إن أحد المحققين غضب من أحد المساجين من جزيرة العرب، وقال له: ويحك هل يعجبك ما يجري في بلادكم؟ لقد أصبحت البلاد كلها في حالة فوضى، في حالة رعب وخوف.

١٩- كراهية المشايخ الذين تربى هؤلاء الشباب المعتقلون على أيديهم، أو تتلمذوا على كتبهم وحلقاتهم ومحاضراتهم وتأثروا بفتاويهم أو التقوا بهم في مساجدهم ومدارسهم، خاصة المشايخ الذين لم يدخلوا إلى الجامعات الشرقية أو الغربية.

SP

عودة إلى الحياة في بجراج بعد كوبا

مضى الشهر الأول، ولم نساfer، شكونا للمسؤولين، فقالوا: أنتم سوف تسافرون، فقلنا: متى سيكون هذا السفر؟ قالوا: عليكم بالانتظار، فشكونا للصليب الأحمر الذي كان يزودنا ببعض الرسائل من قاعدة بجرام إلى بيوتنا ومن بيوتنا، يحملها إلينا في القاعدة، كان الصليب نافذتنا على العالم وكان أعضاؤه يقولون لنا: كلاماً ليس فيه وعد أو وقت محدد للسفر، لكنهم كانوا يقولون لنا: سوف تسافرون.

بعد مضي شهر حضر وفد أفغاني وقابل الشخص الأفغاني ووعده بالخروج، وبعد مضي أكثر من شهر على هذه المقابلة عاد الوفد نفسه وقابله مرة أخرى ووعده بالسفر، لكنني خرجت من بجرام، والأفغاني لم يسافر.

بدأ الأمل يتلاشى من نفوسنا في قرب الفرج، خاصة أن المجموعات التي جاءت إلى هذا المكان قبلنا لم تمكث فيه كثيراً، أكثرها مكث أسبوعين وسافر.

لا ندري ما سبب تأخيرنا، قالوا: أنتم تطلبون السفر لغير بلادكم، قلنا لهم: بعضنا يريد أن يرجع إلى بلده مثل الأفغاني ومثلي ومثل كل المعتقلين، أما الأخ السوري وكذلك الأخ الإيراني فلا يريدان الرجوع إلى بلديهما، ومن ثم فلا يزال اليأس عندنا من الخروج القريب. بعد مضي ثلاثة أشهر وبعد إلحاح وطلب منا لمقابلة المسؤولين، قالوا لنا: سوف يجلس معكم مسؤول كبير، ويحاول أن يجيب عن أسئلتكم وطلباتكم، جاء المسؤول وجلس مع كل واحد منا على انفراد، طلب الاسم والبلد والجهة التي تريد السفر إليها وإن كان لديك مشكلات أو طلبات فسنجيب عنها، ووعدنا بالسفر القريب دون تحديد الموعد وانصرف، لكن قبل أن ينصرف طلبنا منه إن كان بالإمكان أن تؤخذ لنا صورة كبيرة نرسلها إلى بيوتنا؛ حتى يطمئنوا على أحوالنا، قال: لا بأس، أرسل شخصاً وقام بتصويرنا صورة مكبرة ٢٠×١٠ سم وسلمناها للصليب الأحمر الذي قام بإرسالها إلى بيوتنا.

كان المسؤول عنا نحن الأربعة سيدة مجندة برتبة كابتن، كانت تعاملنا جيداً، كانت الفواكه والمشروبات مهنوعة علينا، فكانت

تأتينا في البداية يومياً أو يوماً بعد يوم تضع البيبسي والفاكهة في حقيبتها وتأتي إلى الغرفة وتقدمها لنا، ولكن بعد ذلك انقطعت عنا ولا ندري أكان الانقطاع منها أم بأمر من فوقها، كنا نطلب منها الكثير من الحاجات فتلبي بعضها وتعتذر عن بعضها الآخر، كان وقت الصلاة يحيرنا ألا نسمع الأذان، فلا نعرف متى تدخل أوقات الصلاة فأحضرت لنا ساعة صغيرة وتقويماناً بأوقات الصلوات الخمس حسب توقيت أفغانستان.

مضت الأيام علينا، ولا يكاد يمر يوم إلا ونسأل فيه عن حالنا وموعد سفرنا، كنا قلقين؛ لأنهم يقولون لنا: أنتم عندنا ضيوف، سترحلون إلى بلادكم، انتهت علاقتكم بالسجن أنتم بريئون من الأحداث التي حصلت ضد الولايات المتحدة الأمريكية، إذاً لماذا هذا الحجز؟ صحيح أننا لسنا في السجن ولنا بعض الحرية والامتيازات التي لا توجد في السجن، لكن لماذا هذا البقاء هنا؟ لماذا لا يطلقون سراحنا؟ منذ أن خرجنا من كوبا مضى علينا مئة وثلاثون يوماً في بجرام، بدأ عندنا إحساس أننا سنبقى هنا ستة أشهر وبعدها سيكون الفرج إن شاء الله، لكن كأن فرج الله أقرب مما توقعناه، بعد مغرب يوم الإثنين جاء أحد الجنود وقال: أين الشخص الأردني؟

قلت: هأنذا، قال: نريد أن نأخذ لك صورة، قلت: ما الأمر؟ قال: لا أدري طلب مني المسؤول أخذ صورة لك، هيأت نفسي، فأخذ

صورة لي، ثم صورة، ثم انصرف الذين كانوا معي في الغرفة، قالوا: هذه الصورة لها علاقة بالإفراج، سوف تخرج قريباً، قلت: إن شاء الله تعالى، لم تتم نحن الثلاثة جميعاً تلك الليلة، كنا نفكر: لماذا هذه الصورة أخذت لي بالذات، أنا دون غيري؟ في اليوم اللاحق الثلاثاء وبعد صلاة الظهر جاء أحد الحراس، وقال: أين الشخص الأردني؟ قلت: هأنذا، قال: أنت مطلوب للمسؤول، خرجت معه خارج الغرفة، فوجدت هذه السيدة الكابتن التي كانت تزورنا كثيراً ومعها ضابط آخر برتبتها، سبق أن جلس هو وهذه السيدة معنا قبل شهر، قال لي: أنت ستسافر غداً إلى بلدك واليوم سنقوم بأخذ بصمات يدك وأخذ صور لك ووزنك وطولك وإجراءات أخرى، وغداً عند الظهر تذهب إلى الحمام للاغتسال.

رجعت إلى الغرفة، فوجدت أصدقائي ينتظرون متلهفين لمعرفة الخبر، قلت لهم: أبشروا جاء الفرج، غداً - إن شاء الله - بعد الظهر، سجدت لله شكراً على هذه البشري، بعد ساعتين جاء الحارس وذهبت معه إلى غرفة داخلية، أخذ مني الموظف المختص بصمات اليدين الكثيرة وبصمات الكفين وأخذ صورة الوجه من جميع الزوايا، وصور العينين، كل ذلك يظهر على الكمبيوتر، أخذ الطول والوزن ثم انصرفت إلى الغرفة، بدأت أرتب أغراضي في الحقيبة التي قدمت معي من جوانتنامو، كان فيها بطانية متوسطة

الجودة، ومنشفة، لكن الأغراض التي جمعتها من بجرام كثيرة لا تتسع لها هذه الحقيبة، فضغطتها حتى اتسعت وكانت هذه السيدة الكابتن قد قالت لي بالأمس: بإمكانك أن تأخذ معك جميع أغراضك التي جاءت معك من جوانتنامو، نمنا تلك الليلة -ليلة الأربعاء- أهدأ ليلة، وفي ظهر اليوم اللاحق -الأربعاء- جاء الحارس، وقال: تذهب معي إلى الاغتسال.

قلت له: أنا اغتسلت الليلة الماضية وجسمي نظيف؛ لأن الليلة الماضية كان موعد اغتسالنا الأسبوعي، إذ الاغتسال كان مرتين في الأسبوع، قال: لا بد أن تأتي وتغتسل قلت: جيد، ذهبت واغتسلت، ثم أحضر لي هذا الحارس حقيبة وقال: هذه لك، فتحتها، فإذا بها بذلتان باكستانيتان وفرشاة ومعجون أسنان وفرشاة ومعجون حلاقة وقلامه أظافر وإبريق بلاستيكي صغير، وقال: اجلس قليلاً [شهادة براءة من الإرهاب].

جاء ضابط وبدأ يقرأ عليّ ورقة باللغة الإنجليزية، والمترجم يترجم ما يقوله الضابط، تقول الورقة: لقد وقعت للولايات المتحدة الأمريكية حوادث كبيرة وخطيرة، دُمِّرت فيها البنايات والعمارات، وقُتل فيها الكثيرون، وترملت النساء، وقتل أطفال ونساء، فقامت أمريكا واعتقلت الكثيرين لم تكن تعرف أو تميز المتهم من غير المتهم ولما جمعنا المعتقلين وقمنا بالتحقيق معهم عرفنا البريء من غير

البريء، وبعد اعتقالك والتحقيق معك تبين لنا أنك بريء، لا علاقة لك بالأحداث التي وقعت للولايات المتحدة الأمريكية؛ لذلك قمنا بإطلاق سراحك، وأنت الآن حر، لا يوجد عليك شيء وسترجع وتعيش في بلدك كأبي إنسان وتمارس كافة حقوقك بسلام، ثم انصرف، هكذا كانت الترجمة كما أظن، وأتذكر رجعت إلى الغرفة.

وبعد الظهر جاءت السيارة، وقال المسؤول: حان وقت السفر، ودعت أصحابي وركبت السيارة مع المترجم، وكان في السيارة معي ثلاثة جنود ومجندة، وفيها ثلاثة ضباط، كنت أتوقع أن يربطوني بالسلاسل ويغطوا عيوني كالمعتاد في كل سفر مع الأمريكيان، لكن لم يكن ذلك، بقيت حراً طليقاً دون تقييد، وصلنا إلى الطائرة وفي مدرج المطار طائرة نقل كبيرة عسكرية.

sp

مفادرة بجرام إلى الوطن

صعدنا الطائرة، فجلست بجانب المترجم، لم يكن في الطائرة إلا طاقم أو حراس الطائرة كما رأيت، بالإضافة إلى الجنود الأربعة الذين عرفت فيما بعد من المترجم أنهم حراس وأمناء علي، حتى يتم تسليمي إلى بلدي، أقلت الطائرة من قاعدة بجرام بعد العصر من يوم الأربعاء ١٢/٨/٢٠٠٢ م وقد أخبرني المترجم أنها ستنزل في قطر، وفعلاً بعد العشاء نزلت الطائرة في قطر، لم أكن أعرف الوقت، فطلبت من الحراس أن يسمحوا لي بالوضوء والصلاة، وعندما توضأت تذكرت أن هذه هي أول مرة أتوضأ فيها منذ (١٣٤) يوماً وهي مدة وجودي في بجرام، إذ إن الماء هناك قليل فكنا نتييم للصلاة، بعد الصلاة والاستراحة في قاعدة عسكرية لا أعرف اسمها، ولم أسأل المترجم ولا الحراس عن اسمها، لكنها قاعدة كل ما فيها جنود وطائرات عسكرية، لم أر فيها أحداً إلا

الجنود، عند منتصف الليل قال الحراس لي: تقضل جاء وقت السفر، ركبنا الطائرة نفسها لم أر فيها ركاباً أو جنوداً، ليس في الطائرة إلا الحراس الأربعة الذين خرجوا معي من بجرام وأنا والمترجم وطاقم أو حراس الطائرة، قال المترجم لي: إن الطائرة ليس لها أي غرض في عمان، فهي توصلك إلى عمان وترجع، وقد حان وقت تناول الطعام، أما الجنود فكان كل واحد منهم معه وجبته أو طعامه في حقيبة، طلبت منهم وجبة عسكرية فأعطوني واحدة، بينما هذه الطائرة عسكرية ليس فيها ضيافة كالطائرات المدنية.

وهذه الوجبات يأكلها الجنود؛ لأنها طعام الجنود في حال السفر إذا لم يتيسر لهم وجبات ساخنة، وكان أمامي في الطائرة صندوق فيه كثير من أنواع البسكويت والشوكولاتة آكل منه كلما أردت، وقبل الفجر نزلت الطائرة على المطار، قال لي المترجم: هذه عمان وهذا مطارها، توقفت الطائرة وفتحت أبوابها فصعد ضابط أمريكي إلى الطائرة وبدأ يتكلم مع الحراس الذين سيقومون بتسليمي له، قدموا له أوراقاً وقع عليها، ثم سلمني ورقة باللغة الإنجليزية، وكان يتكلم معي باللغة العربية المكسرة إلا أنها مفهومة تقريباً، الورقة التي سلمها لي هذا الضابط كانت ترجمتها كالآتي:

شهادة براءة من الإرهاب

وزارة الدفاع

القوات المشتركة الموحدة

قاعدة بجرام الجوية- أفغانستان

وثيقة للحفظ

الموضوع: إطلاق سراح حسين عبد القادر

هذه الوثيقة تؤكد أن هذا الشخص قد وُقِف من قبل القوات المسلحة الأمريكية منذ ١١ آب ٢٠٠٢م.

الرقم الرسمي	المؤقت	الاسم	البلاد	الميلاد
PKgWE000715 DP	BT 171	حسين عبد القادر	الضفة الغربية	١٩٥٣م

لقد تثبتنا من أن هذا الفرد لا يشكل خطورة على القوات المسلحة الأمريكية أو مصالحها في أفغانستان، ولا توجد أي تهمة موجهة إلى هذا الفرد من قبل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، لقد أطلق سراح هذا الشخص في المكان نفسه الذي أُلقي القبض عليه فيه، وتريد الولايات المتحدة الأمريكية إعادة هذا الشخص؛ ليجتمع بأهله وهذه الوثيقة ليست لحمايته من أي تصرف سيئ مستقبلي قد يقوم به.

توقيع الضابط

SFCMP.CJTF 76 Detair-opsncoic

أما شهادة الصليب الأحمر، فتقول ترجمتها:

إلى من يهمه الأمر

إن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تؤيد حسب هذه الوثيقة أن
السيد حسين عبد القادر يوسف مصطفى مواليد ١٩٥٣م في سيلا
الحارثية - فلسطين

وثيقة الصليب الأحمر ٠٠١٤٨٦ وثيقة التسجيل PKg 000715 DP.

تم تسجيله من قبل لجنة الصليب الأحمر في ١٥/٦/٢٠٠٢م في
مكان التوقيف الأمريكي الانتقالي في بگرام في محافظة بروجان في
أفغانستان، وتم نقله إلى مخيم جوانتنامو-كوبا- في ٤ آب ٢٠٠٢م
حيث تمت زيارته من قبل الصليب الأحمر عدة مرات، وبعد أن أعيد
إلى أفغانستان في ٣١/٣/٢٠٠٤م تمت زيارته في بگرام في القاعدة
الأمريكية الانتقالية وفي بگرام أطلق سراحه في ١١/٨/٢٠٠٤م.

صدرت هذه الوثيقة في كابل ١٩/١٠/٢٠٠٤م.

التوقيع:

أندريه مكنزي / الإداري في كابل أفغانستان

سلمني الحراس الأمناء الذين كانوا يرافقونني طيلة الرحلة من بجرام إلى عمان، إلى الضابط الأمريكي، والضابط سلمني الورقة ونزل من الطائرة، ثم ودعت الحراس وشكرتهم على حسن صحبتهم لي، حيث لم يضايقني أحد منهم طيلة الرحلة، وشكرت المترجم، ونزلت من الطائرة، بعد أن حملت حقيبتتي السفر اللتين كانتا معي، وبعد ذلك تسلمني الجنود الأردنيون من باب الطائرة، ذهبت معهم بالسيارة، وكان وقت أذان الفجر ليوم الخميس ١٣ / ٨ / ٢٠٠٤م على وشك الدخول، وصلت إلى معتقل قريب لا أعرف اسمه، ولم أدخل إليه ولم أدخل أي سجن آخر، لا في الأردن ولا في غيرها إلا الاعتقال عند الأمريكيان، وأنا الآن حديث عهد بالأردن، إذ إنني خرجت منها سنة ١٩٨٥م ولم أرجع إليها إلا اليوم بعد مضي تسعة عشر عاماً، وصلت المعتقل بدأ الضابط المسؤول يأخذ المعلومات عني، وقد تسلّم مني ما معي من الأغراض والأوراق وفتشها، ثم سلمني ملابس السجن الزرقاء، جاء الحارس وأدخلني إلى غرفة الاعتقال.

جلست في هذا السجن من وقت أذان الفجر إلى الساعة الحادية عشرة تقريباً، جاء الحارس وأخذني إلى غرفة التحقيق، استغرق التحقيق معي ما يقارب ساعة، كان التحقيق عادياً وكان المحقق هادئاً ومؤدباً وقال: سنحاول إخراجك اليوم الخميس،

Inv:26

Date:22/9/2011

وإن لم نستطع فعليك الانتظار إلى يوم الأحد، أي بعد ثلاثة أيام،
انتهى التحقيق معي وبعد لحظات جاء الحارس وأرجعني إلى غرفة
الاعتقال، بعد ساعة تقريباً جاء الحارس وأرجعني إلى غرفة
التحقيق، عندئذ تسلمت أغراضني التي أخذوها مني عندما وصلت
فجر اليوم، وقال لي المحقق، مع السلامة يا شيخ، سترجع الآن إلى
بيتك إن شاء الله تعالى وأطلقوا سراحي عند أذان ظهر يوم الخميس
٢٠٠٤/٨/١٣ م.

والحمد لله رب العالمين

شهادة براءة من الإرهاب

وزارة الدفاع

القوات المشتركة الموحدة

قاعدة بجرام الجوية - أفغانستان

وثيقة للحفظ

الموضوع: إطلاق سراح حسين عبد القادر

هذه الوثيقة تؤكد أن هذا الشخص قد وُقِف من قبل القوات المسلحة الأمريكية منذ ١١ آب

٢٠٠٢م.

الرقم الرسمي	المؤقت	الاسم	البلاد	الميلاد
PKgWE000715 DP	BT 171	حسين عبد القادر	الضفة الغربية	١٩٥٣م

لقد ثبتنا من أن هذا الفرد لا يشكل خطورة على القوات المسلحة
مصالحها في أفغانستان، ولا توجد أي تهمة موجهة إلى هذا الفرد
الولايات المتحدة الأمريكية، لقد أطلق سراح هذا الشخص في المك
القبض عليه فيه، وتريد الولايات المتحدة الأمريكية إعادة هذا الشخص
وهذه الوثيقة ليست لحمايته من أي تصرف سيئ مستقبلي قد يقوم

توقيع

Detair-opsncoic

ISBN:978-9960-54-785-5



9 789960 547855

موضوع الكتاب: سجن جوانتانامو - التعذيب

موقعنا على الإنترنت:

<http://www.obeikanbookshop.com>